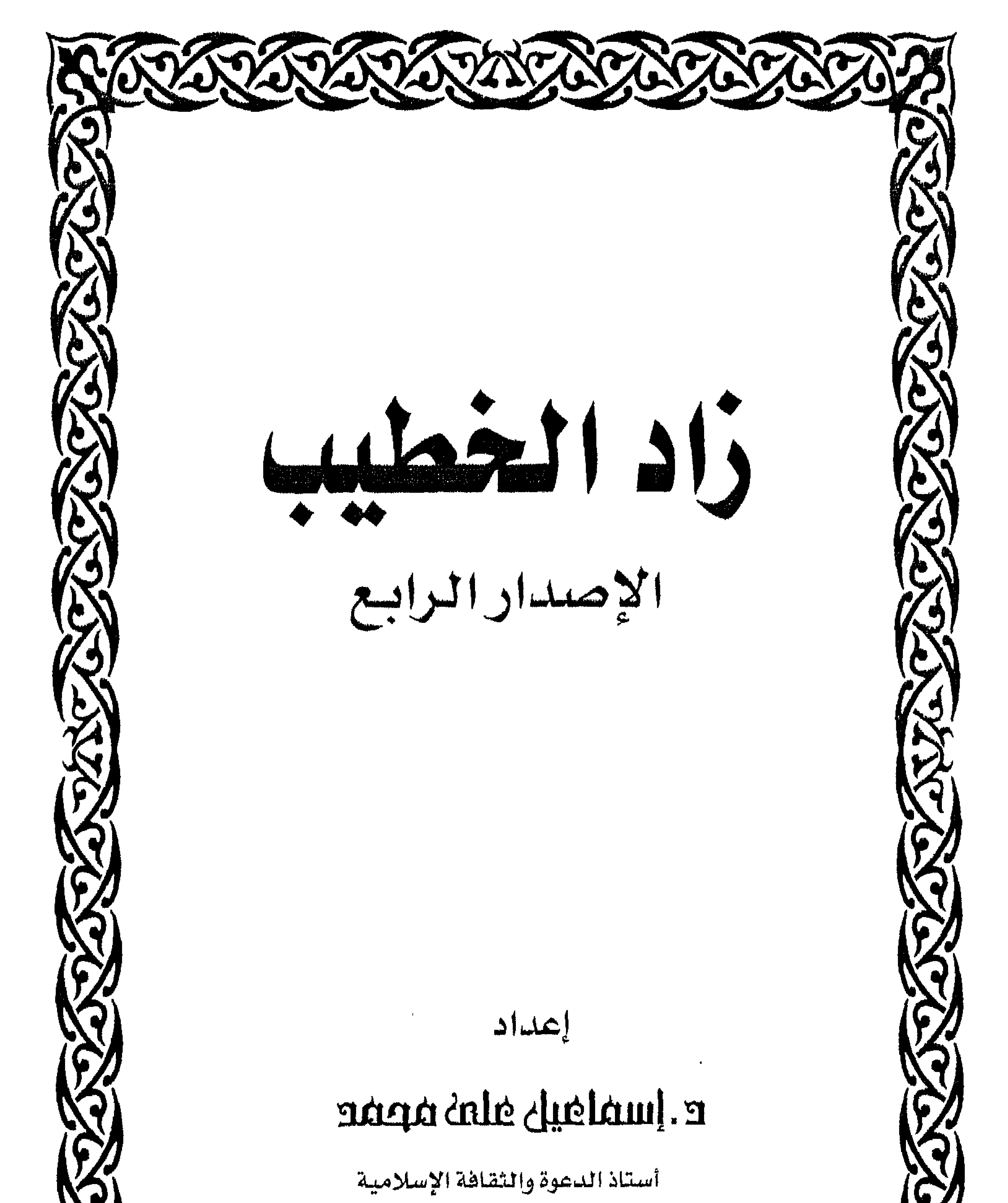
سلسلة
تيسير الخطابة

زاد الخطيب



إعداد
د. إسماعيل علي محمد
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين والدعوة ـ جامعة الأزهر



زاد الخطيب

الإصدار الرابع

إعداد

د. إسماعيل علي محمد

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر

أسم الكتاب	زاد الخطيب (الإصدار الرابع)
المؤلف	د. إسماعيل على محمد
الطبعة	الأولى يوليو ٢٠٠٨.
الناشر	شركة منارات للإنتاج الفنى والدرسات.
الحقوق	جميع حقوق الطبع والنشر محفوظ للناشر. ولا يجوز النسخ – كل أو جزء – بأى طريقة إلا بعد موافقة الناشر.
العنوان	٧ شارع أبو القاسم المهدى - الحى السابع - مدينة نصر – القاهرة.
تليفون	٠١٠١٤٥٠٣٧٥ - ٠٢٢٢٦٢٤٩٩٨
رقم الإيداع	١٣٩٠٨ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى	٩٧٨ – ٩٧٧ – ٦٢٥٢ – ١٨ -٩

محمد، إسماعيل على
زاد الخطيب الإصدار الرابع
د. إسماعيل على محمد
ط١ – القاهرة – شركة منارات للإنتاج الفنى والدرسات، ٢٠٠٨.
٢١٦ص، ١٧ × ٢٤ سم
تدمك ٩ - ١٨- ٦٢٥٢- ٩٧٧ - ٩٧٨
١ – الخطب الدينية الإسلامية
أ- العنوان . ٢١٣

الافتتاحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد ...،

إخواني الدعاة .. أخواتي الداعيات..

أنتم ورثة الأنبياء، بحملكم القرآن، وسبيل النجاة باتباعكم سيرة سيد الأنام، وأنـتم لسان صدق في منابر دعوتنا، فأنتم الآمرون بالمعروف والناهون عـن المنكـر تجاهـدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم.. فبارك الله فيكم وفى جهودكم.

ما أحوج أمتنا اليوم إلي دعاة وداعيات، امتثلوا لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [لأنفال: من الآية٦٠] وقوة الداعية في كلمته التي يلقيها، والكلمة لا تكون قوية ونافعة إلا إذا كانت من الكتاب والسنة، وما يفتح الله على عبده في فهمها، فمصادر القوة للداعية أن يكون أصلها من الكتب والسنة وأن تطلق بإخلاص لله وحده، وتبلغ كاملة فلا يكتم منها شيئًا، وأن تعرض بالحكمة والموعظة الحسنة. أن دعاة اليوم يخوضون معارك شرسة مع أعداء كثر، وما أحسن ما قاله الإمام حسن البنا: «الدعاة اليوم غيرهم بالأمس، فهم مثقفون مجهزون، مدربون، أخصائيون، ولا سيما في البلاد الغربية، حيث تختص بكل فكرة كتيبة مدربة، توضح غامضها، وتكشف عن محاسنها، وتبتكر لها وسائل النشر، وطرق الدعاية، وتلتمس لها فى نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع».

فعلينا أن نتعاون في المعروف، ونتراحم فيما بيننا، ونتناصح في تبليغ رسالتنا، ونخفض الجناح للمؤمنين، ونتحمل مخالف الجاهل والمعاند حتى نأخذ بيده إلى الصواب.

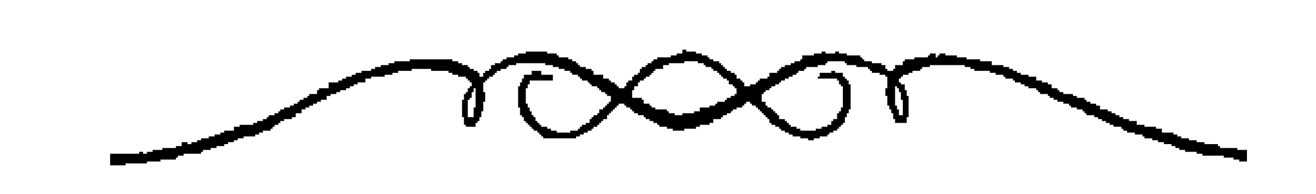
وإيانا والحسد والكبر والعجب واتباع الهوى وفتنة الدنيا «فما عند الله خير وأبقى».

وأقدم الشكر الجزيل لكل قارئ للزاد علق على الاستبانة المرفقة في آخره، ثم أرسل إلينا تعليقه فكم من تعليق عاد علينا بالنفع، ومن ذلك:

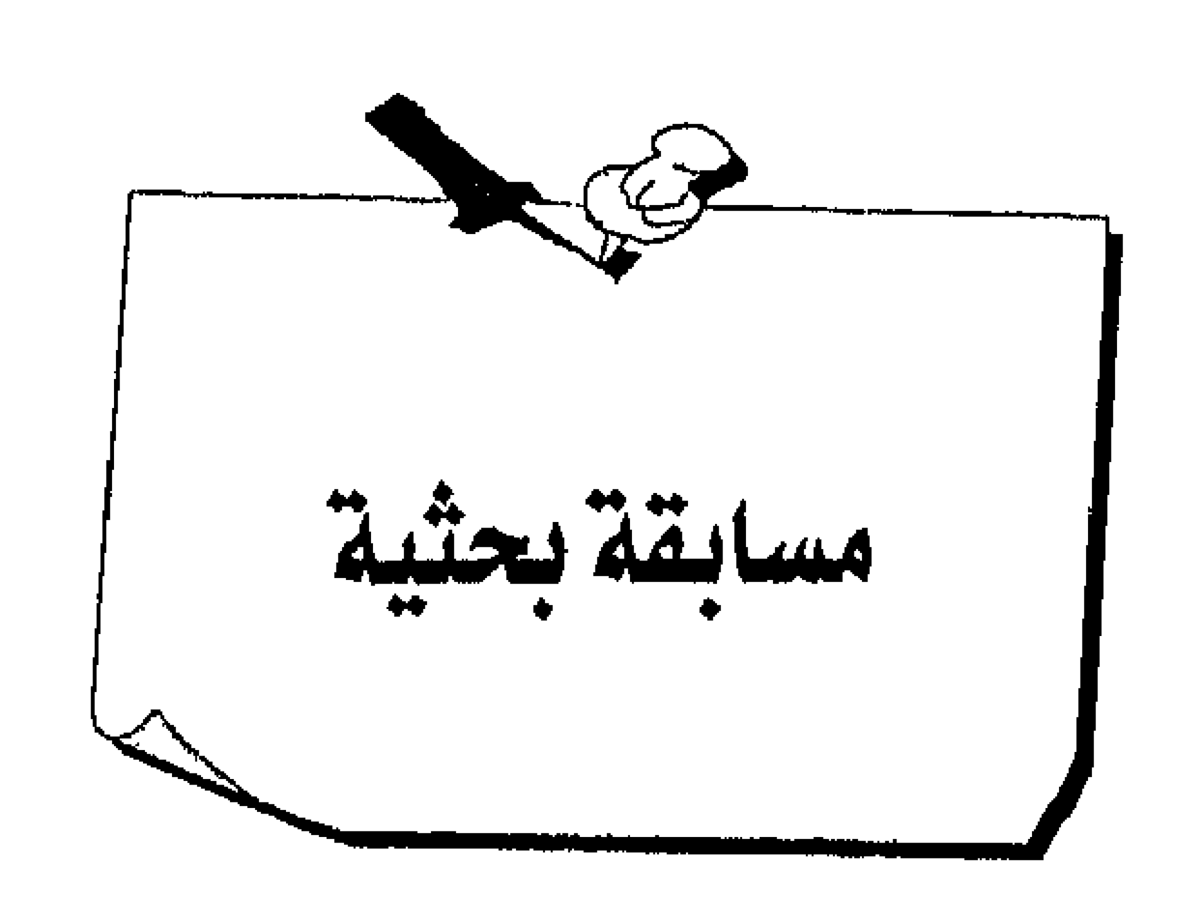
- تصويب الأخطاء المطبعية، وأخص بالذكر المهندس الفاضل الذي كتب الخطأ، ورقم الصفحة، والتصويب، فجزاه الله وإخوانه خيرا، وسنحرص على اجتناب ذلك إن شاء الله تعالى.
- كثرة الاقتراحات، ومنها المطالبة (بالمشاركة الفعالة للقراء – باب فقه الأولويات – باب للمشاكل الاجتماعية – باب قصص الأنبياء – الإعجاز العلمي – مواقف وطرائف – أخطاء يجب أن تصحح....).

وإن شاء الله سنقوم بدراسة هذه الاقتراحات واختيار الأنسب حسب حجم وهدف الزاد ونحن في انتظار آرائكم وتعليقاتكم في الاستبانة القادمة، سآئلين المولي عز وجل أن نرتقي جميعًا بهذا العمل، كي يجد الداعية بغيته في التزود من العلم النافع.....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



إلى ورثة الأنبياء



أكتب بحثا فيما لا يقل عن ٢٥ صفحة فلوسكاب في أحد الموضوعات الآتية :

١) الرسول ﷺ يرسي دعائم الشورى، اكتب عن الشورى مهمة حاكم وواجب أمة، الضوابط والأصول.

٢) الخلاف الفقهي في الفروع وأثره على الفقه الإسلامي ودعمه لوحدة الأمة.

٣) للإسرائيليات آثار خطيرة في تفسير القرآن اكتب عن هذه الآثار مبينا موقف المفسرين والوعاظ من الاحتجاج بها .

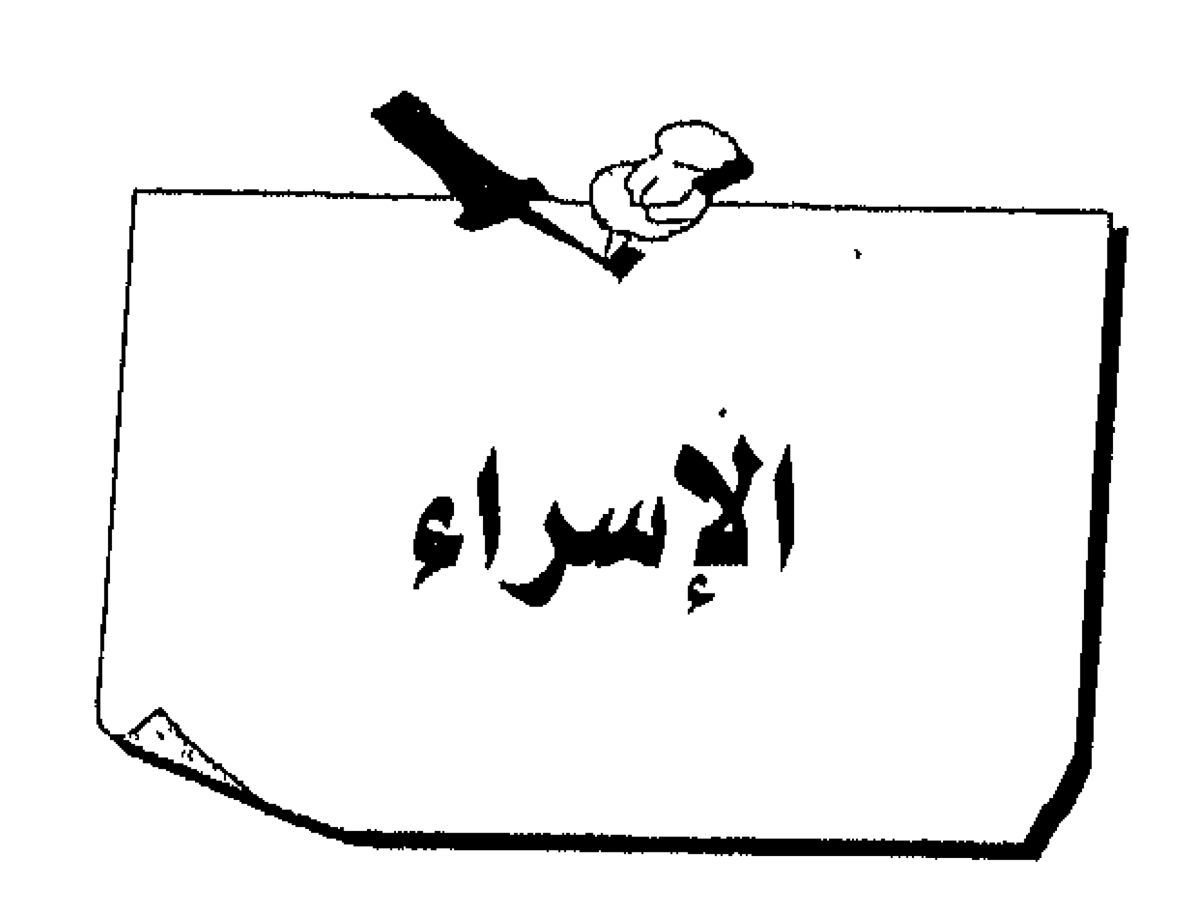
ترسل البحوث في موعد أقصاه ١٥ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ١٤ من شعبان ١٤٢٩هـ

على شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات

٧ ش أبو القاسم المهدي القاهرة ت: ٠١٠١٤٥٠٣٧٥ - ٢٢٧٢٦٩٤٢

ترسل نسخة مطبوعة ونسخة الكترونية

الجوائز **١٥٠ جنيهًا للفائز الأول في كل بحث**



الشيخ /علي متولي

قال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]

بين يدي المناسبة

لا يزال الإسراء والمعراج يعطي فيضه من عام إلى عام دون أن ينضب معينه، أو تنفذ ثماره وتظل أحداثه ودروسه تهدي الواقع، وترشد الطريق كمعالم وصوى(١) تقود إلى خير هذه الأمة ونصرة دينها. والإسراء والمعراج مع انه درس مناسبة ؛إلا أن نفعه موصول ودائم وهو درس الساعة وكل ساعة... ولذا أحببت أن أتناوله في ظل آية

---

(١) علامات.

الإسراء، فيجني الدعاة والوعاظ منه دروسًا تهدى وعبرًا تنفع، ونبراسًا يستضيء به السالكون على درب الدعوة وسبيل الإيمان.

وذلك أن أمتنا تمر بمرحلة خطيرة، قد تضافرت جهود في تعمية طريقها، وزيفت الحقائق. فالتبس الحق بالباطل، ولبس عليهم إبليس وصدق عليهم ظنه فاتبعوه، إلا فريقاً من المؤمنين، لهذا ولغيره؛ وجدت انه يتحتم علينا أن نحيا في ظلال آية الإسراء لنستبصر بها، وحتى لا تنقلب الذكري إلى «عوائد دينية ومهرجانات مناسبة ترتكب للظهور، وتنقلب إلى موائد طعام، أو مواكب نفاق، تغطى بها الذكري وتضيع العبر والعظات، وينفض السامر وكأن شيئًا لم يكن.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمرْ بمكة سامر
بل نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والدهور العواثر

أحداث سبقت الرحلة

الواضح أن رحلة الإسراء والمعراج كانت يسراً بعد عسر، وجبراً بعد كسر، وإعزازًا بعد استشعار هوان على الناس، وتسرية بعد عام حزن، ورحلة بعد عناء وضنى، وترحيبا ربانياً علويا بعد ردّ غير كريم لأفضل زائر وأكرم ضيف، وإطلاعاً على آفاق أرحب، وإرادة لمستقبل أخصب لدعوة حق، عقها أهلها وازْورَّ عنها ذووها، وضاعوا بعد أن تحول عنهم إلى غيرهم صاحب الرسالة، كما قال القائل:

إذا ترحَّلْت عن قوم وقد قدروا ألا تُفارقهم فالراحلون همُ

ومن هذه الأحداث التي أدت إلى الإسراء ثم عبرها:

١) الرحلة إلى ثقيف بالطائف ليعرض عليهم دعوته، بعد أن ردتها قريش، وبالغت في الرفض بل والإيذاء والتصدي لدعوة الحق، كانت درساً رائعا لتصميم الداعية على أن يبلغ دعوته المدى ويسلك بها كل سبيل، فالداعية الصادق لا ييأس ولا يضيق ذرعا بدعوته، وإنما يتحرك من بيئة إلى بيئة، ومن قوم إلى قوم، بل من شخص جحد

إلى شخص آخر ربما تتفتح لها بصيرته.

٢) ولكن رسول الله ﷺ يقابل من ثقيف بأسوأ مما لقي في قريش فلم ييأس لكنه ابتهل في دعائه المشهور لرب الدعاة.

٣) اليسر بعد العسر، والفرج بعد الضيق لوازم لحياة المسلم، فلقد بذل النبي جهده وأفرغ طاقته ثم رد هذا الرد.. فركن إلى ركنه الشديد وتضرع لربه، فإذا بشآبيب الخير تتنزل عليه مع حبات العنب التي يأكلها باسم الله، وامتدت به يد النصراني عدّاس، وكأنما تجسدت الإنسانية كلها في صورة عدّاس تعتذر له وتطيب خاطره، ثم يستمع إليه نفر من جن نصيبين وأسلموا ثم ولوا إلى قومهم منذرين ودعاة إلى الله.

٤) حلم الداعية وسماحته... إن رسول الله ﷺ مثل الداعية السامي النفس والهمة، كبير المروءة يتسامق على الأحقاد يتحمل مالا تتحمله الجبال الشم، ويظل قلبه سليماً طهوراً، ينظر لمن آذاه من منظار الرحمة والإشفاق، لا الضغينة والغيظ، لقد أثنى الرسول ﷺ على رجل آذاه قومه رجما حتى الموت فلما قيل له ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يٓس: ٢٦، ٢٧]... بل قال لملك الجبال الذي قال له: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا».

في ظلال آية الإسراء:

وسورة الإسراء تسمى سورة «بنى إسرائيل» أيضا، واستفتحت بآية الإسراء والتي لنا في ظلالها معالم نقتبس منها العبر والعظات.

الأولى: ترتبط هذه الآية الكريمة بما قبلها وهى خواتيم سورة النحل، إذ فيها أمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثم الصبر بالاستعانة بالله عز وجل عليه، وأن

لا يعبأ بمن كفر وصد ومكر لهذه الدعوة ومكر بصاحبها، وبذلك يستحق معية الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨] فكانت هذه الآية بل السورة على وجه العموم تحقيقا لمعية عليا ومنزلة عظمى لمن دعا وصبر على الأذى والمكر.

وآية معية أن يسري به مع ما صاحب الإسراء من آيات ومكرمات لهذا الصابر العظيم على الدعوة، وعلى مكر الكافرين.

الثانية: بدء الآية بالتسبيح تقطع ألسنة المنكرين والمتعجبين من حادث الإسراء، إذ أن النبي ﷺ لم يسر وليس في طاقاته أن يسري هذا السرى، ولا في طاقة بشر غيره ﷺ. وإنما أسري به ، فأي عجب في هذا والفاعل الله؟ فسبحان الذي أسرى! ونحن، أفلسنا في حاجة إلى أن يسرى بنا من هذه الظلمات والفتن التي يفهق بعضها بعضا، أو يركب بعضها بعضا، أو يرتق بعضها ظلمات التأخر والجمود والانهزام والتبعية الزنيمة لأعداء الله والحسار القدوة وكسر الشوكة، والهوان على الناس والغثائية المهينة، والخور والضعف والتراجع والانقهار؟ فما عادى فى الركب قوم محمد ﷺ وقد كانوا الأعزين...

لكننا كرسولنا ﷺ لا نستطيع أن نسري وحدنا، بل نحن في حاجة إلى أن يسرى بنا، ولن يسرى بنا مما ذكرنا إلى شاطئ النجاة وميادين التقدم وإحراز قصب السبق والإمامة للبشرية جمعاء كما هي رسالتنا إلا إذا استكملنا أسباب ذلك، وصرنا على قدم عظيمنا محمد ﷺ حذو القذة بالقذة.

ثالثا: «بعبده»: فهذا مناط التكريم والعون من الله عز وجل أن نرتقي إلى درجات العبودية لله عز وجل، وما أدراك ما العبودية لله؟! إنها أعلى المراقي، وأعظم الدرجات، إنها في بساطة: التحرر مما سوى الله من نفس وشيطان وهوى وأعداء وخوف ورجاء، والانقياد المطلق لأوامر ربنا فقط.أي أن تكون عبداً قنناً (خالص العبودية) لله عز وجل.

أي شرف تستطيعه أو تبتغيه بعد العبودية؟ أو لم يكرم الله عز وجل أنبياءه وملائكته حين ذكرهم بالكرامة وسجلهم بالكتاب الخالد العظيم القرآن الكريم بصفة العبودية؟ بل هم ما استحقوا النبوة والرسالة إلا لأنهم ارتقوا إلى مدارج العبودية، فأصبحوا ولا شيء عندهم يخضع أو يتحكم إلا لله. ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ص:٣٠] ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ [ص: من الآية٤١] ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [ص: من الآية٤٥] ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الصافات:١٧١] ومن الملائكة قال مولانا ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء: من الآية٢٦] وأعلي مقام الحب هو العبودية.

فلا تدعنى إلا بيا عبدها فإنهـا أحـب أسمائـى

رابعاً: «ليلاً» نعم كان ذلك في جزء يسير من الليل لكن الدلالة والفحوى أن الإسراء بل والمعراج إنما هو منوط بالليل وكم في الليل من عجائب وتجليات، والصلاة فيه «وعموماً معراج المؤمنين إلى رب العالمين» حين يخلو كل حبيب إلى حبيبه، ينسل الصالحون إلى الانتصاب بين يدى الله عز وجل يناجونه وقد غفل الناس، ويخبتون إليه وينيبون، وتئز بيوتهم بالقرآن أزيز النحل فى خلاياها، وتنسكب الدموع فى شوق وطنية للقاء رب العالمين ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة:١٦] ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ وأعلاهم قدرًا فى العبودية أمر ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الاسراء:٧٩] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ فمن يرتقي مدارج الليل ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: من الآية٩].

من لنا بأمة الليل وسجداته، ودعوات السحر وقنوته ؛لتربي الرجولة النابهة والعزيمة الفاعلة والقلوب الطاهرة والأيدى المتوضئة، والعقول الفاقهة والقلوب الصادقة، يهتز لها عرش الرحمن تجاوباً واستجابة، ويتغير بها وبهم وجه الزمان وتنطلق بهم المسيرة جهادا وعملاً ودعوة وعلماً وسبقا في ميادين الخير لنتبوأ من جديد مكانتنا بين الأمم وما يدريك علنا نعود من جديد كما كنا ذات يوم خير أمة أخرجت للناس.

خامساً: «من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»، أجل لقد كانت الانطلاقة المقدسة الفريدة من المسجد إلى المسجد، والمسجدية في الإسلام لها شأنها وخطرها إننا مطالبون بأن نتربى في المسجد بأن ترتقي أرواحنا في المسجد بأن ندمن السجود والركوع لله عزوجل، فالمسجد مطهرتنا وملتقانا ومرتقانا ودار تربيتنا، وكفالة مجتمعنا، وصياغة قلوبنا وأفئدتنا على منهاج الحق، بل إنه مطلوب منا أن نمسجد الأرض كلها:

أ) بأن نجعلها مسجدًا حثيما أدركتنا الصلاة.

ب) بأن ننقل أخلاق المسجد وآدابه وروحانيته إلى خارج المسجد إلى ميادين الحياة، إلى المعاملات والعلاقات، وسل مسجد رسول الله ﷺ الذى كان بناؤه من اللبن وأركانه من الأجور وسقفه من جذوع النخل وجريدها، وكان المنبر جذع نخلة فى أوله، ومنبرًا متواضعًا لقد كان مسجداً يتناوله الواقف بيده، لكنه كان عملاقاً برسالته ورجاله وخرج العمالقة الذين نشروا إسلامهم فى ربوع الدنيا، وأروا الناس أخلاق المسجد وآدابه وعلمه وفقهه، وأين هذا من مساجد اليوم العملاقة التي تحتوى الأقزام؟! ولعل الله يبعثهم من جديد.

ثم إن الإسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى عهدًا وميثاقًا أخذ على هذه الأمة أن تحمى مقدساتها فقد آل إليها الدين، ومن الدين حماية المقدسات، إن الأرجل الطاهرة التي وطئت هذا المسجد من الملائكة والنبيين خلف الإمام الأعظم النبي الخاتم ﷺ لتحملنا مسئولية الحفاظ على المقدسات ونحسب المجاهدين في سبيل الله فى أرض الرباط والشهداء قد وفوا، فهل لهذه الأمة أن تتجاوب مع الدماء وان تعي الدرس وأن تحيا من جديد؟!

فإما حياة تبعث الموتى في البلى — وتحيا تلك الأعظم النخرات

وإما ممات لا قيام بعده — ممات لعمري لم يقس بممات

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكة — والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به الكف بسيدهم — كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر — ومن يفز بحبيب الله يغتنم

سادساً: «الذى باركنا حوله» الحقيقة أن المسجد الأقصى مبارك، وأن ما حوله مبارك، وأن فلسطين كلها مباركة، ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء:٧١] مباركة هذه البلاد بقدسها وبأرضها وبخيراتها وبالرجال الصالحين فيها، ونحن نراهم الآن خير أهل الأرض؛ خنعت الجيوش وذلت الأنظمة، واستيئست الشعوب ولا يزالون منتصبين عمالقة يرفعون راية الله، وينصرون قضية الإسلام ويقدمون في كل يوم القرابين أشلاء ودماء، حفنة من الرجال والنساء والولدان، يصنعون بكل حجر أو دفقة دم، أو صرخة أم، أو تيتم طفل، أوجه القاعدين والمتخاذلين ، فأية بركة هنا؟!.

ملامح العباد المحررين للأقصى وأصحاب التمكين والنصر من خلال السورة الكريمة :

١) المهتدون بالقرآن الكريم: منهجًا وإيمانًا ببشارته بالأجر العظيم للمؤمنين العاملين، ونذارته بالعذاب الأليم للكافرين الجاحدين للقاء الله يوم القيامة.

٢) العقلاء المتدبرون لآيات الكون وتعاقب الليل والنهار، وملء النهار بالعمل، والسكون في الليل للراحة والعبادة، أي هم لا يقلبون آيات الليل فيميتون نهارهم دعة وكسلاً ويَظْلمون أو يُظْلمون ليلهم صخباً ورجساً.

٣) وهم أحياء القلوب يستشعرون المسئولية بين يدي الله تعالى فيضعون من أنفسهم رقباء محاسبين على أعمالهم.

٤) وهم مدركون لقيمة هذه الحياة، وأنها مدرجة للدار الآخرة، فلا يغترون بها ولا يركنون لزيفها، فلا يترفون؛ فالدنيا في أيديهم وليست في قلوبهم.حذر الهلاك كالأمم السوالف، لا يشغلهم أو يشغفهم أن تعجل لهم طيبات الدنيا، وإنما هم من حذر جهنم يريدون الآخرة، ويسعون لها سعيها يقينًا، وأملاً في رشاد السعي وحسن الجزاء عند الله الذي بيّن عطاء الدارين وبر الدنيا والآخرة.

٥) وهم موحدون لله شعائر ومشاعر وشرائع.

٦) وهم بررة بالآباء.. أوفياء متواضعون لهم، يخدمون ويدعون، وودودون ودا فاعلاً وبرًا واصلا للأقربين و المساكين، والدارجون على الطريق قد انقطعت بهم السبل والمحتاجون لا عن منٍّ ولا أذى، بل أداء للحق وولاء للواجب، وقولاً كريما وردًا جميلاً.

٧) وهم معتدلون في نفقتهم، فليسوا السفهاء المبذرين، وليسوا الأشحاء المقصرين على مستوى السلوك الفردي والأسري والنظامي العام، وبذا يسلمون من الحسرة والملام.

٨) وهم لا يخبطون في تيه العماية وقساوة القلوب والجحود والكنود، فيقتلون أولادهم ويسقطون الأجنة خشية الإملاق والفقر لأنهم على يقين بأن الرازق الله.

٩) وهم أطهار العرض، أنقياء الشرف، لا يدنسون في وحل الغريزة ولا يدنون من مثيراتها ؛لأنها آفة الأمم، ومنزلق الدمار والهلاك للأسر والأفراد والجماعات ففي حديث ابن عمر قوله ﷺ:«لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم» ابن ماجة والبزار والبيهقي واللفظ له.

١٠) وهم أنقياء اليد من الدم، يحيون النفوس ولا يقتلون، فهم أبرار لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر، هذبهم قرآنهم ﴿..أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: من الآية٣٢]، يقدسون الدم والعرض ويحفظون المال والعقل، ويبذلون في الحفاظ على

الدين كل مرتخص وغال.

١١) وهم – أيضًا – رحمة ليتيم، يواسون جراحه ويسعدون نفسه ويحفظون ماله ويكلفون حاجته، فالكل له أب وعليه حام وحان.

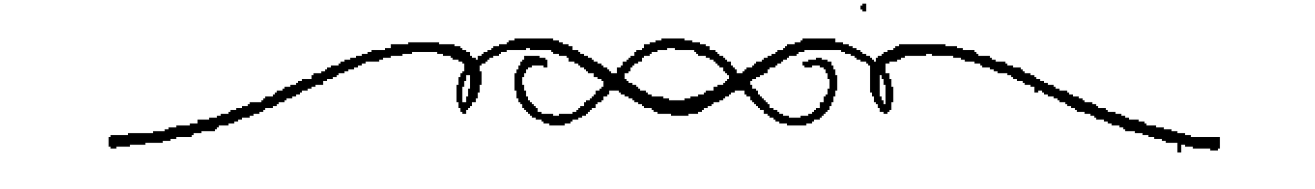
١٢) وعباد الله الموعودون بنصره، يطعمون الحلال ولا يطففون كيلاً، ولا يبخسون وزنا، ولا تمتد أيديهم إلى ريبة، فلا تدنس لقمتهم ولا تتدنس ريبة إلى كسبهم، طابت مطاعمهم ومشاربهم حلالاً طيباً مباركاً.

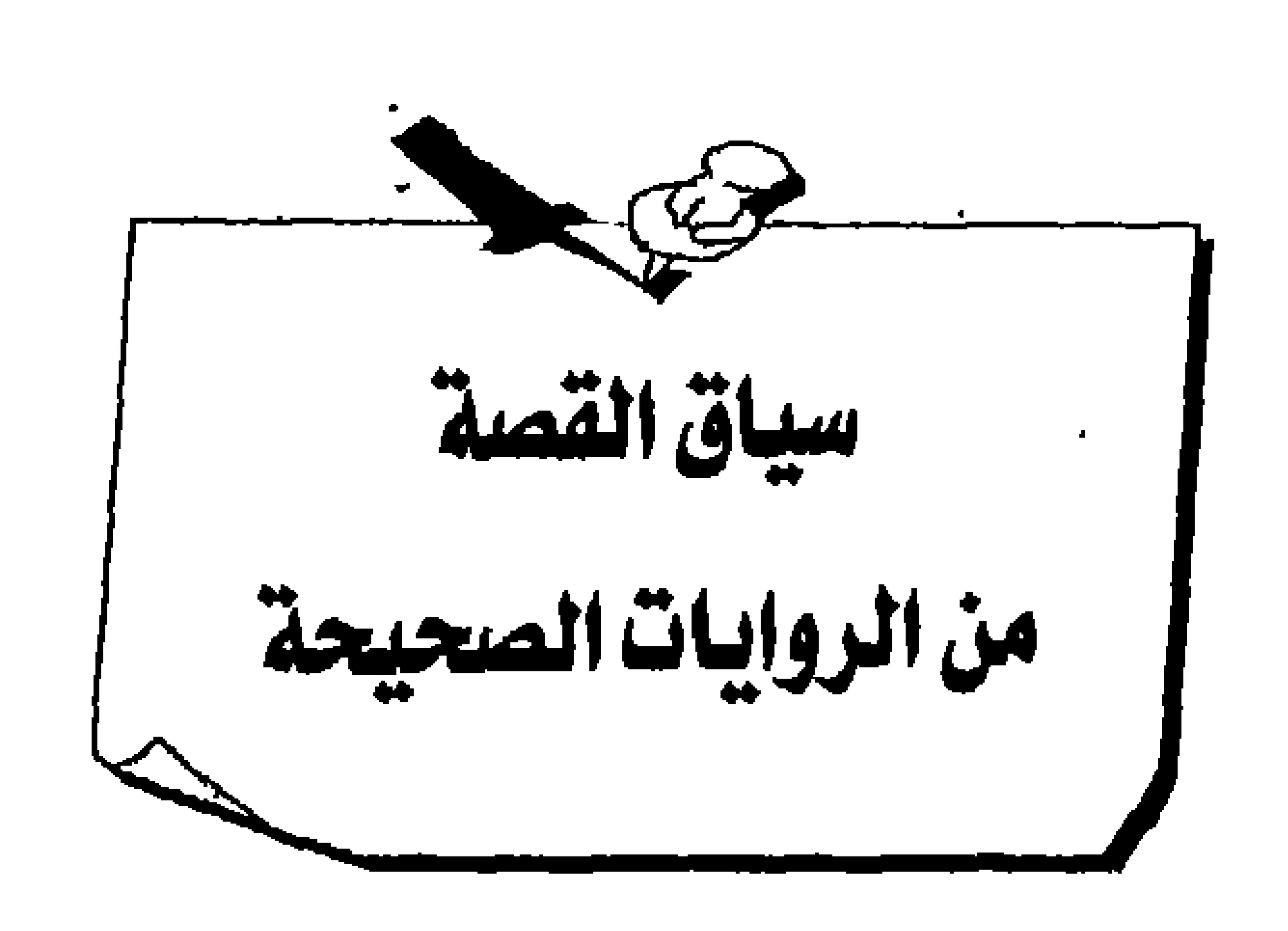
١٣) وهم أعفاء الجوارح والقلوب، لا يستهويهم فضول ولا ينجرون وراء ريبة، ولا يستنطقون الأحداث أسرارها، وإذا ظنوا فإنهم لا يحققون كما قال ﷺ: «إذا ظننت فلا تحقق».

١٤) ثم هم متواضعون لله ولعباده، فلا يستعلي أحدهم بحال، ولا يغتر بجاه، ولا تستفزه قوة بدن ولا نضارة وجه، أو ذلافة لسان أو تميز موهبة، يدرك حجمه إلى جوار ملك الله العظيم وسلطانه القديم وأخذه الأليم.

إقرأ من سورة الإسراء حتى الآية (٣٩)

وبعد: فلو تحلينا في مجتمعنا على هذه الشاكلة، فإنه ولا شك يكون مجتمع الفضائل والمكارم والاستمساك بكريم الخصال، وحميد الفعال وطهارة القلوب، وزكاوة النفوس والتنزه عن المعايب، والخلو من المعاطب، ونباهة الشأن ومتانة البنيان، وسمو الغاية ونقاء الوسيلة، وجميل الصلة بالله الكريم، فلابد إذن أن تنطلق طاقاته المرجوة ثمارها في تطهير المقدس والأرض والعرض؛ لأنها تكون مؤهلة للسرى في ليل ساهر، والسير في نهار ذاكر، والزحف بجيش قاهر لا يخشى عنفوان الجبروت، ولا مظالم الطاغوت ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: من الآية٥٤].





أ/ أحمد حسين

روايات الإسراء والمعراج كثيرة، وتحتوي على الصحيح والضعيف وينبغي للداعية أن يميز بين الصحيح والضعيف، وهذا ما حاولنا جمعه في هذين المقالين:

الأول: الروايات الصحيحة وجمعناها في سياق واحد تبعا لترتيب الأحداث من كل الروايات حتى يستطيع الداعية أن يسرد القصة كاملة ويحتج بها في خطبته.

الثاني: الروايات الضعيفة وجمعناها أيضا في سياق واحد تبعا لترتيب القصة ليحذرها الخطيب. ثم إنني رأيت الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه «سبل الهدى والرشاد» أنه سبق في جمع الراويات في نسق واحد وقد أحسن رحمه الله غير أنه جمع الروايات دون تفريق بين الصحيح والضعيف والموضوع، من غير بيان لتخريجها وبذلك يلتبس في سياقه الصحيح المتفق عليه، مع الضعيف جدًا والموضوع.

ثم وجدت الحافظ ابن كثير ذكر السياق مختصراً في تفسيره بعدما ساق الراويات كلها، وسأبدأ بذكر هذا المختصر ثم أعقبه بسياق مفصل اجتهدت أن يكون بما ثبت فقط في الإسراء والمعراج.

سياق ابن كثير لقصة الإسراء والمعراج

قال رحمة الله: وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها، فحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وان اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على ما عدا الأنبياء».

قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة، وقال السدى: بستة عشر شهرا، والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكبا البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلي في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، ومر بموسي الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل فى السابعة ثم جاوز منزلتهما ﷺ حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، أي أقلام القدر بما هو كائن، ورأى سدرة المنتهى ، وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة، وغشيتها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح، ورأى رفرفا أخضر قد سد الأفق، ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأن الكعبة السماوية يدخل كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسًا ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفا بعباده، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها، ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ... ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله أعلم».

قصة الإسراء والمعراج

البداية:

في الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله حدثه عن ليلة أسرى به قال:

• «بينما أنا في الحطيم وربما قال الحجر – مضطجعا، إذا أتانى آت[١] فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود[٢] وهو إلى جنبي: ما يعنى به؟ قال: من ثُغرة نحره[٣] إلى شعرته[٤]وسمعته يقول: من قَصّه[٥] إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد».

• ولهما أيضًا «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين[٦] ، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا (قال قتادة فقلت للذى معى: ما يعنى؟ قال: إلى أسفل بطنه، فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانا وحكمة».

• وللبخاري من رواية شريك عن أنس: ليلة أسري برسول الله ﷺ، من مسجد مكة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخري فيما يدى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه – وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم – فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم

---

(١) هو جبريل عليه السلام كما صرحت به رواية أبي ذر فى الصحيحين.

(٢) لعله ابن أبي سبرة البصري صاحب أنس.

(٣) الثغرة: هو المكان المنخفض بين الترقوتين.

(٤) شعرته: شعر العانة.

(٥) القص: رأس الصدر.

(٦) قال فى الفتح: كان نائمًا معه حمزة بن عبد المطلب عمه، وجعفر بن أبي طالب ابن عمه.

جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته[١] حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقي جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور[٢] من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده[٣] – يعنى عروقه – ثم أطبقه».

• وفى الصحيحين أيضاً من رواية أنس عن أبي ذر: أن رسول الله ﷺ قال: «فرج[٤] سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل، فخرج صدري ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغها فى صدري ثم أطبقه».

البراق:

فى الصحيحين من رواية أنس: «قال ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار الأبيض – قال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم ، يضع خطوه عند أقصى طرفه[٥]، فحملت عليه». وبإسناد صحيح عن أنس عند الترمذى وأحمد: «أتى بالبراق ليلة أسري به مُلجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال: فارفض عرقا» وبإسناد صحيح للنسائي: «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل».

الرحلة إلى بيت المقدس:

• وبإسناد صحيح عند النسائي من حديث أنس قال النبي ﷺ «فركبت ومعي جبريل فسرت فقال: انزل فصل ففعلت ، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المُهاجر، ثم قال: انزل فصل فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء

(١) اللبة: هى موضع القلادة من الصدر، ومن هناك تنحر الإبل.

(٢) التور: إناء من صُفر أو حجارة ، قد يتوضأ به.

(٣) اللغاديد: هى اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق.

(٤) أي: فتح.

(٥) طرفه: أي نظره، أي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره.

حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام، ثم قال: انزل فصل ، فصليت ، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسي عبه السلام». ووقع في رواية شداد بن أوس «حتى انتهينا إلى أرض ذات نخل قال: انزل، فنزلت، ثم قال: صل فصليت ثم ركبنا فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بيثرب،صليت بطيبة، ثم انطلقت تهوى تضع حافرها حيث انتهى طرفها ، حتى بلغنا أرض بيضاء قال لي: انزل فنزلت، ثم قال لي: صل فصليت، ثم ركبنا قال: تدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم ورسوله قال: صليت بمدين ، صليت عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا تضع حافرها حيث أدري طرفها ثم ارتفعنا قال: انزل فنزلت، قال لي: صل فصليت، ثم ركبنا فقال: تدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسي بن مريم.

• وبإسناد حسن عند أحمد والحاكم وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابن فرعون وأولادها قال: قلت: ما شأنها؟ قال: قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم ، إذ سقطت المُدري [1] من يدها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله قالت: أخبره بذلك قالت: نعم قالت: فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وان لك ربا غيرى؟ قالت: نعم، ربي وربك الله فأمر ببقرة من نُحاس[2] فأحميت، ثم أمر بها أن تلقي هى وأولادها فيها قالت: إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفنا ، قال: ذلك لك علينا من الحق قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مُرضع كأنها

(١) المدري: ما يسوى به الشعر.

(٢) قال فى النهاية: لا يريد شيئا مصنوعاً على صورة بقرة، ولكنه ربما كان قدراً كبيرة واسعة ، فسماها بقرة، مأخوذ من التبقر وهو التوسع، أو كان شيئا يسع بقرة تامة فسميت بذلك.

تقاعست[1] من أجله، قال: يا أمه اقتحمى، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الأخرة فاقتحمت.

• قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار: عيسي بن مريم ، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون. وفى صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب[2] الأحمر، وهو قائم يصلي فى قبره».

• وبإسناد صحيح عند أبي يعلي من حديث ابن عباس قال: «ورأى الدجال[3] فى صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام، وعيسي وموسي وإبراهيم فسئل النبي ﷺ عن الدجال؟ فقال: رأيته فيلمانيا[4] أقمر هجانا[5] أحدى عينيه قائمة، كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة».

دخوله بيت المقدس والصلاة فيه :

• وفى صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس: «.. حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة».

• وبإسناد صحيح عند النسائي «ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل عليه السلام حتى أممتهم».

• وفى صحيح مسلم من رواية ابن مسعود: وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا

---

(١) أي: تأخرت وتوقفت من إلقاء نفسها، يقال: تقاعس عن الأمر إذا تأخر ولم يتقدم فيه.

(٢) الكثيب: التل من الرمال.

(٣) الدجال: هو الذى سيظهر آخر الزمان، وأصل الدجال الخلط، من أبنية المبالغة أي يكثر من الكذب والتلبيس.

(٤) الفيلم: قال فى النهاية: عظيم الجثة، والفَيْلم: الأمر العظيم.

(٥) أي: شديد البياض.

موسي قائم يصلي، فإذا رجل ضرب[1] جعد[2] كأنه من رجال شنوءة[3]، وإذا عيسي ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد: هذا مالِك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأنى بالسلام»

• وفى صحيح مسلم (١٦٦) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادى الأزرق بين مكة والمدينة فقال: أي واد هذا؟ فقالوا: هذا وادى الأزرق قال: كأنى أنظر إلى موسي هابطا من الثنية[4]، واضعا إصبعيه فى أذنيه، وله جؤار[5] إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرشي[6]، فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا: هرشي قال: كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة[7] عليه جُبة من صوف، خطام ناقته ليف خُلبة[8]، ماراً بهذا الوادى يلبي».

---

(١) قال القاضي عياض: الضرب: هو الرجل بين الرجلين فى كثرة اللحم وقلته. وقال النووى: قال أهل اللغة: هو الرجل خفيف اللحم.

(٢) جعد: قال النووى: «قال صاحب التحرير: فيه معنيان، أحدهما: هو اكتناز الجسم كما ذكرناه فى عيسي عليه السلام والثانى جعودة الشعر قال: والأول أصح لأنه قال فى رواية أبى هريرة فى الصحيح أنه رجل الشعر هذا كلام صاحب التحرير، والمعنيان جائزان، وتكون جعودة الشعر على المعنى الثانى ليست جعودة القطط، بل معناها بين القطط والسبط».

(٣) شنوءة: قبيلة معروفة، ويقال سموا بذلك لأنهم تشانأوا وتباعدوا وقال الجوهري: الشنوءة التقزز وهو التباعد من الأدناس، ومنه أزد شنوءة وهم حي باليمن.

(٤) الثنية: هى الجبل.

(٥) الجؤار: رفع الصوت.

(٦) ثنية هرش: جبل فى طريق الشام بين مكة والمدينة.

(٧) جعدة: مكتنزة اللحم.

(٨) الخطام هو الجبل الذى يقاد به البعير، يجعل على خطمه، وخلبة: هو الليف.

ورأيت عيسي شابًا أبيض، جعد الرأس، حديد البصر [1] مبطن الخلق [2] ، ورأيت موسى أسحم [3] آدم، كثير الشعر، شديد الخلق، ونظرت إلى إبراهيم، فلا أنظر إلى إرب [4] من إربة إلا نظرت إليه منى، كأنه صاحبكم، فقال جبريل عليه السلام سلم على مالِكٍ، فسلمت عليه».

• وبإسناد صحيح عند أحمد والحاكم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى قال: فتذاكروا أمر الساعة، فردها آمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، وردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلا يعلمها أحد إلا الله، ذلك وفيما عهد اليّ ربي عز وجل أن الدجال خارج قال: ومعي قضيبين فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله حتى إن الحجرَ والشجر يقول: يا مسلم إن تحتى كافرا فتعال فاقتله قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم، ولا يأتلون على شئ إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه ثم يرجع الناس إليّ فيشكونهم، فأدعوا الله عليهم فيهلكهم الله ويميتهم ، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم قال: فينزل الله المطر، فتجرف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ثم تنسف الجبال، وتمد الأرض مد الأديم قال: ففيما عهد اليّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارًا».

وبإسناد حسن في سنن الترمذى من رواية بريدة: لما كان ليلة أسري بي، انتهيت إلى بيت المقدس قال جبريل بإصبعه فخرق بها الحجر» وفى رواية «فخرق جبريل الصخرة بإصبعه وشد بها البراق».

---

(١) أي: قويه.

(٢) أي: ضامر البطن.

(٣) أسحم: أسود، وهو الآدم أيضًا.

(٤) الأرب: العضو.

عروجه السموات السبع:

السماء الأولى:

• وفى صحيح مسلم من رواية ثابت البُنانى عن أنس وفيه «ثم عرض بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير»

• وعند البخاري من رواية شريك عن أنس «ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابًا من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد. قال: وقد بعث؟ قال: نعم. قالوا: فمرحبا به وأهلاً ، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم».

• وفى الصحيحين من رواية مالك بن صعصعة «ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال: ففتح لنا وقال: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هَذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام وقال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح».

• وفى الصحيحين من رواية أبي ذر: «ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ. فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد علي يمينه أسودة، وعلي يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى. فقال: مرحبا بالنبي الصالح. والابن الصالح قلت: لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى».

السماء الثانية

وفى صحيح مسلم من رواية ثابت البنانى عن أنس «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. قال: ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهم فرحبا ودعوا لي بخير».

السماء الثالثة:

وفى صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس «ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. قال: ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير».

السماء الرابعة:

• وفى صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة: فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعالي بخير، قال الله عز وجل ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧].

• وفى الصحيحين من رواية أبي ذر: فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. قلت: من هذا؟ قال: إدريس.

• وبإسناد صحيح للطبرانى في الأوسط من حديث جابر «مررت ليلة اسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله عز وجل».

وعند ابن مردويه بلفظ: مررت على جبريل في السماء الرابعة فإذا هو كأنه حلس بال من خشية الله».

السماء الخامسة:

وفى صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس: ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون ، فرحب ودعا لي بخير».

السماء السادسة:

وفى صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس «ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه: قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى، فرحب ودعا لي بخير»

• وفى الصحيحين من رواية مالك بن صعصعة «ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فسلمت عليه قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكي قيل له: ما يبكيك؟ قال: رب ، هذا الغلام الذي بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتى»

• وعند البخاري من رواية شريك» «فقال موسى: رب لم أظن أن ترفع عليّ أحدًا».

• وبإسناد صحيح عند الترمذى من حديث ابن عباس قال: «لما أسري بالنبي ﷺ جعل يمر بالنبي والنبيين ومعهم الرهط، والنبي والنبيين معهم أحد، حتى مر بسواد عظيم. قال فقلت: من هذا؟ قيل: موسى وقومه ولكن ارفع رأسك وانظر قال: فإذا هو سواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجانب ومن ذا الجانب. فقيل: هؤلاء أمتك، وسوي هؤلاء من أمتك سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. فدخل ولم يسألوه، ولم يفسر لهم. فقالوا: نحن هم؟ وقال قائلون: هم أبناء الذين ولدوا على الفطرة والإسلام؟» فخرج النبي ﷺ فقال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلي ربهم يتوكلون. فقال عكاشة بن محصن: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: نعم. ثم جاء آخر فقال: أنا منهم؟ قال: سبقك بها عكاشة».

السماء السابعة:

• وفى صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس «ثم عرج بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

• وفى الصحيحين من رواية مالك بن صعصعة «فلما خلصت فإذا إبراهيم. قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم».

• وبإسناد حسن عند الترمذى وأحمد من حديث ابن مسعود «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، وعند أحمد من حديث أبى أيوب «مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طهور، وأرضها واسعة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

رؤية الجنة والنار

• وبإسناد حسن عند أحمد من رواية ابن عباس: «ليلة أسري بنبي الله ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وخشاً. فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس: قد أفلح بلال رأيت كذا وكذا....». ونظر إلى النار فإذا قوم يأكلون الجيف. قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ورأي رجلاً أحمر أزرق جداً، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة».

• وبإسناد حسن عند أحمد من حديث أنس: «رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك

يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون؟

• وبإسناد صحيح عند أبي داود وأحمد من حديث أنس «قال رسول الله ﷺ لما عرج بي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

• وفي الصحيحين من حديث أبي ذر: «ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

• وفي صحيح البخاري من حديث أنس «قال رسول الله ﷺ «لما عرج بي إلى السماء بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر الذي أعده ربك ، فإن طينه مسك أذفر».

سدرة المنتهى:

• وفي صحيح مسلم من رواية ثابت عن أنس «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها».

• وفي الصحيحين من رواية مالك بن صعصعة «ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار ، نهران باطنان، ونهران ظاهران. فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات».

ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن ، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك وفي رواية مسلم «ثم أتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن فعرضا عليّ فاخترت اللبن فقيل: أصبت ، أصاب الله بك، أمتك على الفطرة».

• وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «ورأيت إبراهيم ، وأنا أشبه ولده به قال: فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقيل لي: خذ أيهما شئت فأخذت اللبن

فشربته، فقال: هديت للفطرة أو أصبت الفطرة ، أما أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

• وفى الصحيحين من رواية أبي ذر: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام».

• وبإسناد صحيح عند ابن جرير من رواية أنس «ثم انتهيت إلى السدرة، وأنا أعرف أنها السدرة، أعرف ورقها وثمرها. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت حتى ما يستطيع أحد أن يصفها». وفى رواية لأحمد «فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتًا أو زمردًا أو نحو ذلك».

• وفى صحيح مسلم من رواية ابن مسعود «لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السادسة، إليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها قال: «إذ يغشى السدرة ما يغشي» قال: فراش من ذهب.

وفيه أيضًا: «عن زر بن حبيش فى قوله تعالى «فكان قاب قوسين أو أدنى» قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح». وفيه أيضا في قوله «ما كذب الفؤاد ما رأى». قال: رأى جبريل له ستمائة جناح». وقوله ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝ ﴾ [النجم:١٨]. قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح».

• وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة «ولقد رآه نزلة أخرى» قال: رأى جبريل.

• وفيه أيضًا عن ابن عباس قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى»، «ولقد رآه نزلة أخرى» قال: رآه بفؤاده مرتين».

• وفيه أيضًا عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين: أنظريني ، ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: «ولقد رآه بالأفق المبين»، «ولقد رآه

نزلة أخرى»، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].. ولمسلم أيضاً عن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله: «ثم دنا فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى» قالت: إنما ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فسد أفق السماء».

عطاء الله وفرض الصلاة:

• وفي الصحيحين عن ثابت عن أنس «فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عنى خمسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».

• وفي صحيح البخاري من رواية شريك: «فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسي فقال: يا محمد: ماذا عهد إليك ربك قال: عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة. قال: إن أمتك لا تستطيع

ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره، فأشار إليه جبريل أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار ، فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنى عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد، والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبا وأبدانا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل».

• وفى الصحيحين من رواية مالك بن صعصعة ذكر فرض الخمسين صلاة حتى وصلت إلى خمس «فقال موسي: «إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد معالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم قال: فلما جاوزت نادي مناد: أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادي، وأجزى الحسنة عشرا».

• وفى صحيح مسلم من رواية ابن مسعود (فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطى الصلوات، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات»

العودة وإخبار قريش:

• في الصحيحين عن جابر – رضي الله عنه – قال: «لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

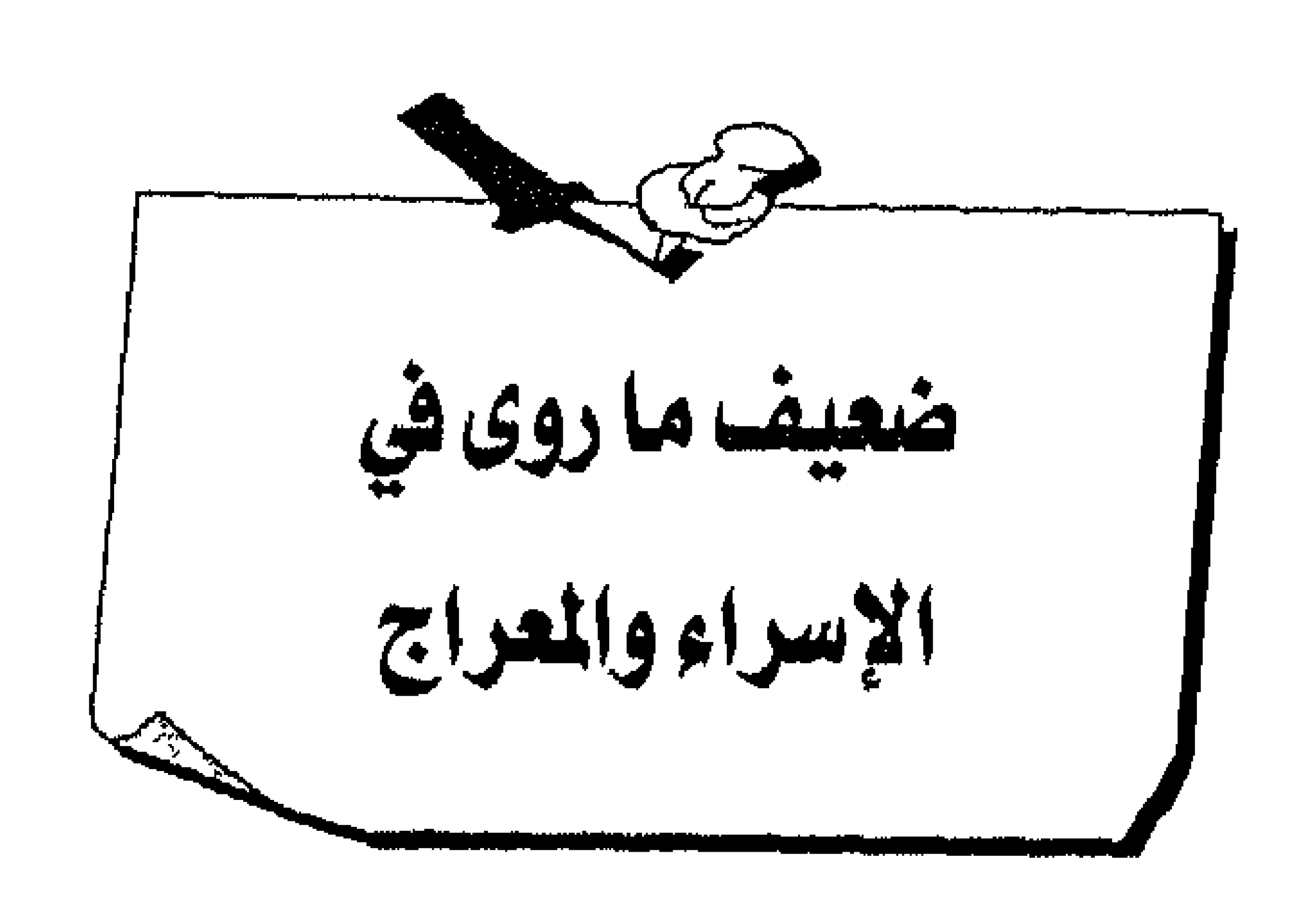
وبإسناد صحيح عند أحمد من رواية ابن عباس قال: «أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره، وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم ، فقال ناس نحن لا نصدق محمدا بما يقول، فارتدوا كفارًا، فضرب الله رقابهم مع أبي جهل ، وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمرا وزبدا فتزقموا».

• وبإسناد صحيح عند أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لما كان ليلة

أسري بي، وأصبحت في مكة، فظعت بأمري ، عرفت أن الناس مكذبي، قال فقعد معتزلا حزينا، فمر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ: هل كان من شئ؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: وما هو؟ قال: إنه أسري بي الليلة قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: نعم. قال: فلم يره أنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث أن دعا قومه إليه قال: أرأيت أن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم ، فقال: هيا يا معشر بنى كعب بن لؤى، حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ إنى أسري بي الليلة. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجب، قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد، وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقار – أو عقيل– فنعته وأنا أنظر إليه: قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب».

• وبإسناد حسن عند الحاكم من حديث عائشة قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمى أبو بكر الصديق».

• وفى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثلها قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شئ، إلا أنبأتهم به».



أ/ أحمد حسنين

جمعت كل الأحداث التي لم تثبت في الإسراء والمعراج ورتبتها في سياق واحد حتى يحذرها الداعية والخطباء، فقد وجدت كثيرًا منهم يحتجون بها على المنابر فهذه الأحاديث مع بيان ضعفها:

- حديث أنس من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك، أورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٦) من طريق ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد ابن أبي مالك عن أبيه عن أنس... قال ابن كثير وهذا سياق فيه غرائب عجيبة.

قلت: إسناده ضعيف فيه خالد بن يزيد. قال فيه أحمد وابن معين: ليس بشيء. وقال ابن معين: بالعراق كتاب ينبغي أن يدفن وبالشام كتاب ينبغي أن يدفن، فأما الذي بالعراق فكتاب التفسير عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأما الذي بالشام فكتاب الديات لخالد بن يزيد بن أبي مالك، لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على أصحاب رسول الله ﷺ.

- حـديث أنـس مـن طريـق عبـد الـرحمن بـن هاشـم أخرجـه البيهقـي في الـدلائل (٢/ ٢٦٢)، وابن جرير (١٥/ ٦)، قال ابـن كـثير في تفـسيره (٣/ ٥): «وفي بعـض ألفاظه نكارة وغرابة».

وقال الألباني:وعلته عبد الرحمن بن هاشم هذا فإني لم أجد من ترجمه، ومن طريقـه أورده السيوطي في الخصائص (١/ ٣٨٧)

- حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٩٠) وابن أبـي حـاتم كما في تفسير ابن كـثير (٣/ ١٣)، وذكـره الـذهبي في الـسيرة النبويـة (ص ٢٧٥)، والسيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٦٧) كلهم من طريق أبي هـارون العبـدي، وهذا إسناد ضعيف جدا فيه أبو هارون العبدي مضعف عند الأئمة.قال الـذهبي في الميزان (٣/ ١٧٣) «تابعي لين بمرة، كذبه حماد بن زيد، وقال شعبة لئن أقدم فتضرب عنقي أحب إلى من أن أحدث عن أبي هارون. وقال أحمد ليس بـشيء، وقـال ابـن معـين: ضـعيف لا يـصدق في حديثـه، وقـال النـسائي مـتروك الحـديث، وقـال الجوزجاني: أبو هارون كذاب مفتر».
- حديث شداد بن أوس: أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٧٠)، والبـزار والطبرانـي في الكبير كما في مجمع الزوائد (١/ ٧٤) وابن أبـي حـاتم كمـا في تفـسير ابـن كـثير (٣/ ١٤) كلهـم من طريق إسحاق بن العلاء الزبيـدي بـن زريـق، عـن عمـرو بـن الحارث عن عبدالله بن سلام الأشـعري عـن محمـد بـن الوليـد حـدثنا الوليـد بـن عبدالرحمن بن جبير حدثنا شداد بن أوس به.قال البيهقي: إسـناده صـحيح وتعقبـه الذهبي فقال: «ابن زريق تكلم فيه النسائي، وقال أبو حاتم: شيخ ». قال الحـافظ في التقريب: صدوق يهم كثيرا، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب. وقال النسائي: ليس بثقة اذا روى عن عمرو بن الحارث.
- حديث ابن مسعود مـن طريـق قتـادة بـن عبـد الله التيمـي: أخرجـه ابـن كـثير في تفسيره(٣/ ١٦) من طريق الحسن بن عرفة في جزئه المشهور من طريق قتادة حـدثنا

أبو ظبيان الجنبي. وفي هذا الحديث علتان، الأولى: الانقطاع بين أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود وأبيه فإنه لم يسمع منه، والأخرى: جهالة قتادة بن عبدالله التيمي.

- حديث أبي هريرة من طريق أبي الصلت: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٣)، وابن ماجة (٢٢٧٣)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٠٧) وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وجهالة أبي الصلت.
- وحديث أبي هريرة من طريق أبي جعفر الرازي: أخرجه ابن جرير والبيهقي في الدلائل وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠) وقال ابن كثير: «أبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة يهم في الحديث كثيرا وقد ضعفه غيره أيضا ووثقه بعضهم، والظاهر أنه سيء الحفظ ففيما تفرد به نظر. وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ». وقال الذهبي في السيرة النبوية (ص ٢٧٧) «تفرد به أبو جعفر الرازي وليس هو بالقوي والحديث منكر يشبه كلام القصاص، إنما أوردته للمعرفة لا للحجة ».
- حديث أم هانئ: أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٧٦) «فيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك كذاب».
- حديث صهيب: قال الهيثمي في الزوائد (١/ ٧٨) رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده ابن لهيعه.
- حديث عبد الرحمن بن قرط: قال الهيثمي في الزوائد (١/ ٧٨): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسكين بن ميمون ذكر له الذهبي هذا الحديث وقال انه منكر».
- حديث علي بن أبي طالب: أخرجه البزار (٣٥٢- كشف الأستار)، وقال الهيثمي في الجمع (١/ ٣٢٩) «فيه زياد بن المنذر وهو مجمع على ضعفه». وقال في التقريب: رافضي كذبه ابن معين.

- حديث عمر بن الخطاب: أخرجه أحمد (١/ ٣٨) وفي إسناده عيسى بن سنان ضعفه ابن معين وأحمد وأبو زرعة.
- حديث عبدالله بن أسعد بن زرارة: قال الهيثمي في المجمع (١/ ٧٨) «رواه البزار وفيه هلال الصيرفي عن أبي كثير الأنصاري لم أر من ذكرهما».
- حديث ابن عمر: قال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٢٩): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه طلحة بن زيد نسب إلى الوضع».

ولنبدأ في تفصيل هذه الأحاديث الضعيفة.

- **البداية:**

- ما روي أن ميكائيل كان معه، وأن جبريل قال له، ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس (أبو هريرة).
- ما روى أن أم هانئ أنها قالت: بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع من النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش» (أم هانئ).
- أن جبريل ختم بين كتفيه بخاتم النبوة بعد شق صدره ﷺ (أبو هريرة).
- لما شق صدره ، نزع ما كان فيه من غل» (أبو هريرة).

البراق

- ما روى في وصفه: «وجهه كوجه الإنسان، وجسده كجسد الفرس، وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال، وروى: جسده كجسد الإنسان، وذنبه كذنب البعير، وعرفه كعرف الفرس، وقوائمه كقوائم الإبل، وأظلافه كأظلاف البقر، وصدره ياقوتة حمراء، وظهره درة بيضاء ، له جناحان في فخذيه» (ابن عباس).
- ما روى في سبب استصعاب البراق، فقد قال الحافظ: «من الأخبار الواهية أن البراق لما عاتبه جبريل عليه السلام اعتذر إليه بالبراق بأنه مس الصفراء اليوم، وأن الصفراء صنم من ذهب عند باب الكعبة، وأن النبي ﷺ مرَّ به فقال: تبا لمن يعبدك

من دون الله» ، وأن النبي ﷺ نهى زيد بن حارثة أن يمسه بعد ذلك، وكسره يوم الفتح» وقال الإمام أحمد: هو موضوع.

الرحلة إلى بيت المقدس

- كان الآخذ بركابه جبريل، وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية «جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره»، والصحيح أن جبريل كان راكبًا معه.

مشاهد كثيرة رويت في طريقه إلى بيت المقدس:

١) بينما هو يسير علي البراق إذ رأي عفريتا من الجن، يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل: ألا علمك كلمات تقولهن، فإذا قلتهن طفئت شعلته وخرّ لِفيه؟ فقال رسول الله ﷺ: بلي فقال جبريل: «قل أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شر ما ينزل عن السماء، ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شرفتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن. فانكبّ لفيه وانطفأت شعلته».

٢) روى أنهم أتوا على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه.

٣) ثم أتوا على قوم ترضخ رءوسهم ، كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة

٤) ثم أتوا على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم، ورضف جهنم وحجارتها فقال: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئا.

٥) ثم أتوا على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور، ولحم آخر نيئ خبيث، فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج فقال: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي المرأة الخبيثة ، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تكون عند زوجها حلالاً طيبا فتأتى رجلا خبيثًا فتبيت معه حتى تصبح.

٦) ثم أتوا على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شئ إلا خرقته فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا قوله ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾ [لأعراف: من الآية٨٦]

٧) ثم أتوا على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال:ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها.

٨) ثم أتوا على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها.

٩) ثم أتوا على واد فوجدا ريحاً طيباً باردة، وريح مسكٍ، وسمع صوتا فقال: يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة ، وما هذا المسك وما هذا الصوت؟ فقال: هذا صوت الجنة تقول: يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفى واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلوي ومرجاني وفضتي وذهبي، وأكوابي وصحافي وأباريقي وكؤوسي وعسلي ومائي ولبنى وخمري فائتني بما وعدتني فقال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن برسلي وعمل صالحًا ولم يشرك بي شيئا.. قالت رضيت

١٠) ثم أتوا على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال: ما هذه الريح وما هذا الصوت؟ فقال: هذا صوت جهنم تقول: يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي، وقد بعد قعري

واشتد حري فاتني ما وعدتني قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت: قد رضيت.

هذه الصور العشرة وردت في حديث أبي هريرة وهو ضعيف جداً في إسناده أبو جعفر الرازي وهو ضعيف جداً.

١١) أنه لما وصلا صرحة المسجد قال جبريل: يا محمد! هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ فقال: نعم قال: فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن، وهن جلوس عن يسار الصخرة، قال: فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن عليّ السلام فقلت: من أنتن؟ فقلن: نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا، وخلدوا فلم يموتوا» (حديث أنس وفيه خالد بن يزيد)

١٢) أنه مر بعجوز على جانب الطريق فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول: هلم يا محمد فقال له جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير قال فلقيه خلق من خلق الله فقالوا: السلام عليك يا أول السلام، السلام عليك يا آخر السلام ، السلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: اردد السلام يا محمد، فرد السلام.. ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام» (حديث أنس وفيه عبد الرحمن بن هاشم)
وفى رواية أبي سعيد الخدري «دعانى داعٍ عن يمينى ، ثم دعانى داعٍ عن يساري، ثم أتى بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت: يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت إليها ثم قال لي جبريل: داعي اليمين داعي اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك، وداعي اليسار داعي النصارى لو أجبته لتنصرت أمتك، والمرأة الحاسرة هي الدنيا، ولو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة».

١٣) أنه مر على موسى عليه السلام وهو يرفع صوته يقول: أكرمته وفضلته، قال:

فدفعنا إليه، فسلمنا عليه فرد السلام، فقال: من معك يا جبريل؟ قال: أحمد قال: مرحبا بالنبي العربي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ثم اندفعنا فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى بن عمران قال: قلت: ومن يعاتب؟ قال: يعاتب ربه فيك، قلت: ويرفع صوته على ربه؟ قال: إن الله قد عرف له حدته» (ابن مسعود)

١٤) قال: ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج تحتها شيخ وعياله، فقال لي جبريل: اعمد إلى أبيك إبراهيم، فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام ثم قال إبراهيم لجبريل: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا ابنك أحمد. قال: مرحبا بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته يا بنى إنك لاق ربك الليلة ، وان أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل (ابن مسعود).

دخول بيت المقدس ولقاء الأنبياء:

- اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن: أقيمت الصلاة. قال: فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم، فلما انصرفت قال جبريل: يا محمد: أتدري من صلى خلفك؟ قال: قلت: لا ، قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل» (أنس من طريق خالد بن يزيد).
- ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة» (أنس من طريق عبد الرحمن بن هاشم).
- قال: «ثم دخلت أنا وجبريل عليه السلام بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين، ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بنى آدم، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج، ما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء، فإنما يشق بصره عجب بالمعراج» (حديث أبي سعيد).
- «فربط فرسه إلى الصخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا:

يا جبريل من هذا معك؟ قال: محمد ﷺ. قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم. فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكًا عظيمًا وجعلني أمة قانتا يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها عليّ بردًا وسلاما ثم أثنى موسى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون، ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكًا عظيمًا وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب. ثم إن سليمان أثنى علي ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير، وآتاني من كل شئ فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير وفضلني علي كثير من عباده المؤمنين، وآتاني ملكًا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعدى وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب.

ثم إن عيسي أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى جعلني كلمته، وجعل مثلي كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال: ثم إن محمدا ﷺ أثنى على ربه فقال: كلكم أثنى علي ربه وإني مثن علي ربي فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرًا ونذيرا، وأنزل علي الفرقان فيه بيان لكل شئ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتي أمة وسطا، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون، وشرح لي صدري، ووضع عنى وزري، ورفع لي

ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد ﷺ» (حديث أبي هريرة).

- أن عمر بن الخطاب قال لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم بسط رداءه وكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس» (حديث عمر).
- «ثم أتى بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بنى آدم، فلم ير الخلق أحسن من المعراج له مَرْقاة من فضة ومَرْقاة من ذهب وفى رواية لأبي سعيد في كتابه «شرف المصطفي» أنه أتى بالمعراج من جنة الفردوس مُنضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة».

صعوده إلى السموات:

- في السماء الأولى: «وصعدت أنا وجبريل، فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل: وهو صاحب السماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك قال: قال عز وجل «ما يعلم جنود ربك إلا هو» (حديث أبي سعيد)
- ثم بعد لقاء آدم عليه السلام، روى بإسناد ضعيف أنه:

١) رأى أخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد، وإذا أخونة أخرى عليها لحم أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام»

٢) ثم مضى هنيهة فإذا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال: فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك اللحم ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء من أمتك يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرا»

٣) ثم مضى هنيهة فإذا بنساء تعلقن بثديهن فسمعهن يضججن إلى الله عز وجل

قلت: يا جبريل: من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك

٤) ثم مضى هنيهة فإذا أقوام بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خر فيقول: اللهم لا تقم الساعة، وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجيء السابلة فتطؤهم، قال: فسمعهم يضجون إلى الله، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس».

٥) ثم مضى هنيهة فإذا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الهمازون من أمتك اللمازون.

كل ما سبق في حديث أبي سعيد الخدري، وهو حديث ضعيف جدًا كما تقدم.

وفى رواية أبي هريرة: «فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شئ كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكي وحزن، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: فقال: هذا أبوك آدم ، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، فإذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكي وحزن» (حديث أبي هريرة من طريق أبي جعفر)

- **وفى السماء الرابعة:** ما ورد فى معنى قوله «ورفعناه مكاناً عليا»

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٣٣):

«واستشكل بعضهم بأن غيره من الأنبياء أرفع مكانا منه، ثم أجاب أن المراد أنه لم يرفع إلى السماء من هو حي غيره، وفيه نظر لأن عيسي أيضاً قد رفع حيا، وهو حي علي الصحيح، وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقد روى الطبري أن كعبا قال لابن عباس في قوله تعالى «ورفعناه مكانا عليا» أن إدريس سأل صديقا له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت

فقال له: أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس؟ قال: وأين إدريس؟ قال: هو معي فقال: إن هذا لشيء عجيب، أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة: فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض؟ فقبض روحه، فذلك قوله تعالي: «ورفعناه مكاناً عليا» وهذه من الإسرائيليات والله أعلم بصحة ذلك؟

وقال ابن كثير في البداية (١/ ٩٣): «وهذا من الإسرائيليات وفى بعضه نكارة»

- وروى أنه رأى في السماء الخامسة هارون ونصف لحيته بيضاء، ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سرته من طولها، قال: قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا المحبب فى قومه، هذا هارون ومعه نفر من قومه» (حديث أبي سعيد وأبي هريرة)
- وروى عنه فى السماء السادسة بعد ترحيب موسى عليه السلام به بكى، فقال النبي ﷺ لجبريل: ما يبكيه؟ قال يزعم بنو إسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله عز وجل ، وهذا رجل من بنى آدم خلفنى فى دنيا وأنا فى أخري فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته» (حديث أبي هريرة)

وفى رواية أبي سعيد «صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسي بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصا لنفذ شعره دون القميص، فإذا هو يقول يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله منى».

- وروى فى السماء السابعة أنه رأى إبراهيم ومعه نفر من قومه، وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب سود قال: فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض، وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب السود، وهم على خير فصليت أنا في البيت المعمور، ثم خرجت أنا ومن معي» (حديث أبو سعد)
- وروي فى سدرة المنتهى قوله» فإذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الأمة، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران: أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر» (حديث أبى سعيد)

- وفى رواية أبي هريرة: «ثم انتهى إلى سدرة المنتهى، فقيل له هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك. فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهى شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها، والورقة منها تغطى الأمة كلها، قال: فغشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين وقع على الجرة من حب الرب تبارك وتعالى، قالوا فكلمه الله عند ذلك فقال له سل، فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيت سليمان ملكاً وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيت له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل، فقال له الرب عز وجل: وقد اتخذتك خليلاً وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن – وأرسلناك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقوامًا قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعا من المثانى لم يعطها نبي قبلك... إلى آخره.
- وذكر مراجعة موسى له فى تخفيف الصلاة ثم قال: «وكان موسي عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به، وخيرهم له حين رجع إليه».

رؤية الجنة والنار

- روي أنه دخل الجنة، فرأى على بابها مكتوبا: «الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر فقال يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل

يسأل عنده، والمستقرض لا يسأل إلا من حاجة

- ثم استقبلتني جارية فقلت: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لزيد بن حارثة.
- وروى في وصف الجنة بأن رمانها الدلاء عظمًا، وإذا بطيرها كأنها بختكم هذه وفى رواية «وإذا فيها رمان كأنه جلود الإبل المقَتَّبة، وإذا بطيرها كالبخاتى فقال أبو بكر: يا رسول الله إن تلك الطير لناعمة؟ قال: أَكْلتُها أنعم منها وإني لأرجو أن تأكل منها»

كل ما تقدم في رواية أبي سعيد الخدري.

- قال: ثم عرضت عليّ النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها
- وفى رواية لأبي هريرة «رأيت ليلة أسري بي لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق قال: وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت ، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء آكلوا الربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منى فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحمون على أعين بنى آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب».

رجوعه وإخبار قريش بالإسراء

- ما روي في حديث أبي سعيد « ثم ركب منصرفا فبينما هو في بعض الطريق، مر بعير قريش تحمل طعاما منها جمل عليه غرارتان، غرارة سوداء وغرارة بيضاء، فلما حازى البعير نفرت منه واستدارت وصح ذلك البعير وانكسر، ثم أنه مضى فأصبح فأخبر عما كان، فلما سمع المشركون قوله، قالوا له: ما علامة ما تقول؟ قال: مررت بعير كذا وكذا فنفرت الإبل.. فلما قدمت العير فأخبروهم الخبر كما قال النبي ﷺ (حديث أنس وشداد بن أوس).

ما روي في عروج النبي ﷺ إلى العرش:

جاء في نهاية الإيجاز فى سيرة مساكن الحجاز للشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٣٩):

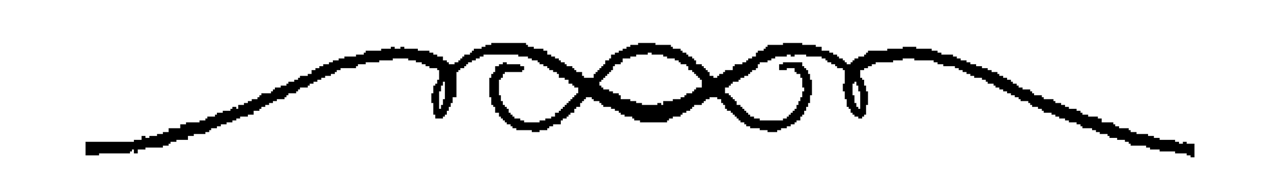
«قال الماوردي: لم يرد في أحاديث المعراج الثابتة أنه ﷺ عرج به إلى العرش تلك الليلة ، بل لم يرد فى حديثه ﷺ أنه جاوز سدرة المنتهى، بل انتهى إليها.

وقد سئل الشيخ رضى الدين القزويني رحمة الله عن وطء النبي ﷺ العرش بنعله، وقول الرب جل جلاله «لقد شرف العرش بنعلك يا محمد» هل ثبت ذلك أم لا؟ فأجاب بما نصه «أما حديث وطء النبي ﷺ العرش بنعله فليس بصحيح، وليس بثابت، بل وصول النبي ﷺ إلى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن، ولا ثابت أصلاً وإنما صح في الأخبار انتهاؤه إلى سورة المنتهى فحسب، وأما إلى ما وراءها فلم يصح ،إنما ورد ذلك في أخبار ضعيفة أو منكرة»

قال النجم الغيطي رحمه الله: وقد رأيت بخط بعض المحدثين بعد نقله كلام الشيخ رضي الدين رحمة الله: هو الصواب، وقد وردت قصة الإسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا وليس في حديث أحد منهم أنه كان تلك الليلة في رجله نعله، وإنما وقع ذلك في نظم القصاص الجهلة إلى أن قال: «وهذا باطل لم يذكر في شئ من الأحاديث بعد الاستقراء التام، ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه رقي العرش وما وقع في بعض الأحاديث التي افتراها بعضهم لا يلتفت إليه، ولا أعلم خبرا ورد فيه أنه ﷺ رأى العرش إلا ما رواه ابن أبي الدنيا عن ابن أبي المخارق أن النبي ﷺ: قال: مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت: من هذا أملك؟ قيل: لا ، قلت: نبي؟ قيل: لا. قلت: من هو؟ قيل: رجل كان فى الدنيا لسانه رطبا من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ، ولم يستسب لوالديه» وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في هذا الباب، وما ذكر فى السؤال (يعنى المتقدم أنه صلى فى العرش بنعله» فقاتل الله من

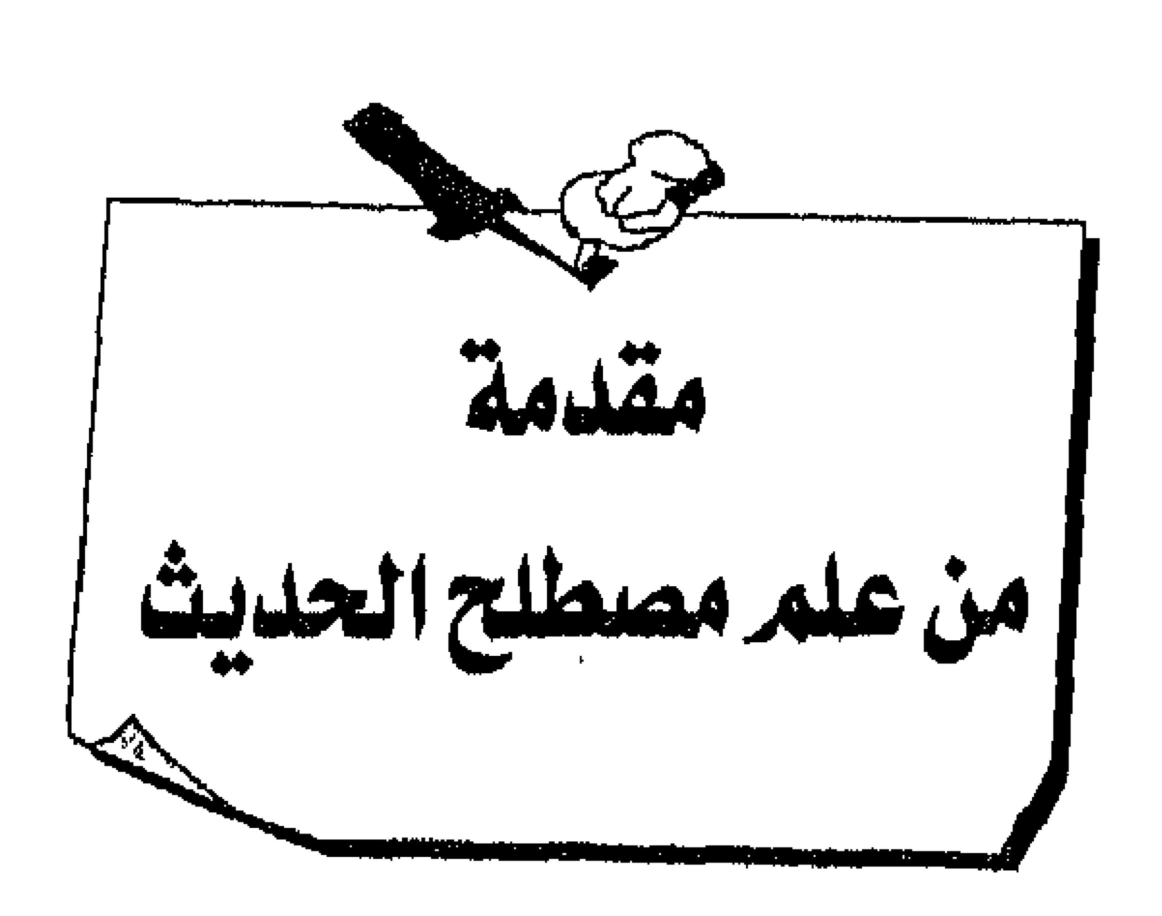
وضعه، وما أعدم حياءه وأدبه، وما أجرأه على اختلاق الكذب على سيد المتأدبين، ورأس العارفين ﷺ».

قلت: حديث ابن أبي المخارق أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» (رقم ٩٥) قال حدثنا عبد الله ذكر عون بن إبراهيم الشامي ذكر أحمد بن أبي الحواري ثنا أبو المخارق قال: قال النبي ﷺ فذكره.



أصول الحديث

(٢)



أ/ أحمد حسنين

تدرج علم «أصول الحديث» أو «مصطلح الحديث» عبر التاريخ، ورأيت أن أبدأ بمراحل تطوره، والأدوار التي مر بها حتى عصرنا الحاضر.... ليتعرف الدارس له على الجهود والمناهج التي بذلها سلفنا الصالح في حفظ السنة، وفهم المصطلحات الحديثة في ضوء مراحل تطور علوم الحديث، وهذه الأدوار ثمانية:

الدور الأول: في عهد النبوة:

تم بفضل الله نقل السنة النبوية كاملة بمنهجية علمية دقيقة وتبعًا لقواعد ملائمة لحفظها في كل مرحلة، وهذا يعني بلا شك أن المنهجية في الرواية بدأت عند سماع الحديث من النبي وقد اعتنى النبي بهذا المنهج في تعليم أصحابه، وأعرض هذا المنهج بإيجاز في النقاط التالية:

- **رفع قدر العلم وطلابه:** فقال ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم» متفق عليه، وقال «من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة...» الحديث رواه أبو داود، وقال ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء»، وحرص على ضبط الرواية فقال

«نضر الله امرءا سمع مني حديثاً فأداه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع».

- **التعليم بالتدرج**: كما في حديث ابن عباس قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإن عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم...» متفق عليه.
- **التعليم بالتيسير**: فعن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه – كلمة زجر معناها أمسكت – قال رسول الله ﷺ لا تذرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، قال: فأمر رجلاً بدلو من ماء فشنه أي صبه عليه» متفق عليه، وفي رواية أنه قال «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».
- **التعليم بالتدريب العملي**: وذلك في قوله «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقوله «خذوا عني مناسككم» وفي حديث بريدة أن رجلاً سأله عن وقت الصلاة، فقال له النبي ﷺ «صل معنا هذين – يعني اليومين».... الحديث رواه مسلم.
- **التعليم بحسن التربية**: قال ﷺ «إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم، إذا ذهب أحدكم الخلاء فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستنج بيمينه»، رواه النسائي.
- **التعليم بمراعاة الفروق الفردية**: بوب البخاري في صحيحه «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا» وذكر فيه حديث أنس أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، ثم قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار». قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا

قال: إذاً يتكلوا» متفق عليه.

- **التعليم بالممازحة:** وكان النبي ﷺ لا يقول إلا صدقاً. فعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال: إني حاملك على ولد الناقة. فقال يا رسول الله وما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق» رواه أبو داود والترمذي.
- **رعاية الموهوبين:** وخاصة الشباب كأبي هريرة ومعاذ وابن عمر وابن عمرو وأنس... وغيرهم.
- **تعليم النساء:** وقد خصص لهن وقتاً للتعليم.

جهود الصحابة في تعلم السنة:

حرص الصحابة على الحديث النبوي، سماعه والعمل به وتبليغه، ومن جهودهم في التلقي:

١) الحرص على حضور مجلسه مع الإنصات التام: عن عبد الله بن الزبير: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان؟ قال أما أني لم أفارقه ولكني سمعته يقول: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه. وإذا تعذر حضور تناوبوا كما في حديث عمر رضى الله عنه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك....» متفق عليه.

٢) السؤال عما لم يفهموا، والمراجعة في الأمور المشكلة: فعن علي رضي الله عنه قال: كنت رجلاً مذاء، فأمرت المقداد بن الأسود أن يسأل رسول الله ﷺ فسأله، فقال: فيه الوضوء» متفق عليه.

٣) المعايشة للنبي ﷺ أو المكث عنده فترة زمنية للتعليم: فعن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رحيماً رفيقاً...»

٤) سماع ما يفوتهم من أقرانهم: عن البراء رضي الله عنه قال: ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ كان يحدثنا أصحابنا عنه وكانت تشغلنا عنه رعية الإبل» رواه أحمد.

٥) عرض اجتهاداتهم على النبي ﷺ: كما حدث في قصة سلمان وأبي الدرداء.

٦) حفظ الحديث النبوي: عن أبي هريرة قال: جزأت الليل ثلاثة أجزاء: ثلثا أصلي، وثلثا أنام وثلثا أذكر فيه حديث رسول الله ﷺ» رواه الخطيب في الجامع.

كتابة الحديث في العصر النبوي:

نهى النبي ﷺ عن كتابة الحديث النبوي، لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه».

بيد أن النبي ﷺ رخص لبعض الصحابة بكتابة الحديث كعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله، وذكر العلماء أقوالاً في النهي عن كتابة الحديث، منها أن ذلك كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، وقيل: أن النهي كان في حق من وثق حفظه وخيف اتكاله على الكتابة.

الدور الثاني: السنة في عهد الصحابة حتى نهاية القرن الأول الهجري:

وأهم قوانين الرواية:

١) تقليل الرواية عن رسول الله ﷺ خشية أن تزل أقدام المكثرين بسبب الخطأ أو النسيان، وكان هذا في عهد الخلافة الراشدة، ثم بعد ذلك انتشرت الرواية.

٢) التثبت في الرواية عند أخذها وعند أدائها.

٣) نقد الروايات، وذلك بعرضها على نصوص وقواعد الدين.

ولما وقعت الفتنة... وظهر الوضع زادت جهودهم:

١) فعنوا بالبحث في إسناد الحديث وفحص أحوال الرواة، قال ابن سيرين: لم يكونوا

يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

٢) حث علماء الصحابة الناس على الاحتياط في حمل الحديث عن الرواة، وألا يأخذوا إلا حديث من يوثق به دينا وورعاً، وحفظاً وضبطاً، وشاعت قاعدة: إنما هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذونها.

٣) الرحلة في طلب الحديث، لأجل سماعه من الراوي الأصل، ومن ذلك رحلة جابر بن عبد الله إلى الشام ورحلة أبي أيوب الأنصاري إلى مصر.

ولم ينقض القرن الأول إلا وقد وجدت أنواع من علوم الحديث منها:

(الحديث المرفوع – الحديث المقطوع – الحديث الموقوف – الحديث المتصل – الحديث المرسل – الحديث المنقطع – الحديث المدلس)

الدور الثالث: دور التكامل (١٠٠هـ-٢٠٠هـ):

اكتملت علوم الحديث في هذا الدور، إذ وجدت كلها واحداً واحداً وخضعت لقواعد يتداولها العلماء حيث وجدت في هذا العصر أمور أهمها:

- ضعف ملكة الحفظ في الناس.
- طالت الأسانيد وتشعبت بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث.
- كثرت الفرق المنحرفة: كالمعتزلة والجبرية وغيرهم.

فنهض أئمة الإسلام لمواجهة ذلك ومن جهودهم:

١) التدوين الرسمي للسنة النبوية: وقد أمر به عمر بن عبد العزيز، وقد كتب إلى أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من الحديث عن رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء» رواه البخاري. فكتب ابن شهاب الزهري وأبو بكر بن عبد الرحمن وغيرهما ما في الآفاق، ولم يلبث التدوين المبوب أن انتشر وجمعت الأحاديث في المصنفات والجوامع، كجامع معمر بن راشد (ت ١٥٤هـ)، وجامع

سفيان الثوري (ت ١٦١هـ) وجامع سفيان بن عيينة (١٩٨هـ)، ومصنف عبد الرزاق (ت ٢١١هـ)، ومصنف حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ)، وموطأ الإمام مالك (ت ١٧٦هـ).

٢) توسع العلماء في الجرح والتعديل: وفي نقد الرجال لكثرة شيوع الضعف والوضع، وتفرغ لذلك أئمة منهم شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، وعبد الرحمن بن المهدي (ت ١٩٨هـ) وغيرهم.

٣) توقفوا في قبول الحديث ممن لم يعرف به، ففي صحيح مسلم عن أبي الزناد قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث يقال: ليس من أهله».

٤) تتبعوا الأحاديث لكشف خباياها، ووضعوا لكل صورة جديدة قاعدة تعرفها وتبين حكمها فتكاملت أنواع الحديث ووجدت كلها، واتخذت اصطلاحاتها الخاصة.

ولكن هذه العلوم والضوابط التي وجدت في هذا العصر كانت محفوظة في صدور الرجال ولم يدون شيء منها في كتاب «إلا ما ذكره الشافعي في كتابه الرسالة عن الحديث الذي يحتج به، وشرط فيه شروط الصحيح، وتكلم في شرط حفظ الراوي، والرواية بالمعنى، والمدلس، وتكلم في المرسل وناقش الاحتجاج به.

الدور الرابع: دور التدوين لعلوم الحديث مفرقة:

وذلك من القرن الثالث إلى منتصف القرن الرابع الهجري.

والقرن الثالث هو عصر التدوين (عصر السنة الذهبي) دونت فيه السنة وعلومها تدوينًا كاملاً، وفي مطلع هذا الدور ارتأى العلماء إفراد حديث الرسول ﷺ بالتصنيف، فابتكروا (المسانيد)، ثم جاء البخاري فأفرد الحديث الصحيح ورتبه على أبواب الفقه، وتبعه في إفراد الصحيح تلميذه مسلم ثم ابن خزيمة وابن حبان.

وفي هذا العصر، أصبح كل نوع من أنواع الحديث علماً خاصاً مثل: علم الحديث الصحيح، وعلم المرسل، وعلم الأسماء والكنى، وهكذا، فأفرد العلماء كل نوع منها بتأليف خاص:

كتب ابن معين (٢٣٤هـ) في تاريخ الرجال، وابن سعد (٢٣٠) في الطبقات، وعلى بن المديني وأحمد بن حنبل في «العلل ومعرفة الرجال»، و (الناسخ والمنسوخ).

وأصبح التصنيف أمرًا متبعًا لا ينفك عنه إمام في الحديث، والأئمة أصحاب الكتب الستة كلهم لهم مؤلفات كثيرة في علوم الحديث، وكذلك فعل غيرهم، وكانت تآليفهم تحمل اسم العلم الذي دونت فيه، حتى شمل التدوين كل نوع من أنواع الحديث، وجعل كل كتاب مفرد، وصار يقال لهذه العلوم المتفرقة (علوم الحديث).

واستوفى العلماء المتون والأسانيد دراسة وبحثًا، واشتهرت الاصطلاحات الحديثية لكل نوع من أنواع الحديث، واستقرت بين العلماء. لكن لم توجد في هذا الدور أبحاث تضم القواعد لهذا العلوم، اعتمادًا على حفظهم وإحاطتهم بها، سوى مؤلف صغير وهو كتاب «العلل الصغير» للإمام الترمذي.

الدور الخامس: استقلال تدوين علوم الحديث، والتآليف الجامعة:

ويمتد هذا الدور من منتصف القرن الرابع إلى أوائل القرن السابع:

أكب العلماء في هذه الفترة على تصانيف السابقين التي كانت تجربة أولى في التدوين، فجمعوا ما تفرق في مؤلفات الفن الواحد، واستدركوا ما فات السابقين، معتمدين في ذلك على نقل المعلومات عن العلماء بالسند إليهم، ثم التعليق عليها والاستنباط منها:

فوجدت كتب في علوم الحديث، لا تزال مراجع لا يغني عنها غيرها ومن أهمها:

١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: ألفه القاضي أبو محمد الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هـ)، وهو أكبر كتاب وضع في علوم الحديث حتى ذلك العصر، استوفى فيه مؤلفه آداب الراوي والمحدث وطرق التحمل والأداء، واجتهاد المحدثين في حمل العلم.

٢) معرفة علوم الحديث: لأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، وذكر فيه اثنين وخمسين

نوعًا من علوم الحديث.

٣) الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، استوفى فيه البحث في قوانين الرواية وأبان عن أصولها وقواعدها الكلية، ومذاهب العلماء فيما اختلفت آراؤهم فيه وله أيضًا كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، وأيضًا «الرحلة في طلب الحديث»، وكتاب «تقييد العلم» وغيرها من الكتب حتى قال العلماء: «كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه».

٤) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ).

٥) ما لا يسع المحدث جهله: لأبي حفص عمر بن عبد المجيد الميانجي (ت ٥٨٠هـ).

وقد تميزت تلك الكتب في هذه الفترة بما يلي:

- أنها تعد الكتب الأمهات والأصول لهذا العلم باعتبارها أول ما صنف فيه.
- أنها اهتمت بجمع أقوال السابقين من العلماء بالسند إليهم، مما يعيننا على التأكد من أن هذه هي القواعد التي استخدمها العلماء قبل ذلك.
- أنها كانت مؤلفات تطبيقية في المقام الأول. فكان اهتمامهم بإيراد الأمثلة أكثر من اهتمامهم بتحديد القواعد أو وضع التعريفات.
- أن مؤلفيها كانوا من كبار العلماء، ولهذا ناقشوا القضايا التي كتبوا فيها مناقشة علمية قائمة على الأدلة والبراهين دون الدخول في جدل لفظي.

الدور السادس: دور النضج والاكتمال في تدوين فن (علوم الحديث):

وذلك من منتصف القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري.

وقد بلغ التصنيف لهذا العلم كماله التام فوضعت مؤلفات استوفت أنواع هذا العلم، وجمعت إلى ذلك تهذيب العبارات وتحرير المسائل بدقة، وكان أصحاب هذه التصانيف من الأئمة الكبار الذين أحاطوا بالحديث حفظًا، واضطلعوا من فنونه وأحوال أسانيده ومتونه دراية وعلمًا. وكان رائد هذا التحول العظيم في تدوين هذا الفن الإمام

المحدث الحافظ الفقيه الأصولي أبا عمرو عثمان بن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) في كتابه المشهور «علوم الحديث»، فقد جمع فيه ما تفرق في الكتب السابقة، واستوفى أنواع علوم الحديث، ثم امتاز:

١) بالاستنباط الدقيق لمذاهب العلماء وقواعدهم من أقوالهم المأثورة عنهم.
٢) أنه ضبط التعاريف التي سبق بها وحررها، وأوضح تعاريف لم يصرح بها من قبله.
٣) أنه عقب على أقوال العلماء بتحقيقاته واجتهاداته.
٤) جمع ما تفرق في كتب السابقين، وعمل على استيعاب كل أنواع علوم الحديث، وبلغت في كتابه خمسة وستين نوعًا.
٥) حذف الأسانيد التي امتلأت بها كتب السابقين واكتفى بذكر الأقوال من غير إسناد تخفيفًا على القارئ.

اهتمام العلماء بكتاب ابن الصلاح:

- فمن اختصره: الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) وسماه «الإرشاد»، ثم اختصره النووي هذا المختصر وسماه «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير»، وكذلك اختصر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في كتابه «اختصار علوم الحديث».
- ومن شرح عليه: الإمام زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ) في كتابه «التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح». والحافظ البلقيني في «محاسن الاصطلاح في شرح مقدمة ابن الصلاح).
- وممن شرح المختصرات: الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، حيث شرح مختصر النووي وسماه «تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي»، وأحمد شاكر الذي شرح مختصر ابن كثير في (الباعث الحثيث).
- وممن نظمه شعرًا: الإمام العراقي في (التبصرة والتذكرة) تتكون من ألف بيت عرفت بألفية العراقي، ثم شرحها في كتاب سماه «فتح المغيث بشرح ألفية

الحديث»، كما شرحها الحافظ شمس الدين السخاوي (٩٠٢هـ) في كتابه «فتح المغيث» وهو نفس اسم شرح الحافظ العراقي. وكذلك نظمه السيوطي في ألف بيت عرفت بـ «ألفية السيوطي».

- التعليقات والمراجعات: الحافظ ابن حجر في كتابه «النكت في مقدمة ابن الصلاح» ثم كانت جهود الحافظ ابن حجر في كتابه المختصر «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» ثم شرح في «نزهة النظر في شرح نخبة الفكر. وقد رتب في مختصره علوم الحديث بطريقة علمية سهلة، جعل الأنواع المتقاربة في موضع واحد، ويقسم فيها علوم الحديث تقسيمًا منطقيًا يسهل استيعابها.

الدور السابع: فترة الركود والجمود:

وقد امتد ذلك من القرن العاشر وحتى مصطلح القرن الرابع عشر هجريًا. وكان أكثر التأليف في هذه الفترة عبارة عن بعض المختصرات أو الشروح أو الحواشي، وقل الاجتهاد والتحقيق للكثير من مسائل العلم.

وهذا لم يمنع من وجود بعض العلماء الأفذاذ، ومما ألف:

١) المنظومة البيقونية: لعمر بن محمد البيقوني (ت ١٠٨٠هـ) في ست وثلاثين بيتاً.

٢) توضيح الأفكار: للصنعاني محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢ هـ).

٣) شرح نزهة النظر شرح النخبة: للشيخ علي بن سلطان القارئ (ت ١٠١٤هـ).

ثم قامت نهضة للحديث في ديار الهند خلال هذه الفترة كانت على مستوى عال في البحث والعلم ومن أعلام هذه النهضة:

- العلامة صديق حسن خان (١٣٠٧هـ)، الذي اشتغل بالتأليف ونشر كتب الحديث.
- والشيخ أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) صاحب كتاب «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل».
- العلامة المحدث ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) صاحب كتاب «حجة الله البالغة».

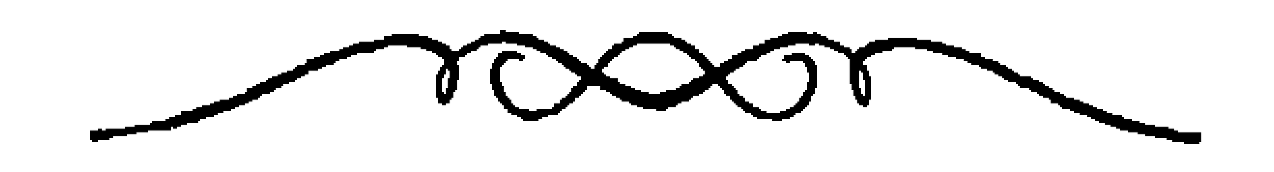
- وشمس الحق العظيم أبادي (ت ١٣٢٩هـ)، مؤلف «عون المعبود شرح سنن أبي داود.
- والعلامة عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) صاحب كتاب «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي».


الدور الثامن: دور اليقظة في العصر الحديث:

ومن مطلع القرن الهجري الرابع عشر إلى وقتنا هذا، تنبهت الأمة وبدأت مرحلة النهوض واليقظة ورأى العلماء إعادة النظر في التراث العلمي الذي كتبه العلماء في مصطلح الحديث وإعادة كتابته بأسلوب مناسب للعصر، وجدد العلماء طريقة التأليف في علوم الحديث.... ومن هذه المؤلفات النافعة:

- قواعد التحديث: للشيخ جمال الدين القاسمي.
- المنهج الحديث في علوم الحديث: للشيخ محمد محمد السماحي.
- المنهل الحديث في علوم الحديث: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر: للشيخ طاهر الجزائري.
- منهج النقد في علوم الحديث: د/ نور الدين عتر.
- الحديث والمحدثون: للشيخ محمد محمد أبو زهو.
- تيسير مصطلح الحديث: د/ محمود الطحان.

وغيرها من الكتب النافعة، فضلاً عن الرسائل العلمية (الدكتوراه والماجستير) في الكليات المختلفة مثل كتاب «التدليس وأثره في الحديث» د/ مسفر، وكتاب «التصحيف وأثره في الحديث والفقه» لأسطيري جمال، وكتاب «الوضع في الحديث» د/ عمر فلاته، وكتاب الحديث المرسل حجيته وأثره في الفقه» د/ محمد حسن هيتو، وغيرها عن الكتب.



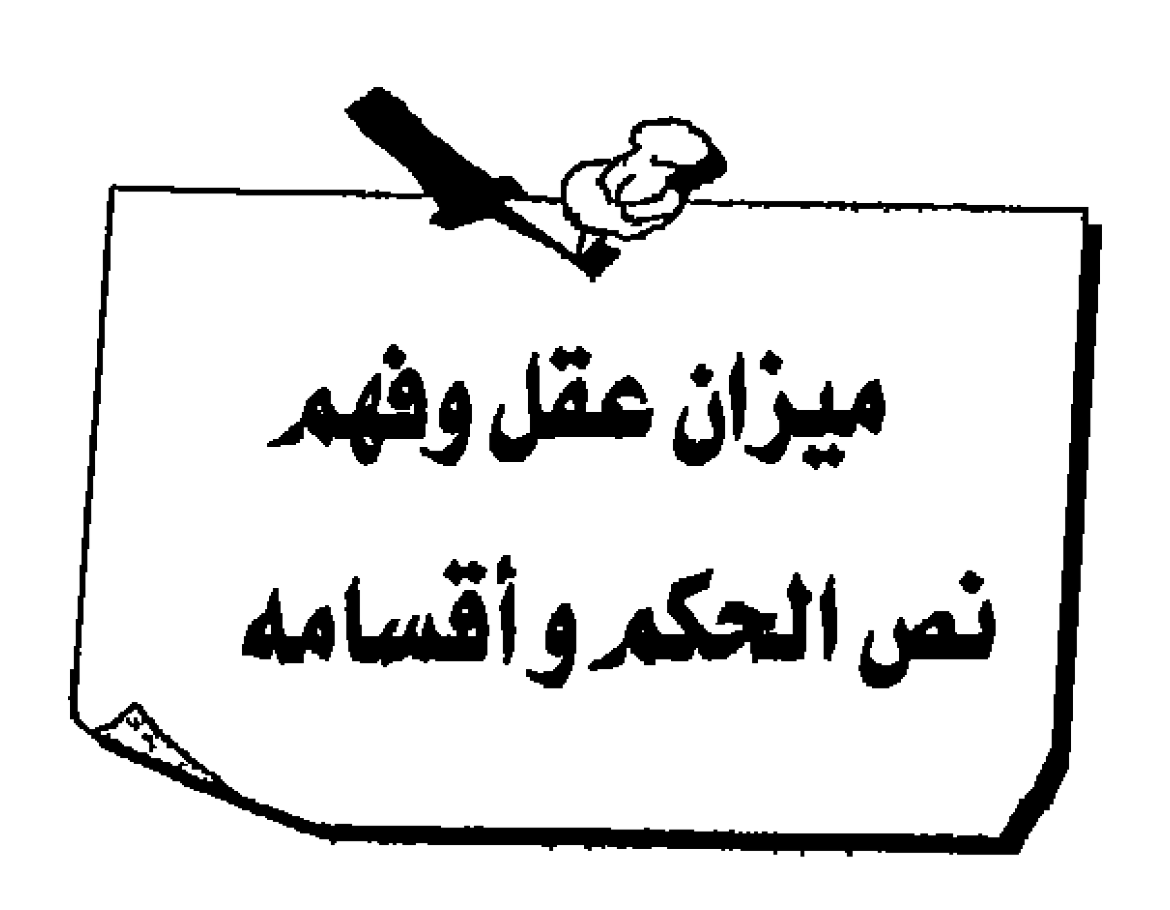


أصـول الحديث
القبول والرد
المقبول
الصحيح والحسن
المردود
السقط فى السند
المنقطع
المعضل
المرسل
المعلق
المدلس
المرسل الخفى
الطعن فى الراوى
الطعن فى العدالة
الموضوع
المتروك
المنكر
الطعن فى الضبط
الشاذ
المعلل
المضطرب
المطروح
المصحف
المجهول
علـوم المتن
من حيث قائله
القدسى
المرفوع
الموقوف
المقطوع
متنه
غريب الحديث
أسباب الورود
الناسخ والمنسوخ
المحكم المتشابه
علم الزوائد
علـوم السـند
المتصل
السند
المعنعن
المؤنن
المسلسل
العالى
النازل
المزيد فى متصل الأسانيد
علم الأطراف
علـوم مشتركة بين السند والمتن
تفرد
فرد
غريب
تعدد
إتفاق
المتواتر
المشهور
المستفيض
العزيز
التابع
والشاهد
إختلاف
زيادة الثقة
الشاذ والمحفوظ
المنكر والمعروف
المضطرب
المقلوب
المدرج
علـوم الرواية والرواة
علـوم الرواية
ضبط الرواية
أدب الرواية
رواة الحديث
علوم معرفة حال الرواى
صفة من تقبل روايته
الجرح والتعديل
علوم معرفة بشخص الرواى
تواريخ الرواة
طبقات الرواة
الصحابة
الأخوة والأخوات
رواية الاقران
الاكابر عن الاصاغر
السابق واللاحق
رواية الأبناء عن الآباء
المبهمات
ذكر من تعددت نعوته
الاسماء والكنى
ألقاب المحدثين
المنسوبون بغير آبائهم
الموالى
المتفق والمفترق
المؤتلف والمختلف

علم أصول الفقه

ميزان عقل وفهم نص

(٣)

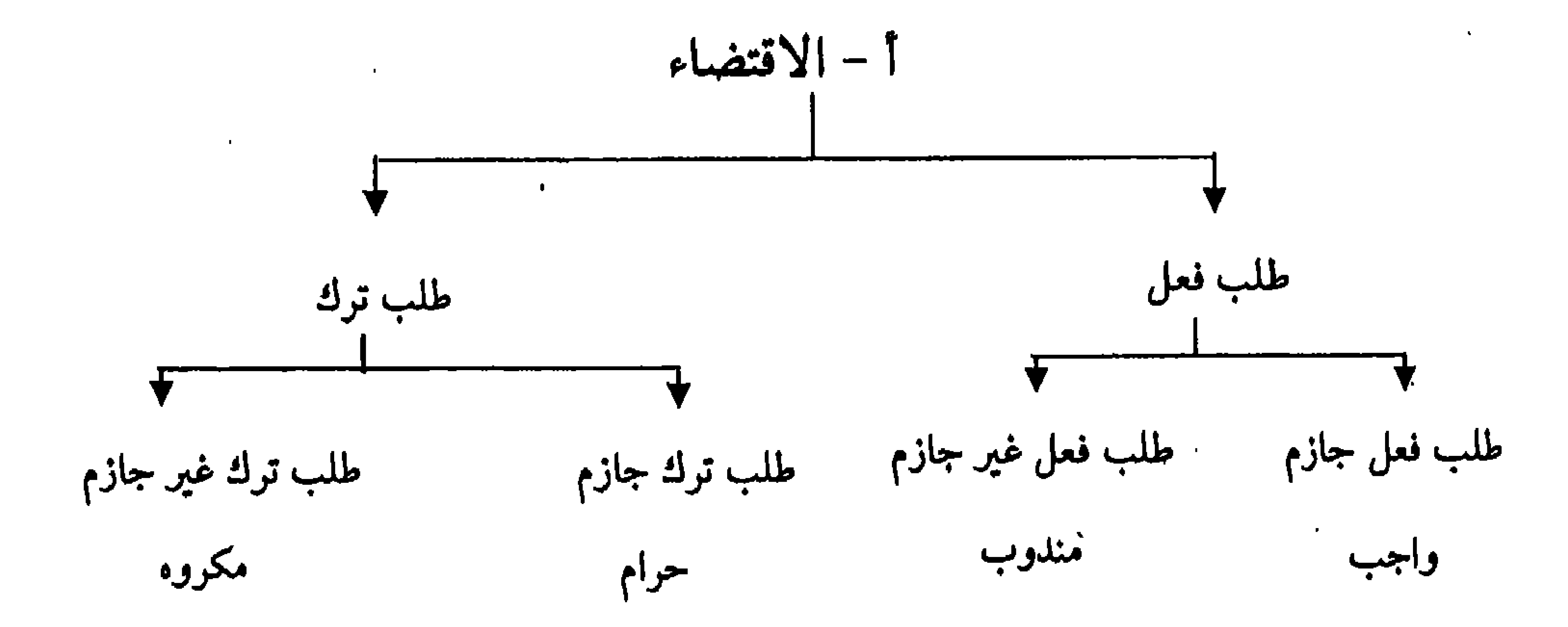


أ / محمد عبد الوهاب

الحكم الشرعي عند الأصوليين:

هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع.

خطاب الله: أي الوحي من قرآن وسنة و ينبثق منهما سائر الأدلة الشرعية.



ب) **التخيير**: هو ما استوي فيه الفعل و الترك بدون ترجيح أحدهما على الآخر و إباحة كل منهما وهو المباح.

ج) **الوضع**: و هو ما وضعه الشارع سببا لأمر أو شرطا له أو مانعا منه.

المتعلق بأفعال المكلفين: ليخرج كتاب الله المتعلق بذاته و صفاته و خطابه تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الإخبار كقصص القرآن.

الحكم الشرعي بين الأصوليين و الفقهاء:

الحكم عند الأصوليين: هو نفس خطاب الله أي نفس النصوص.

الحكم عند الفقهاء: هو مقتضى هذا الخطاب أي الأثر المترتب على الخطاب.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾.

الحكم في الآية هو الخطاب نفسه أي النهي عند الأصوليين.

الحكم في الآية هو حرمة الزنا عند الفقهاء.

أقسام الحكم الشرعي

ينقسم إلي قسمين:

- **الأول**: الحكم التكليفي: هو ما يقتضي طلب الفعل أو الكف عنه أو التخيير بين الفعل و الترك.
- **الثاني**: الحكم الوضعي: هو ما يقتضي جعل شيء سببا لشيء آخر أو شرطا له أو مانعا منه.

الفرق بين الحكم التكليفي و الحكم الوضعي:

الحكم التكليفي: يتطلب فعل شيء أو تركه أو إباحته للمكلف.

الحكم الوضعي: لا يفيد ذلك بل هو بيان ما جعله الشارع سببا لوجود شيء أو شرطا له أو مانعا منه ليعرف المكلف متى يثبت الحكم الشرعي و متى ينتهي ليكون على

بينة من أمره.

الحكم التكليفي: أمر يستطيع المكلف فعله و تركه فهو داخل في حدود قدرته واستطاعته (لا تكليف إلا بمقدور).

الحكم الوضعي: فلا يشترط أن يكون في قدرة المكلف بل منه المقدور للمكلف ومنه الخارج عن قدرته و لكن مع هذا إذا وجد ترتب عليه أثره.

التكليف: أمر يتعلق بالمكلف (بمعنى ليس كل إنسان مكلف) بل الحكم التكليفي هو للبالغ العاقل الراشد (رفع القلم عن ثلاث....)

أما الحكم الوضعي: فيتعلق به كل إنسان و إن كان غير مكلف و كذلك غير الإنسان.

الحكم التكليفي لا يتصور وجوده منفردا عن الوضعي، أما الحكم الوضعي فمن الممكن انفراده عن التكليفي.

مثال: لاجتماعهما كون الزنا حرام و هو سبب لوجوب الحد على صاحبه.

انفراد الحكم الوضعي عن التكليفي، مثل البلوغ سبب للتكليف.

أقسام الحكم التكليفي

الواجب:

لغة: السقوط واللزوم، وجبت الشمس عن كبد السماء، وجبت جنوبها أي سقطت.

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي سقطت، «أسألك موجبات رحمتك» أي لوازم رحمتك، وجبت الشمس عن كبد السماء أى سقطت، ويقول الشاعر:

أطاعت بنو عوف أميرا نهاهم   عن السلم حتى كان أول واجب.

اصطلاحا: هو ما طلب الشارع فعله على وجه الحتم والإلزام بحيث، يذم تركه

ويستحق ويعاقب ويمدح فاعله ويثاب (يستحق التارك العقاب ويستحق الفاعل الثواب)، بعض العلماء توقف في أمر الثواب والعقاب لأن هذا متعلق بالله تعالى وقد يعفو ويصفح وهذا من شأن الآخرة.

وعرفه البيضاوي بأنه (ماذم شرعا تاركه قصدا مطلقا) وقيل هو ما يعاقب تاركه ، أو مارتب الشارع على تركه عقوبة.

فضابط الواجب أن تاركه متوعد بالعقاب، ويقول صاحب نظم الورقات:

الواجب الذي ترتب الثواب بفعله وتركه فيه العقاب.

كيف نعرف الواجب بمجرد النظر؟

١) **الأمر المجرد عن أي قرينة تصرفه إلي الندب:**

(أي أن كل أمر واجب ما لم تأت قرينة تصرفه من الوجوب إلى الندب فمن يدعى أن الأمر للندب فعليه أن يأتي بالقرينة الصارفة). مثل قولة تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾،

٢) صيغة الخبر. ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾.

٣) الأخبار بالعقاب على الترك: كترك الصلاة، كترك الصيام، كترك الوفاء بالعقود، ويقول فى ذلك الإمام ابن تيمية فى كتابه – القواعد النورانية-: (انتفاء دليل التحريم، دليل على عدم التحريم).

الخلاف بين الأحناف والجمهور.

الواجب هو الفرض عند الجمهور.

أما الأحناف فنظروا إلى الأمر من جهة الدليل فإذا كان الدليل قطعيا كان فرضا وإذا كان الدليل ظنيا كان واجبا.

قراءة شئ من القرآن في الصلاة فريضة لقولة تعالى ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ ......﴾

فعدم القراءة مع القدرة تبطل الصلاة.

أما قراءة الفاتحة فواجبة لأنها ثبتت بدليل ظني فتصح الصلاة مع إثم عدم قراءة الفاتحة مع القدرة عليها.

وقد نظر الجمهور كون الفعل لازما على المكلف بغض النظر عن الدليل. أما عند الأحناف فاللزوم في الواجب أقل منه في الفرض، وقال الأحناف: إن هناك فارقًا لغويًا فالفرض لغة: الحز والقطع والتقدير، فرض له فرضا أي قطع له وقدر شيئا وسمى علم المواريث بعلم (الفرائض) لأنه تقدير لأنصبة المواريث، وما اختلف فيه لغويا يختلف فيه شرعيا، والحق أن الخلاف بينهم لفظي لا حقيقي أي لا أثر كبير له في الفروع الفقهية، وقال البعض: بل الخلاف معنوي لا لفظي لظهور أثره في بعض الفروع، ويجاب عليهم بأنه لا مشاحة في الاصطلاح فالأصل أن هذا الخلاف وإن ظهر أثره في بعض الفروع فلا شأن للأصوليين به، لأن الأحناف يتفقون مع الجمهور على أن الفرض والواجب كلاهما مطلوب فعله على وجه الحتم والإلزام وأن تاركه يستحق الذم والعقاب.

و أن منكر الفرض يكفر ومنكر الواجب لا يكفر، وهذا الخلاف خارج عن ماهية وحقيقة الفعل الذي ألزم المكلف به كما أنه خلاف خارج عن إطار أصول الفقه.

أقسام الواجب

أولاً: بالنظر إلى وقت أدائه: و ينقسم إلى: (مطلق، مقيد).

المطلق: هو ما طلب الشارع فعله دون أن يقيد أداءه بوقت معين للمكلف أن يفعله في أي وقت شاء وتبرأ ذمته بهذا الأداء ولا إثم عليه في التأخير.

مثل: قضاء رمضان لمن أفطر بعذر مشروع، كفارة حنث اليمين، الحج. (عند من يرى وجوبه على التراخي)

فالإلزام هنا منصب على الفعل فقط دون وقت معين.

المقيد: هو ما طلب الشارع فعله و عين لأدائه وقتا محددا.

١) **مقيد موسع**: هو ما يسع زمنه فعله و فعل غيره من جنسه.

مثال: صلاة الظهر: يمكن أن أؤديها في جزء يسير من الوقت، وأصلي ما أشاء من السنن في نفس الوقت قبل أن يدخل وقت العصر.

٢) **مقيد مضيق**: هو ما يسع زمنه فعله وحده و لا يسع غيره من جنسه، أي أن فعله استغرق الزمن كله.

مثال: صوم رمضان: فلا يسع صيام النفل في رمضان أو لكفارة أو غيرها من جنسه، و لهذا يرى بعض العلماء أنه لا يجب على المكلف أن يعينه بالنية لأن وقته لا يسع غيره فتنصرف النية إلى الواجب، والجمهور على وجوب تعيين النية.

ويتفرع من هنا مسألة الأداء وهي:- إذا أدى المكلف الواجب المقيد في وقته مستوفيا أركانه وشرائطه سمى أداء.

- **الإعادة**: هي فعل الواجب المقيد مرة أخرى في وقته، إما لبطلان الفعل، أو لإعادته مرة أخرى.
- **القضاء**: هو فعل الواجب المقيد بعد خروج وقته المحدد شرعا.

وينقسم إلى أربعة أقسام:

أ) قضاء كان أداؤه في الوقت المحدد له شرعا واجبا، الصلاة المتروكة في وقتها قصدا بلا عذر.

ب) قضاء لم يكن أداؤه في الوقت المقدر له شرعا واجبا، مثل ما تركه المسافر والمريض من الصوم لأن كلا منهما لم يجب عليه الأداء.

ج) قضاء لم يكن الأداء فيه واجبا شرعا، كصلاة النائم حال نومه لأنه رُفع عنه القلم.

د) قضاء لم يكن الأداء فيه واجبا، ولا يمكن فعله شرعا، كقضاء الحائض لما فاتها من صيام مدة حيضها، فالصيام غير واجب عليها ولا مشروع لها لوجود المانع ولكنها أمرت بالقضاء.

وقد اتفق العلماء على أنه لابد من قضاء الواجب ولكنهم اختلفوا في السبب الموجب للقضاء، هل هو الأمر الأول الموجب للأداء؟ أم لابد من خطاب جديد؟

رأى الأحناف: أن قضاء الواجب بمقتضى إيجابه الأول فالموجب للقضاء هو الموجب للأداء.

رأى الجمهور: أن القضاء يجب بأمر جديد، حيث أن المكلف لما شُغلت ذمته بأمر معين وهو أداء الواجب في وقته المحدد له شرعا وجب أداء هذا الواجب في وقته فإن لم يؤد المكلف الواجب في وقته فقد استوجب العقوبة على الفوات ومن هنا كان لابد من خطاب جديد يدل على القضاء واستدلوا بحديث السيدة عائشة (كنا نؤمر بقضاء الصوم) رواه مسلم.

بقى تفصيل بسيط، وهو أن هناك- عبادات قد يجتمع فيها الأداء والقضاء، كالصلوات الخمس، فإنها تؤدى فى أوقاتها وتقضى بعد خروج أوقاتها.

- عبادة تنفرد بالأداء ولا قضاء فيها، كصلاة الجمعة فإنها تؤدى في وقتها ولا تقضى بعد خروج وقتها، بل يجب صلاتها ظهرا.
- عبادة ليس لها أداء بل فيها القضاء فقط، ، كصوم الحائض والنُفساء، فأداؤها للصوم حرام، وقضاؤها واجب.

هل يجوز تعجيل الواجب عن وقته المحدد له شرعا؟

التعجيل هو:فعل العبادة قبل وقتها المحدد لها شرعا.

فيجوز تعجيل الواجب عن وقته المحدد له شرعا بعذر شرعي ولا أثم على المكلف مثل جمع التقديم في الصلاة للمسافر والخوف والمطر وغير ذلك مما أباحه الشارع، وقد يكون المكلف مخيرا في تعجيل الواجب (أي بلا عذر) كتعجيل إخراج الزكاة لعام أو عامين، تعجيل إخراج صدقة الفطر قبل حلول وقت وجوبها، كأن يخرجها من أول شهر رمضان أو وسطه.

الواجب ذو الشبهين: هو الذي لا يسع وقته غيره من جهة و يسع غيره من جهة أخرى.

مثال: الحج: لا يسع وقته [أشهر الحج] غيره أي أن المكلف لا يؤدي إلا حجا واحدا في العام.

ويسع غيره من جهة أن مناسك الحج لا تستغرق كل أشهره.

ثانيًا: بالنظر إلى تقديره و عدم تقديره: ينقسم إلى: (محدد، غير محدد).

محدد: أي مقدر، و هو ما عين الشارع منه مقدار ا محددا. مثال: الزكاة – الركاز – الديات.

غير محدد: أي غير مقدر، و هو الذي لم يحدد الشارع مقداره. مثال: الإنفاق في سبيل الله – التعاون على البر.

فهو واجب غير محدد فعليه الإنفاق حتى تندفع الحاجة.

ثالثاً: بالنظر إلى تعيين المطلوب و عدم تعيينه: و ينقسم إلى: (معين، غير معين).

معين: ما طلبه الشارع بعينه من غير تخيير للمكلف. مثال: الصلاة – الصيام – رد المغصوب.

غير معين أو مخير: هو ما طلبه الشارع لا بعينه و لكن ضمن أمور معلومة للمكلف أن يختار واحدا منها لأداء هذا الواجب.

مثال: كفارة اليمين: الواجب على الحانث إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، الإمامة العظمى: وجد أكثر من شخص تتوافر فيهم الشروط فوجب اختيار واحد منهم فقط، تخيير الحاج بين الإفراد، أو التمتع، أو القران.

- تخيير الإمام في شأن الأسرى ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد: ٤].

ولكن في الواجب المخير ما يمكن الجمع بينهم مثل كفارة اليمين، فلي أن أطعم عشرة مساكين ثم أكسوهم ثم عتق الرقبة، فأفعل الأمور كلها و أجمع بينهم.

أما في حالة الإمامة العظمى فلا يجوز الجمع بين من تتوافر فيهم الشروط ولكن وجب اختيار واحد فقط.

تقدم أكثر من كفء للزواج من المرأة تعين اختيار واحد منهم و لا يجوز الجمع بينهم.

رابعاً: بالنظر إلى المطالب به:

أ - عيني: هو ما توجه فيه الطلب اللازم إلى كل مكلف، أي أن الشارع طلب حصوله من كل واحد من المكلفين و لا تبرأ ذمة المكلف إلا بأدائه.

فالتكليف ذو شقين: الفعل نفسه (إيجاد الفعل). والفاعل نفسه (ابتلاء المكلف).

مثال: الصلاة – الزكاة – اجتناب الحرام.

و هنا يأتي سؤال أن الذي ذكرناه في حال توافر القدرة البدنية، أما في حالة العجز أو بعد الموت:

فهل تصح النيابة في العبادات أو لا ؟

قرر العلماء أن الأعمال القلبية لا تصح النيابة فيها بدون خلاف، و التكليفات ثلاثة:

١) قسم لا يقبل النيابة و لا تصح فيها إجماعا، و هو العبادات البدنية كالصلاة والصوم، و المالية المحضة كالزكاة، لأن المقصود من الصلاة هو الخشوع و الخضوع وإجلال الرب سبحانه و تعالى و تعظيمه، و هو يحصل لفاعلها بنفسه فإذا فعلها غيره لم تتحقق المصلحة التي طلبها المشرع.

٢) قسم يقبل النيابة و هو التكليفات المالية التي تشتمل على المصلحة بغض النظر عن فاعله كرد الودائع و قضاء الديون ورد المغصوب وتفريق الزكوات وذبح النسك ولحوم الأضاحي، لأن المقصود انتفاع أهلها بها وهو حاصل بأي شخص.

٣) قسم يقبل النيابة عند قيام العذر و هو ما له جانبان: (بدني- مالي) و هو الحج. فقد أجاز الجمهور النيابة في الحج عند العجز البدني عن أدائه و قد رويت أحاديث في ذلك تؤيد هذا الرأي.

أما الإمام مالك رضي الله عنه والإمام محمد بن الحسن و جماعة من المتأخرين فلم يجيزوا النيابة في الحج لأن القصد منه تأديب النفس بمفارقة الأوطان و تهذيبها بالخروج عن المعتاد وتعظيم شعائر الله وهذه مصالح ومقاصد لا تتحقق إلا لمن باشرها بنفسه. ونرى أن هذا الرأي نظر إلى الشق البدني في الحج و لم يرع الشق المالي فضلا عن أن الأحاديث الصحيحة تنقضه.

ب - **كفائي**: هو ما طلب الشارع حصوله من مجموع المكلفين.

لأن مقصود المشرع إيجاد الفعل لا ابتلاء المكلف فإذا فعله البعض سقط الفرض عن الباقين وإذا لم يقم به أحد أثم جميع القادرين. مثال: الإفتاء – القضاء – الشهادة – الجهاد – الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر – إيجاد الصناعات و الحرف والعلوم التي تحتاجها الأمةمثل إعداد القوة و نحو ذلك مما يحقق المصلحة العامة التي هي غالبا هدف فرض الكفاية.

متى يصبح الواجب الكفائي عينيًا ؟

١- إذا تعين فرد لأدائه، مثل:

أ) بلد لا يوجد بها إلا طبيب واحد فإن إسعاف المريض واجبًا عينيًا عليه.

ب) أو شهد الغريق الذي يستغيث شخص واحد يحسن السباحة أو لم ير الحادثة إلا واحد.

ج) إذا دهم العدو الأرض الإسلامية أصبح الجهاد فرض عين على المسلمين.

د) إذا حضر الصف أحد المسلمين أصبح الجهاد فرض عين في حقه.

هـ) إذا عين الإمام أشخاصًا محددين أصبح الأمر فرض عين في حقهم.

- والواجب المعين منه المضيق في الوقت ومنه الموسع، فترتيب الأولويات تبدأ بالفرض العيني المضيق فهو مقدم على غيره، ثم بالفرض الموسع ثم بفرض الكفاية وهكذا، لأن الفرائض المضيق وقتها تقتضى المبادرة إليها وعدم إرجائها.

أيهما أفضل في الأداء، العيني، أم الكفائى؟

- فرض الكفاية عند كثير من العلماء (كالفخر الرازى) وغيره أفضل من الفرض العينى، وأن الساعى فى تحقيقه يثاب ثواب أفضل من تحقيق الفرض العينى.

وعلة الأفضلية قد تكون فى أن أثر تحقيق الفرض العينى يعود على الفرد الذى قام به فقط؛ وأما أثر تحقيق الفرض الكفائى فيعود على المجتمع عامة حيث يسد به ثغرة من ثغرات المجتمع، ويعمل على صيانة الأمة كلها عن المآثم.

- أما عند الجمهور فإن فرض العين أفضل من فرض الكفاية لشدة اعتناء الشارع به من حيث قصد حصوله من كل مكلف.وقد اختلف الأصوليون في حكم إتمام فرض الكفاية لمن شرع فيه، ولفهم الخلاف لابد أولا من تحرير محل النزاع، بمعنى أنه لا خلاف بين الأصوليين بأنه إذا ترتب على عدم الإتمام ضرر فيجب إجماعا الإتمام بالشروع فيه مثل:-

- إتمام الجهاد لمن شرع فيه، فيحرم عليه التراجع والتولي لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ .....﴾ وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ ففي عدم إتمام الجهاد إشاعة للوهن في قلوب الجند، وتقوية لنفس العدو، مما يؤدى إلى هزيمة الأمة.

- من شرع من العلماء في بحث مسألة علمية لم يجز له الانصراف عنها قبل إتمامها.

أما الخلاف بين العلماء ففي ما إذا لم يترتب على عدم الإتمام ضرر على قولين:

الأول- أنه يتعين على المكلف الإتمام بالشروع في الواجب الكفائى قياسا على العيني إذا شرع فيه بجامع الوجوب في كل.

الثاني – لا يجب إتمامه، لأن القصد من فرض الكفاية حصوله في الجملة فلا يتعين حصوله ممن شرع فيه.

ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فهناك مقدمة الواجب وهى: ما يتوقف حصول الواجب عليها سواء كان سببا له كالبلوغ بالنسبة للتكليف، ودخول الوقت سببا لوجوب الصلاة، أو شرطا كالعقل فى صحة الصلاة والاستطاعة شرط فى وجوب الحج.

وتنقسم مقدمة الواجب إلى قسمين:

أ) مقدمة وجوب: وهى مايتوقف عليها وجوب الواجب سواء كانت سببا أو شرطا وتسمى بمقدمة التكليف؛ واتفق الأصوليون على أنها غير مطلوب تحصيلها من المكلف وليست واجبة عليه، كالاستطاعة فى الحج، وبلوغ النصاب فى الزكاة.

ب) مقدمة وجود: وهى ما يتوقف عليها وجود الواجب، كالطهارة بالنسبة للصلاة، السعى لأداء الحج، وتسمى مقدمة صحة وهى نوعان:

* نوع ليس فى مقدور المكلف كزوال الشمس لوجوب صلاة الظهر، ظهور الهلال لوجوب الصوم، حضور الإمام يوم الجمعة، وهذا النوع لا يجب على المكلف كمقدمة للواجب ولا يوصف بوجوب.

* نوع في مقدور المكلف عادة (وغير مأمور بتحصيله) كبلوغ النصاب لوجوب الزكاة، الإقامة لوجوب الصوم، فلا يجب على المكلف تحصيله ولا فعله، والقاعدة هنا (مالا يتم الواجب المعلق إلا به فليس بواجب).

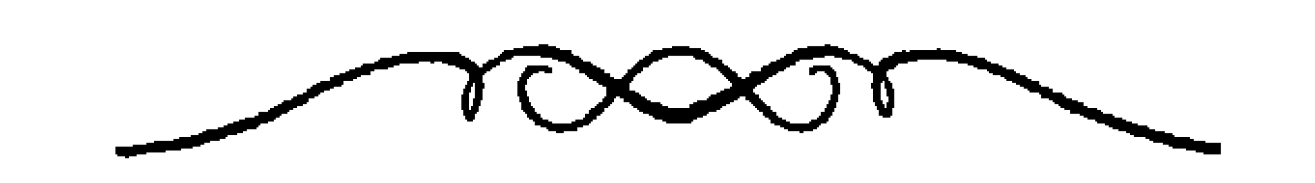
- وهناك نوع في مقدور المكلف ومأمور بتحصيله كالطهارة للصلاة والسعي للجمعة، وهذا القسم واجب على التحقيق، والقاعدة (ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب)

مثل:

أ) ضرورة صيام جزء من الليل في رمضان حتى تتيقن دخول الليل عند المغرب، غسل جزء من شعر مقدمة الرأس للتأكد من غسل كل الوجه، مقاطعة بضائع العدو ومن يدعمه واجب لأن إضعاف العدو مقصد من مقاصد الشرع وهو واجب.

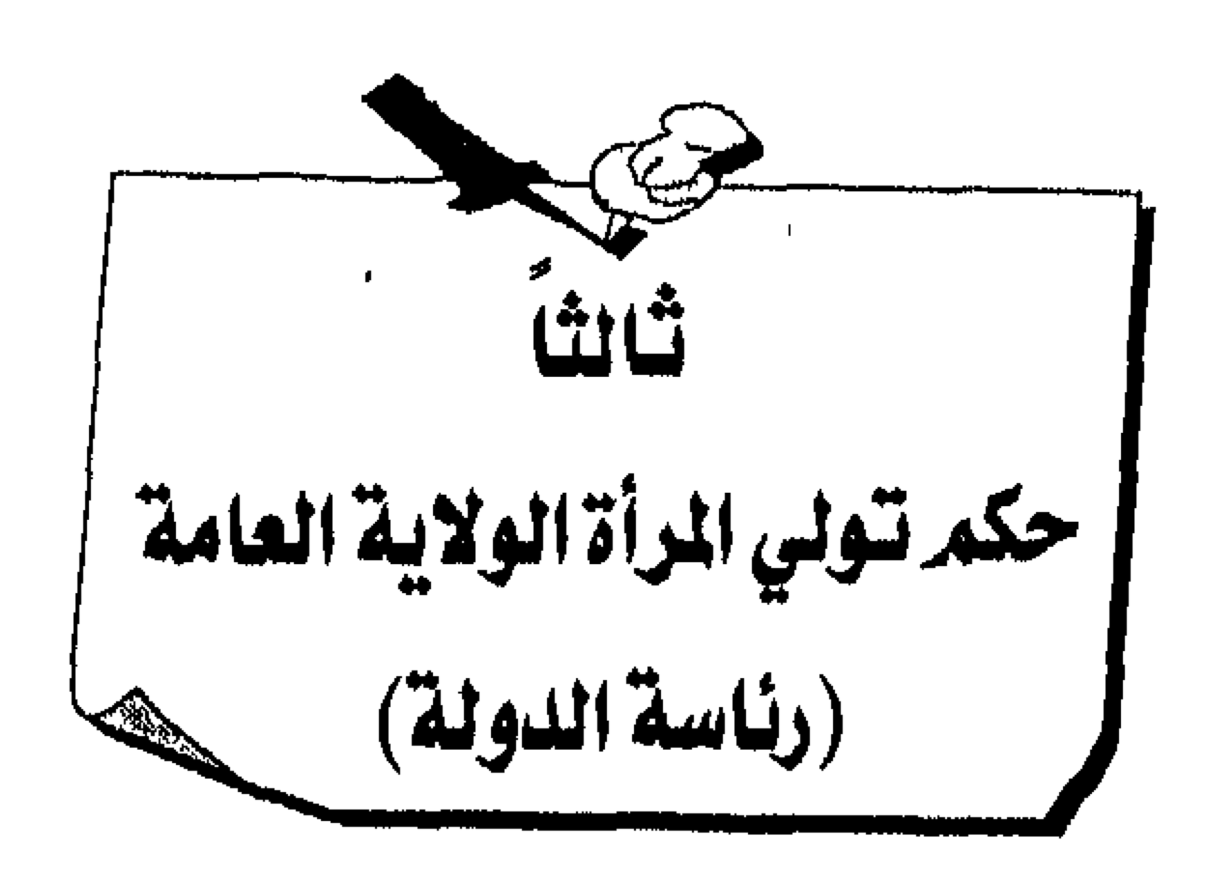
وهناك قاعدة فرعية مترتبة على قاعدة: مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهي (مالا يتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب) مثل:إذا اختلط لحم ميتة بلحم مذكاة فتركهما واجب.

هذا وبالله التوفيق



قضايا معاصرة

(٢-٢)



أ/ أحمد حسنين

قسم العلماء أحكام ولاية المرأة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: متفق عليه، أنه لا يجوز للمرأة أن تتولاه وهو الولاية العامة (الإمامة العظمى – ورئاسة الدولة) وهو موضوع بحثنا.

الثاني: متفق عليه بجوازه لها وهى الولاية الخاصة.

الثالث: قسم مختلف فيه هل يندرج تحت الولاية العامة أم الخاصة وهو (القضاء – رئاسة الوزراء– الوزارة – إمارة الأقاليم ....).

القسم الأول: منع تولي المرأة الولاية العامة

هذه المسألة ليس فيها قولان للفقهاء، بل هي قول واحد بالمنع وقع عليه الإجماع، ولكن ظهرت بعض آراء في وقتنا الحاضر قالت بجواز ذلك، وانتشرت آراؤهم في وسائل الإعلام مؤيدة بمنظمات حقوق المرأة وتحت مظلة حرية التعبير عن الرأي. والعجيب في

أنظمتنا العربية أن العلماء والدعاة إذا أرادوا أن يبينوا للناس أحكام الشريعة الإسلامية – وليست آراء – ويدعون إلى العمل بالقرآن والسنة، ويحاربون الفساد بالحكمة والموعظة الحسنة، يمنعون عن التعبير – عن حكم الشرع – تحت دعاوى أنهم أصحاب فتنة، ورجعيون ويجب حماية المجتمع من أفكارهم الباطلة.. وصدق الله القائل في حال سلفهم ﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ ﴾ [النمل: من الآية٥٦].

ولنرجع إلى مسألتنا في حكم ولاية المرأة للولاية العامة: فنقول ذهب عامة فقهاء الإسلام[١] على اختلاف مذاهبهم – في الماضي والحاضر علي مر تاريخ الإسلام إلى منع تولي المرأة لمنصب الإمامة العظمى ومعهم أيضا علماء الأحكام السلطانية[٢]، وعلماء العقيدة[٣]، وعلماء التفسير[٤]، وأيده عامة المعاصرين[٥] حتى نرى أن الذين ينادون بحقوق المرأة السياسية، ويؤيدون تدخلها في أمور السياسة – ونحن لا نختلف معهم أن للمرأة حقوقا سياسية – أكثرهم لا يجيزون توليها لهذا المنصب، ويقولون بقصر الرياسة

---

(١) ابن عابدين فى الحاشية (١/ ١٥٤٨)، ابن نجيم في الأشباه والنظائر (ص ٣٣٨)، والدهلوى في حجة الله البالغة (٢/ ٢٩٦) وهؤلاء الأحناف، وابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ١٤٥٧)، والقرافي في الفروق (٢/ ١٥٨)، والدردير في الشرح الصغير (٢/ ٣٢٩) وهؤلاء من المالكية، والهيتمى في تحفة المحتاج (٩/ ١٥)، والرملي فى نهاية المحتاج (٧/ ٤٠٩) وهؤلاء من الشافعية، وابن مفلح في المبدع (١٠/ ١٠)، وابن القيم في أعلام الموقعين (٢/ ١٤٩) وهؤلاء من الحنابلة.

(٢) الأحكام السلطان للماوردى (١٥)، والأحكام السلطانية للفراء (ص٢٠)، وصديق خان القنوجى في (إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة (ص١٠٨).

(٣) ابن حزم في الملل والأهواء (٥/ ١٠)، التفتازاني في شرح المقاصد (٥/ ٢٤٤)، والغزالي في فضائح الباطنية (ص١٨٠).

(٤) ومن هؤلاء المفسرين: الآلوسي، وابن كثير، والزمخشري، والقرطبي وغيرهم.

(٥) فتوى لجنة الأزهر (يونيو ١٩٥٢)، وحسنين مخلوف في فتاوى شرعية (١/ ١١٥)، ومحمد البهى في الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة (ص ٤٩)، وأبو الأعلى المودودى في نظرية الإسلام وهديه (ص٣١٦)، وغيرهم كثيرون.

والحكومة أو رئاسة الوزراء على الرجل دون المرأة، ولا شك أن أصحاب هذا الرأي يرون رياسة الوزارة في النظام البرلماني مثل منصب الرياسة أو الإمامة الكبرى في النظام الإسلامي ولنتعرف على أدلة هذا المنع.

أدلة منع المرأة تولي الولاية العامة

استدل الفقهاء على المنع بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

أ- أدلة الكتاب:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: من الآية٣٤] فقد جعل الله تعالى في هذه الآية القوامة للرجال على النساء، والقوامة هي: القيام على الأمر، أو المال أو ولاية الأمر، والقوَّام: صيغة مبالغة، أي الحسن القيام بالأمر فلما جعل الله القوامة للرجال دون النساء فهو يعنى حصر القيام بانتظام الأمور، وتدبير الشؤون وولاية الأمر في الرجل، وهذه القوامة عامة تشمل ولاية الأمور العامة والشؤون السياسية وعلى رأسها الإمامة العظمى، كما تشمل الشؤون الأسرية ورعاية أهل البيت: أي القائمون بانتظام أمورهن، وكفالة نفقتهن، وحفاظهن، وأمرهم نافذ عليهن، فهم الحكام والأمراء، وعليهن طاعتهم فيما يأمرون به ما لم يكن معصية.

اعتراض: بأن الاستدلال مردود، والآية لا تدل على أن الرجال هم الحكام فقط، ولا تدل علي منع النساء من تولي الحكومة، لأن لفظ «قوَّام» يأتي في اللغة بمعنى القائم بالكفالة – الكفيل – والإنفاق ولا يأتي بمعنى الحاكم أو الأمير، فالآية تدل علي مسؤولية الرجال قبل أهلهم من توفير النفقة ونحوها، ثم الآية جاءت في بيان أحكام الحياة الزوجية.

والجواب من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن «القوام» في اللغة – كما تقدم – هو القائم بانتظام الأمور وتدبير الشؤون، وهذه وظيفة الإمام والرئيس، والقوامة هي ولاية الأمر، فلفظ «القوام» للولاية العامة كشموله لرعاية الأسرة وكفالتها من حيث اللغة.

الوجه الثاني: كون الآية في سياق الأسرة، وشئون الحياة الزوجية، لا يدل علي تخصيص الحكم بذلك، بل القاعدة المعروفة في أصول الأحكام تقتضي عموم هذا الحكم وشموله لما يدخل تحته.

الوجه الثالث: وسار المفسرون على هذا المنهج في تفسير الآية، فإنهم يرون قوامة الرجل عامة، شاملة شؤون البيت والأسرة والولايات عامة.

قال القرطبي: «أي: يقومون بالنفقة عليهن والذي عنهن، وأيضا فإن فيهم الحكام والأمراء ومن يغزو وليس ذلك في النساء»[1].

وقال ابن كثير: يقول تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: من الآية٣٤] أي: الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: من الآية٣٤] أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم[2].

وقال الرازي: «واعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة بعضها صفات حقيقية، وبعضها أحكام شرعية... ثم قال: فحصلت الفضيلة في العقل والحزم والقوة والفروسية والرمى، وان منهم الأنبياء والعلماء، ومنهم الإمامة الكبرى

(١) جامع أحكام القرآن (٥/ ١٦٨).

(٢) التفسير الكبير للرازى (١٠/ ٨٨).

والصغرى، والجهاد، والأذان....»[1].

وقال الشوكاني: «والمراد أنهم يقومون بالذب عنهن كما تقوم الحكام والأمراء بالذب عن الرعاية.. إلى أن قال: «واستحقوا هذه المزية لتفضيل الله للرجال على النساء من كون فيهم الخلفاء والسلاطين والحكام والأمراء، والغزاة – وغير ذلك من الأمور»[2].

الوجه الرابع: قال المودودى: «فأنت ترى أن الله تعالي يؤتى الرجال مقام «القوام» بكلمات صريحة ويبين للنساء الصالحات مزيتين اثنتين: أن يكن قانتات أي مطيعات، والأخرى أن يكن حافظات للغيب، أي لما يرد الله تعالى أن يحفظنه في غيبة أزواجهن.

فإن قيل: أن الحكم إنما يتعلق بالحياة العائلية لا سياسة الدولة فنقول: أن القرآن لم يقيد قوامة الرجال على النساء في البيوت، ولم يأت بكلمة «في البيوت» في الآية.

ثم هبنا سلمنا بهذا القول فنسألكم: التي لم يجعلها الله تعالى قواما في البيت بل وضعها فيه موضع القنوت، أأنتم تريدون أن تخرجوها من مقام القنوت إلى مقام القوامة على جميع البيوت؟ أي علي جميع الدولة؟ أمن شك في أن قوامة الدولة أخطر شأنا، وأكثر مسؤولية من قوامة البيوت؟ فهل أنتم تظنون بالله أنه يجعل المرأة قوامة على مجموعة من ملايين البيوت، ولم يشأ أن يجعلها قوامة داخل بيتها»[3]. أي مسؤولة عمن فيها من رجال وأولاد.

الدليل الثاني: قوله تعالي ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: من الآية٣٣] فقوله «وقرن» إما أن يكون من الوقار، من وَقَرَ يقر وقارا، أي سكن، أو يكون من القرار من قولك: قررت بالمكان.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٥).

(٢) فتح القدير (١/ ٤٦٠).

(٣) تدوين الدستور للموردودى (ص٧٠).

قال ابن عابدين الحنفي: «إن النساء أمرن بالقرار في البيوت، فكان مبنى حالهن على الستر»[1] وقال القلقشندى: «إن الإمام لا يستغنى عن الاختلاط بالرجال والمشاورة معهم في الأمور، والمرأة ممنوعة من ذلك، ولأن المرأة ناقصة في أمر نفسها حتى لا تملك النكاح، فلا تجعل إليها الولاية على غيرها»[2].

واعتراض: بأن الاستدلال بالآية خاصة بنساء النبي ﷺ، لأن الله خاطبهن علي وجه الخصوص فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٢] وذلك لظروف محيطة بهن في تلك البيئة حتى لا يتعرض لهن منافق أو فاسق ويجب قصر الحكم على ذلك، ولا يتعدى إلى غيرهن.

والجواب: قال القرطبي: «معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة»[3].

وقال المودودى: «حدد القرآن بهذه الكلمات الصريحة دائرة أعمال المرأة فإن اعترض بالقول: هذا الأمر إنما أمرت به نساء النبي ﷺ فنحن نسأله: هل كان بنساء بيت النبي ﷺ عجز دون سائر النساء لا يدعهن يقمن بالأمور خارج البيت؟ وهل تفوقهن سائر النساء في هذه الناحية؟ وإذا كان جميع آيات القرآن بهذا الصدد مختصة بأهل بيت النبي ﷺ، فهل أذن الله لسائر المسلمات أن تبرجن تبرج الجاهلية الأولي، وان يكلمن الرجال، ويخضعن لهم بالقول، فيطمع الذى فى قلبه مرض، وهل يرضى الله تعالى أن

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٥٤٨).

(٢) مآثر الأناقة للقلقشندى (١/ ٣٢).

(٣)جامع أحكام القرآن (١٤/ ١٧٩)

يكون بيت كل مسلم غير بيت النبي ﷺ مدنسًا بالرجس»[١]. ويقول الأستاذ مجيد أبو حجير: «والمصلحة العليا التي أرادها الشارع الحكيم في هذا الحكم، هي مصلحة معتبرة مزدوجة: الأولى مصلحة فردية لكل امرأة لتحفظ كرامتها وعفتها وشرفها من الامتهان والابتذال. والمصلحة الثانية: أعم ولا تقل خطرًا عنها وهى مصلحة أفراد جميع المجتمع، لحفظه من فتنة النساء بتبرجهن وكثرة اختلاطهن بالرجال، ليبقى المجتمع نظيفا من الفواحش، يقول ابن القيم في كتابه (الطرق الحكمية) في الاختلاط «فلا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما انه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة.... »[٢].

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: من الآية٣٢]

يقول في تفسيرها ابن عطية: «لا تتمنوا ما حدد الله في تفضيله، فإنه تعالى قد جعل لكل أحد مكاسب تختص به فهي نصيبه، قد جعل الجهاد والإنفاق وسعى المعيشة وحمل الكلف: كالأحكام والإمارة والحسبة وغير ذلك للرجال، وجعل الحمل ومشقته، وحسن التبعل، وحفظ غيب الزوج، وخدمة البيوت للنساء»[٣].

الدليل الرابع: قوله تعالي ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: من الآية٢٢٨].

قال الطبرى: روي عن زيد بن أسلم قوله «وللرجال عليهن درجة» قال: إمارة، وفى رواية أخرى قال: يطعن الأزواج الرجال، وليس الرجال يطيعوهن».

---

(١) نظرية الإسلام وهديه (ص٣١٩).

(٢) المرأة والحقوق السياسية (ص ١٥٩).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤٥).

ب - أدلة السنة

١) عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعدما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري، وزاد الترمذى «فلما قدمت عائشة - تعنى البصرة - ذكرت قول رسول الله ﷺ فعصمني الله به»[1].

الحديث يدل على أن الشرع قد نهى نهيًا جازمًا عن تولية المرأة رئاسة الدولة، لأن التعبير بـ «لن» يفيد التأبيد، وهو مبالغة في نفي الفلاح عمن يوليها، وهو قرينة على النهي الجازم فيكون النهي قد جاء مقرونا بقرينة تدل على طلب الترك طلبًا جازمًا، فكانت تولية المرأة حرامًا»[2].

وقال الصنعانى: «فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات، ولا يحل لقومها توليتها، لأن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب»[3].

وجاء فى فتوى لجنة الأزهر: «وظاهر أن الرسول ﷺ لا يقصد بهذا الحديث مجرد الإخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم لأن وظيفته عليه الصلاة والسلام بيان ما يجوز أن تفعله حتى تصل إلى الخير والفلاح، وما لا يجوز أن تفعله حتى تسلم من الشر والخسارة، وإنما يقصد نهي أمته عن مجاراة الفرس فى إسناد شئ من الأمور العامة إلى المرأة، وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث الحريصين علي فلاحهم وانتظام شملهم على الامتثال، وهو أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرًا من أمورهم.

ولا شك أن النهي المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة فى أي عصر من العصور أن

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٥، ٧٠٩٩)، والترمذى (٢٣٦٥)، والنسائي (٨/ ٢٠٠).

(٢) قواعد نظام الحكم في الإسلام للخالدى (ص٢٩٦).

(٣) سبل الإسلام (٤/ ١٢٨)، وانظر نيل الأوطار (٩/ ١٦٨).

تتولي أي شئ من الولايات العامة، وهذا العموم تفيده صيغة الحديث وأسلوبه كما يفيد المعنى الذى من أجله كمان هذا المنع، وهذا ما فهمه أصحاب الرسول الله ﷺ وجميع أئمة السلف، لم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قومًا، ولا شأنًا من الشئون العامة، فهم جميعا يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولي المرأة الإمامة الكبرى والقضاء، وقيادة الجيوش، وما إليها من سائر الولايات العامة.

وهذا الحكم المستفاد وهو منع المرأة من الولايات العامة ليس حكمًا تعبديًا يقصد منه مجرد امتثاله، دون معرفة حكمته، وإنما هو من الأحكام المعللة بمعانٍ واعتبارات، وعلة هذا الحكم هو الأنوثة وحدها والتي عبرت عنها كلمة «امرأة».

وواضح أن الأنوثة ليس مقتضاها الطبيعي عدم العلم والمعرفة، ولا عدم الذكاء والفطنة حتى يكون شئ من ذلك هو العلة، لأن الواقع يدل علي أن للمرأة علمًا وقدرة على أن تعلم كالرجال، وعلى أن لها ذكاء وفطنة كالرجل، بل قد تفوق الرجل، فلا بد أن يكون الموجب لهذا الحكم شيئا وراء ذلك كله، أن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التي خلقت من أجلها، وهي مهمة الأمومة وحضانة النشء وتربيته، وهذه قد جعلتها ذات تأثير خاص بداوعي العاطفة، وهى مع هذا لها عوارض طبيعية تتكرر عليها في الأشهر والأعوام من شأنها أن تضعف قوتها المعنوية وتوهن من عزيمتها في تكوين الرأي والتمسك به، والقدرة على الكفاح فى سبيله، وهذا شأن لا تنكره المرأة من نفسها»[1].

٢) عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جَزْلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبٍّ منكن» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان

---

(١) لجنة الفتوى بالأزهر: حكم الشريعة الإسلامية في اشتراك المرأة في الانتخاب رئيس اللجنة محمد عبد الفتاح العنانى (ص٢٣-٢٥)، وانظر ولاية المرأة في الفقه (ص١٠٢).

العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان في العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين» متفق عليه[١].

قال: صديق حسن القنوجي: «ومن كان كذلك لا يصلح لتدبير أمر الأمة ولتولي الحكم بين عباد الله وفصل خصوماتهم بما تقتضيه الشريعة المطهرة ويوجبه العدل، فليس بعد نقصان العقل والدين شيء...

والإمامة تحتاج إلى اجتهاد الرأي وكمال الإدراك والتبصر في الأمور والتفهم لحقائقها، وليست المرأة فى ورد ولا صدر من ذلك، ولا تقوى على تدبير أمر العباد، بل هي أضعف وأعجز من ذلك»[٢].

ويقول د/ حسن صبحى: «في هذا الحديث وصف الرسول الله ﷺ النساء بالنقص في عقولهن ودينهن، والخلافة تقتضى أن يكون الخليفة كاملاً في عقله ودينه»[٣].

وعللت لجنة الفتوى بالأزهر سبب إنحراف المرأة من مقتضى الحكمة والعدل في الحكم بقولها: «الحق أن المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال في الحكم، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بنقصان العقل، ورتب عليه – كما جاء في القرآن – أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل»[٤].

٣) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهى مسؤولة عن رعيتها..» رواه البخاري[٥].

---

(١) صحيح البخاري ( )، ومسلم ( ).

(٢) إكليل الكرامة (ص١٠٨).

(٣) الدولة الإسلامية وسلطتها التشريعية (ص١١٩).

(٤) الحركات النسائية (ص ١١٤) للأستاذ / محمد عطية خميس.

(٥) صحيح البخاري (٧١٣٨).

وفى الحديث تحديد مسؤولية كل فرد، وإن اشتركوا في وصف الراعي إلا أن معانيهم مختلفة، ودائرة عمل كل منهم محدودة، فحدد النبي ﷺ مسؤولية المرأة في رعاية زوجها وأهل بيتها، والعناية بتربية الأولاد وتنشئتهم وتدبير الأمور البيتية وتنظيمها، وكل ذلك داخل البيت، ولا تعود عليها مسؤولية خارج البيت... ولا يمكن القيام بأعباء الإمامة والحكم مع رعاية المرأة لبيتها وزوجها وأولادها لأن الإمام يضطر أن يقضى أكثر أوقاته خارج البيت، والمرأة مأمورة بالقرار داخل البيت.

٤) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها». رواه الترمذي[(١)].

وفى الحديث بيان عدم الخيرية في حياة من يولون المرأة الأمور العامة.

اعتراضات:

وأثار د/ عبد الحميد متولي عدة اعتراضات.

الاعتراض الأول: أن حديث أبي بكرة موضوع لأن جميع رواته ضعفاء، وقد ورد عليهم الجرح، فلا يحتج بهم، وليس في السند واحد من أهل الحجاز، بل كلهم من البصرة، كما قال ابن حجر: «والسند كله بصريون» والحديث الذي لا يعرفه أهل الحجاز لا يعتبر به لما قاله الإمام مالك: إذا خرج الحديث من الحجاز انقطع نخاعه وقال الشافعي: إذا لم يوجد للحديث من الحجاز أصل ذهب نخاعه»[(٢)].

---

(١) الترمذي (٢٢٦٦). وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري، وصالح في حديثه غرائب لا يتابع عليها، وهو رجل صالح.

(٢) ولاية المرأة في الفقه الإسلامي (ص١٠٣)، د/ حافظ أنور.

وقال أيضًا: أنه نظرًا للمسائل الدستورية من خطورة وأهمية، فإنه لا يجوز الأخذ في ميدانها بدليل ظني كأحاديث الآحاد، كما أن الإمام محمد عبده كان يرفض أحيانًا الأخذ ببعض أحاديث الآحاد رغم كون الحديث مما رواه البخاري.

والجواب:

١) أن إنكاره لحجية سنة الآحاد، ووجوب العمل بها قول ساقط مردود، فقد اتفق المسلمون على أن ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير في شأن من شؤون التشريع، أو شؤون الرئاسة والقضاء، ونقل إلينا بسند صحيح يكون حجة على المسلمين، ومصدرًا تشريعيا يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية، فالسنة هي الأصل الثاني من أصول الأدلة الشرعية، ومنزلتها تلي منزلة القرآن، ويجب اتباعها كما يجب اتباع القرآن.

وقد دلت نصوص القرآن وعمل الصحابة على وجوب العمل بالسنة، ثم توقف القيام بفرائض الله على بيان السنة

٢) أن أحاديث الآحاد وإن كانت ظنية الثبوت عن رسول الله ﷺ، فإن الظن ترجح بما توافر فى الرواة من العدالة وتمام الضبط، وغلبة الظن تكفي في وجوب العمل بها، وأكثر الأحكام مبنية على الظن الراجح ولو التزم القطع في كل حكم من الأحكام العملية لتعذر ذلك، وأصاب الناس الحرج».

٣) وأما نقله عن الإمام محمد عبده برد أحاديث الآحاد، فقد أورده الدكتور الذهبي فى رد أخبار العقائد ثم رد عليه، إذ قال: «ثم راح الشيخ – يعنى محمد عبده – برد ما جاء من الروايات في سحر النبي ﷺ.. إن الحديث فعلي وعلى فرض صحته هو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في العقائد...

ولكن الأستاذ ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن، وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التي

هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبَيّن من المبيَّن وقد قالوا: أن البيان يلحق بالمبين..»

وعلى فرض أن الإمام قد أنكر كل أحاديث الآحاد، فإن رأيه غير لازم لمخالفته حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، ولا سيما إذا وردت الأحاديث في الصحيحين، فضلاً عن أن أحكام العقائد والإمامة ورد الإجماع عليها. فتكون أحكام الأحاديث التي ورد الإجماع عليها قطعية».

الاعتراض الثاني: يقول: «الخلاصة أنه لا يصح – في ميدان القانون الدستوري – أن نقبل سنة الآحاد حين تكون مستقلة أي سنة تأتى بمبدأ أو حكم جديد لم ينص عليه في القرآن ويصح – فيما نرى – أن نأخذ في هذا المقام بالسنة المشهورة، بشرط أن يكون الحديث منقولا عن اثنين من كبار الصحابة، ولا موضع لأن يؤخذ علينا اشتراطنا هذا الشرط، فلقد كان يشترطه أحيانا خليفتان عظيمان هما أبو بكر وعمر، ولقد كانا يشترطانه في رواية أحاديث تروى بصدد بعض مسائل أو تشريعات عادية تقل كثيراً في الخطورة والأهمية عن التشريعات الدستورية، والسنة المشهورة تعد كما يقولون قريبة من اليقين وفى رأيي أننا حين نشترط ذلك الشرط نرتفع إلى مرتبة اليقين».

والجواب: لعدم تخصص د/ متولي لم يعرف معنى مصطلح المشهور، فهو أحد أقسام حديث الآحاد كما هو معروف عند المحدثين وجمهور الفقهاء والأصوليين، وأما الأحناف فالحديث المشهور واحد من ثلاثة أقسام: أحدها المتواتر، والآخر الآحاد، وهم يقصدون به ما انتشر على لسان أهل العلم بعد الطبقة الأولى لرواة الحديث في موطنهم خاصة، وهى أمصار أرض العراق فى ذلك الحين كما أن مذهب الأحناف في هذا الشرط في الأحاديث التي تخالف القياس، وليس معنى ذلك أنهم لا يأخذون بأخبار الآحاد، فهي عندهم مسلمة، ولا يعترضون عليها إلا إذا خالفت القياس، وأما شرطه أن يرويه اثنان من كبار الصحابة، كما فعل أبو بكر وعمر، فجوابه: أن هذا شرط باطل وكان فعل أبي بكر وعمر من ضرب التثبت خشية نسيان الراوى كما صرح بذلك عمر، والمعروف أن أبا بكر وعمر قبلوا أحاديث الآحاد وعملوا بها، ومن أراد الأمثلة الكثيرة فعليه بأعلام

الموقعين لابن القيم.

الاعتراض الثالث: ويقول: «إن هذا الحديث لم يكن في صورة أمر أو نهي موجه إلى المسلمين بعدم تولية رئاسة الدولة، وإذا سلمنا جدلاً بأنه قصد به النهي عن تولية المرأة تلك الرئاسة فما الذي يثبت لنا أن الأمر كان للوجوب (أي للإلزام) ولم يكن لمجرد (الندب).

وجوابه: يقول د/ حسن صبحي: وما من شك أن د/ متولي عالم له قدره في ميدان القانون العام متمكن من مبادئه وأحكامه، ولكن مما لا شك فيه أن لكل قانون أساليبه الخاصة به، والتي منها ما يدل على إفادة الأمر والنهي، ومن الخطأ البيّن تقييم قاعدة قانونية في تشريع معين انطلاقا من فهم أساليب متعارف عليها في ميدان تشريع آخر.

ومن المعروف أن الأسلوب الخبري في اللغة يستخدم للإنشاء إذا ما وجدت قرينة تفيد ذلك، وقد قرر فقهاء الشريعة الإسلامية، أن ترتيب وقوع محظور على حدث يفيد النهي عن فعل هذا الحدث، والحديث رتب عدم فلاح القوم، وهو أمر محظور، على تولية المرأة الأمر، فيفيد النهي عن تولية المرأة، وأما بالنسبة لحديث نقصان العقل والدين في المرأة، فإن الثابت الذي لا جدال فيه أن وصف إنسان ما بالنقص في أمر يمنعه من تولي منصب أو عمل يشترط كمال هذا الأمر فيه»[1][2].

الاعتراض الرابع: ويقول: وإذا سلمنا جدلاً بأن هذا الحديث يتضمن أمراً بالوجوب – أي بالإلزام، فهو لا يعد حجة ملزمة لنا في العصر الحديث، لأن السنة المتصلة بالشؤون الدستورية (شؤون الحكم) لا تعد – كما قدمنا – تشريعاً عاماً، لا سيما إذا أخذنا في عين الاعتبار أن رئاسة الدولة فى صدر الإسلام (أي الخلافة) كان يجمع صاحبها إلى جانبه سلطة الحكم (السلطة السياسية) الرئاسة الدينية، خلافا لما عليه الحال في العصر الحديث، حيث لا يجمع الرئيس بين هاتين السلطتين أو الرئاستين بل حيث نجد

---

(١) مبادئ نظام الحكم في الإسلام (ص٤٣٥)، د/ عبد الحميد متولي.

(٢) الدولة الإسلامية وسلطتها التشريعية، د/ حسن صبحى (ص١٢٠).

الرئيس أحيانًا في بعض البلاد لا يملك سوى مجرد رئاسة شرفية، أي رمزية أي أنه لا يملك سلطة فعلية.

والجواب:

١) أن السنة المتصلة بشؤون الحكم ثبت حجية العمل بها، ووجوب تطبيقها كغيرها من السنن المتصلة بالعقائد أو العبادات أو المعاملات.. إلخ لإفادتها حلالاً أو حرامًا والحديث الذي ينكره د/ متولي يفيد النهي عن تولية المرأة الرئاسة، والنهي يفيد التحريم ولم تقم قرينة صارفة للنهي فبقيت حرمة تولي المرأة حاضرًا أو مستقبلا علي هذا المنصب قائمة فيكون الحكم تشريعًا عامًا.

٢) أن رئيس الدولة في الإسلام ليس مجرد صورة رمزية (شرفية) لا سلطات عامة فى يده، بل هو صاحب السلطات العامة في الدولة، وقد وضع الفقهاء في يده سلطات تقديرية[1] أي صلاحيات عامة واسعة، فنصوا على أن «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة» وعلى أن «أمر الإمام إنما ينفذ إذا وافق الشرع»، فضلاً عن قيام الأدلة القاطعة على وجوب نصب رئيس الدولة ليقوم بمهام الإمامة العظمى، ويقيم الغاية التي من أجلها وضعت الإمامة، وهى خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وهذا دليل على أنه لا فصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية عن يد الإمام المكلف شرعًا باقامتها.

وهذا يدل على افتراق طبيعة أحكام رئاسة الدولة، وشروط مقلدها في نظام الإسلام عن أي نظام حكم وضعي في العالم، إذ هو نسيج وحده، ولا يقوم إلا بما نطق به الشرع فليس من مبادئ نظام الحكم في الإسلام تفريغ منصب الإمام من مسؤوليات الإمامة العظمى، وسلطاته العامة، وجعلها فى يد رئيس وزراء بلغة العصر – كما هو

(١) يقصد بالسلطات التقديرية: «تلك التي لم يرد بشأنها نص من كتاب أو سنة يحددها مما يقتضيه تنظيم مرافق الدولة، وتدبير شؤونها، ورعاية الصالح العام، وبالجملة من كل ما يجلب المصلحة أو يدرأ المفسدة، على مقتضى من روح الشريعة ومقاصدها العامة، ولو لم يرد بشأنها أحكام تفصيلية.

الحال في الأنظمة البرلمانية في إنجلترا واسرائيل.

الاعتراض الخامس: يقول الأستاذ/ ظافر القاسمي: «أن سبب وروده هو أن كسري فارس مات فولى قومه ابنته عليهم، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال هذا القول لأن سفير الرسول إلى كسرى قد أسيئ استقباله، كما هو معلوم من كتب السيرة وبتعبير آخر: كانت العلاقات السياسية سيئة فيما بين الحكومة النبوية وبين حكومة فارس ولقد عرف علماء أصول الفقه قواعد للاستدلال جاء في بعضها: أن العبرة لخصوص السبب، لا لعموم اللفظ، أي: أن الحكم الوارد في الحديث لا يتعدى الواقعة التي قيل بسببها، وإذا كان لفظ الحديث عامًا، فلا يعنى هذا أن يكون حكمه أيضًا عامًا، وينبنى على ذلك: أن الحديث لا ينهض حجة في منع المرأة من تولي رئاسة الدولة»[1].

وجوابه: من الإنصاف أن نقول إنه لا يمكن أن يندرج هذا الحديث تحت القاعدة الأصولية «العبرة بخصوص السبب لا لعموم اللفظ، والصحيح أن تكون العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وروايات الحديث جاء أكثرها بصيغة: «لن يفلح قوم تملكهم امرأة»، «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» ونفي الفلاح بلن يفيد التأبيد المطلق للنفي، في حين أن الفاعل «قوم» نكرة، وإذا كان الاسم نكرة كانت دلالته أشمل من أن يكون معرفًا بأل، أرأيت لو قلنا: «لن ينجح رجل» ألا يكون نفي النجاح عن كل رجل، ولو قلنا: لن ينجح الرجل، فإن ذلك يعنى رجلاً بعينه يعهده السامع.

إن رواية «لن يفلح قوم تملكهم امرأة» الفعل المنفي مضارع، وفعل جملة الصفة مضارع أيضا، مما يجعل عدم الفلاح مستقبلا عن قوم تملكهم الآن أو مستقبلا امرأة.

ج- دليل الإجماع

فقد أجمع المسلمون قولاً وعملاً على أنه لا يجوز للمرأة أن تتولى الإمامة العظمى

---

(١) نظم الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٣٤١).

(رئاسة الدولة) وقد نقل هذا الإجماع عن غير فقيه وعالم.

من الإجماع القولي: قال الإمام الجويني: «وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون إمامًا وان اختلفوا فى جواز كونها قاضية فيما يجوز شهادتها فيه».

وقال ابن حزم: «وجميع فرق القبلة ليس فيهم أحد يجيز إمامة امرأة»

وقال القرطبي: «وأجمعوا عن أن المرأة لا يجوز أن تكون إمامًا».

ومن الإجماع العملي

قال ابن قدامة: «ولا تصلح للإمامة العظمى، ولا لتولية البلدان، ولهذا لم يولّ النبي ﷺ ولا أحد من خلفائه، ولا من بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد فيما بلغنا، ولو جاز ذلك لم يخل منه الزمان غالبا».

وقال الباجي: من معرض استدلاله على منع المرأة من القضاء: «ويكفي في ذلك عمل المسلمين من عهد النبي ﷺ، لا نعلم أنه قدم امرأة لذلك في عصر من الأعصار ولا بلد من البلاد، كما لم يقدم للإمامة امرأة».

وقالت لجنة علماء الفتوى بالأزهر: «الولاية العامة ومنها رئاسة الدولة، قصرتها الشريعة الإسلامية على الرجال إذا توفرت فيهم شروط معينة، وقد جرى التطبيق العملي على هذا من فجر الإسلام إلى الآن، فإنه لم يثبت أن شيئا من هذه الولايات العامة قد أسند إلى المرأة لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال، وقد كان في نساء الصدر الأول مثقفات فضليات وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال، كأمهات المؤمنين، مع أن الدواعي لاشتراك النساء مع الرجال في الشؤون العامة كانت متوفرة، لم تطلب المرأة أن تشترك في شيء من الولايات، ولم يطلب منها الاشتراك، ولو كان لذلك مسوغًا من كتاب أو سنة لما أهملت مراعاته من جانب الرجال والنساء باطراد».

الرأي الثاني القائل: بالجواز

شذ بعض الناس في العصر الحاضر، وخالفوا الفقهاء وعلماء المسلمين السابقين

والمعاصرين فأجازوا أن تتولى المرأة الولايات العامة، فلا مانع فى الإسلام عندهم أن تكون المرأة خليفة أو رئيسة الدولة واستدلوا بما يلي:

الدليل الأول: عموم آيات الخلافة: قال تعالي: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: من الآية٥٥]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ .....﴾ [الحج: من الآية٤١] وقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: من الآية٧١].

وجوابه: هذه الآيات لا تدل على شرائط أهلية الخلافة، وما جاءت لبيان صفة أهل الإمامة، وإنما جاءت لبيان مبدأ الشورى، وأن الناس كلهم يشتركون في بناء هذه الحكومة، وإصلاح المجتمع، وتعتبر هذه الحكومة لهم كلهم، فهم يساعدون الإمام والولاة والمسئولين في القيام بالأمن والاستقرار والإصلاح.

ولا يستدل بالعموم، لأنه يصح الاستدلال به لو لم يأت تخصيص وبيان فى نصوص أخرى، ولكن جاءت نصوص من الكتاب والسنة تبين عدم جواز تولية المرأة الولاية العامة.

الدليل الثاني: قصة ملكة سبأ قال تعالى على لسان الهدهد: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل:٢٣] وهى امرأة كانت ذات عقل ورأي وبصيرة.

وليس فى القرآن ما يدل على أنها عزلت عن الحكم، بل سكت القرآن، وهذا السكوت يدل على صحة حكمها لأنه لم يعب عليها بل ذكرها بالمدح والثناء.

وجوابه: لا يصح الاستدلال بهذه الواقعة على جواز خلافة المرأة في الإسلام، لأن هذا عمل القوم الكافرين، كانوا يسجدون للشمس.

ثم أن سليمان عليه السلام لم يسلم بحكومتها وملكها بل أمرها وقومها أن يأتوا إليه مذعنين كما قال تعالى حكاية عن سليمان ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٣١] وهذا دليل على أن سليمان لم ير صحة ملكها، بل جعلها تطيع أمر الله، وأمر رسوله ثم ختم الله هذه الواقعة بإسلام هذه المرأة، وليس فيها ما يدل على أن الله تعالى مدحها وأثنى عليها، ولا ما يدل على أن سليمان أبقاها على ملكها، ما جاء مثل هذا في الكتاب ولا في السنة الصحيحة.

ثم لو سلمنا أنها بقيت على ملكها بعد إسلامها وأقرها سليمان، فإنه ليس بحجة في شريعتنا أن الإسلام نهى عن تولية المرأة الملك.

قال الألوسي: «وليس في الآية ما يدل على جواز أن تكون المرأة ملكة، ولا حجة في عمل قوم كفرة على مثل هذا المطلب».

الدليل الثالث: وقعة الجمل وعائشة:

واستدلوا بأن عائشة رضى لله عنها قادت معركة الجمل ضد علي رضي الله عنه، وقاتل آلاف من الصحابة والتابعين تحت قيادتها، ولم يعترض أحد على شرعية قيادتها، فدل على جواز قيادة المرأة».

وجوابه: أن عائشة أم المؤمنين لم تتدخل في أمور الخلافة، ولم تطالب بالخلافة أو البيعة لها أو لغيرها، ولم تخرج هي محاربة أو قائدة لجيش محارب، وإنما خرجت داعية للإصلاح بين الناس، وللمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، وهذا أمر ليس من الولاية العامة في شئ وحصل ما حصل، واضطرت هي وأصحابها وأصحاب علي للخوض في معركة الجمل، ثم إن صنيع عائشة هذا ليس فيه دليل شرعي يستند إليه، لأنه كان عملها واجتهاد منها، وعملها ليس بحجة أمام الكتاب والسنة، وكانت مخطئة في اجتهادها، وأنكر عليها بعض الصحابة هذا الخروج، واعترفت بخطئها وندمت على خروجها وعنها قالت: «وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام وأني لم أسر مسيرى مع ابن الزبير».

وكانت إذا قرأت هذه الآية «وقرن في بيوتكن» «بكت حتى تبلّ خمارها.

الدليل الرابع: الاستناد إلى بعض الوقائع التاريخية حكم شجرة الدر لمصر،

وجوابه: الوقائع التاريخية ليست حجة شرعية، ولا سيما في الأحداث المتأخرة من الزمان وقد وقع الإجماع على عدم تولية المرأة الولاية العامة.

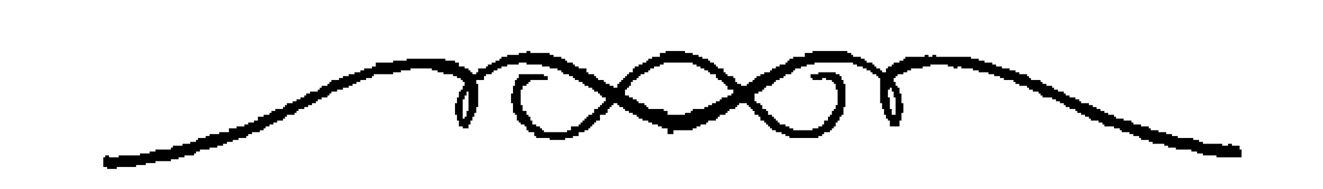
وخلاصة القول

أن الذكورة شرط في أهلية الولاية العامة، فلا يجوز للمرأة أن تتولى الإمامة الكبرى أو رئاسة الدولة بالاتفاق، وأجمعت عليه الأمة في العصور الأولى من الصحابة والتابعين، وتابعيهم والأئمة والفقهاء والعلماء المحدثين والمفسرين على اختلاف مذاهبهم.

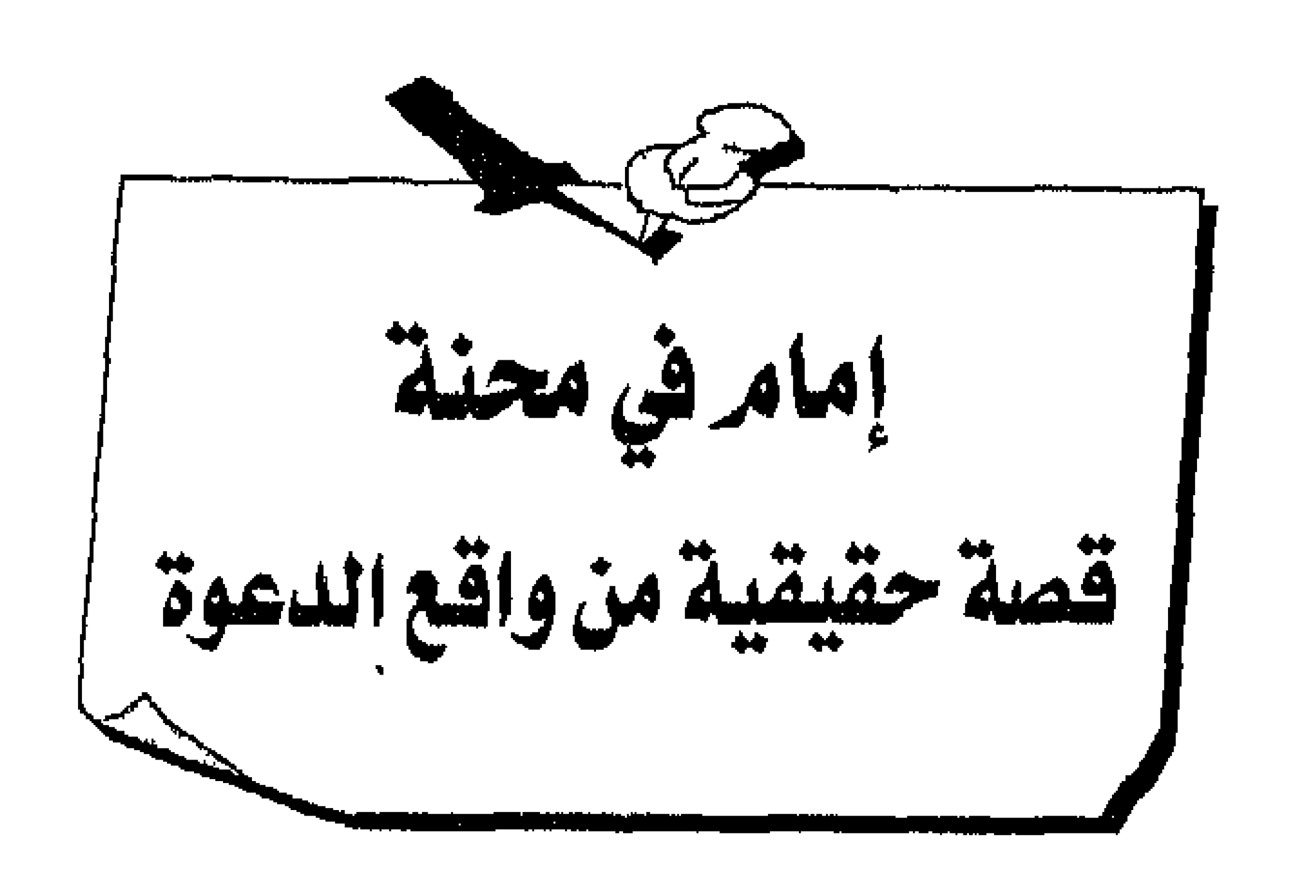
وعلى هذا دلت الأدلة من الكتاب وصحيح السنة، وهي ظاهرة في دلالتها، ويقتضيه العقل والحكمة في خلافة المرأة وتكوينها النفسي والجسدي.

كما أنه هو الواقع التاريخي علي مر عصور الإسلام.

وأما القول المعارض الذي حدث متأخرًا، فليس له دليل من الكتاب والسنة، بل هي شبهات من اجتهاد بعض أفراد شذت في أقوالها، وخالفت قول عامة العلماء فلا يجوز تولي المرأة أو ترشيحها للإمامة العظمى أو رئاسة الدولة.



مواقف رائدة



أ/ أحمد حسنين

إنها محنة حقيقية، وقعت في القرن الثالث الهجري، لإمام رباني قال فيه ابن حبان «أغاث الله به أمة محمد ﷺ وذلك أنه ثبت في المحنة، وبذل نفسه لله، فعصمه الله تعالى، وجعله علمًا يقتدى به، وملجأ يلجأ إليه»

إنها ليست محنة إمام فحسب لاقى من التعذيب والحبس ما لاقى، وإنما هي محنة الفكر الذي لا يجد من يناظره من أدعياء حرية الفكر والعقل، فيحاربونه بالحبس والقهر تارة، وبالتشكيك والاتهامات تارة أخرى.

ومحنة إمامنا تولى كبرها من يزعمون أنهم أصحاب العقل الرشيد والفكر السديد. تساندهم سلطة الحكم بقوتها وعدادها، إننا أمام محنة فكرية تتعلق بالقرآن ودعوى أنه مخلوق وقد عجز أصحابها على حمل الناس عليها بقوة البيان فلم يجدوا سبيلا إلا أن يحملوهم بقوة السلطان وعنف الامتحان، وإنزال البلاء والسجن والتقييد، ووضع الأغلال.

مما جعل العلماء المعنيون بالقضية في مأزق هل يَصْدعون بالحق ويصبرون أخذا بالعزيمة كما فعل بلال رضي الله عنه أم يترخصون لشدة الفتنة وجور السلطان،

ويأخذون سبيل عمار رضي الله عنه والذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

والرخصة وإن جاز الأخذ بها عند الشدائد إلا أنه لابد من رجال يأخذون بالعزيمة فيقيمون الحجة على الباطل كما يقول إمامنا «إذا سكت العالم تقية، والجاهل يجهل فمن يظهر الحق».

ومحنتنا هذه وقف لها اثنا عشر رجلاً فقط سجلهم لنا التاريخ شامة في جبينه وقامت بهم الحجة وهم:

إمامنا: وسنتعرض لمحنته بالتفصيل.

وأحمد بن نصر الخزاعي: الذي أنكر «أن القرآن مخلوق» فقتله الخليفة الواثق وقال «إني احتسب خُطايَ إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لا نعبده، ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم مشى إليه فضرب عنقه، وأمر به فحمل رأسه إلى بغداد فنصب بالجانب الشرقي، والبدن مصلوبا بسامراء ست سنين إلى أن أنزل وجمع في سنة (٢٣٧هـ) فدفن في عهد المتوكل[١].

قلت: رحمك الله يا شهيد، وجمعك الله مع سلفك الصالح خبيب وعبد الله بن الزبير.

محمد بن نوح: مات في قيده، وصلى عليه إمامنا وسيأتي ذكره في المحنة.

نعيم بن حماد: توفى سنة ٢٢٩هـ، وهو شيخ البخاري وصاحب كتاب الفتن. وكان مقيدا محبوسًا لامتناعه من القول بخلق القرآن فجر بأقياده، فألقى في حفرة، ولم يكفن ولم يصل عليه فعل به ذلك صاحب ابن أبى داود - يعنى المعتصم- »[٢]

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي (ص٣٩٨)

(٢) سير الأعلام للذهبي (١٠/ ٦١٢) ـ تاريخ بغداد (١٣/ ٣١٤).

عفان بن مسلم: وهو أول من امتحن، ولما دعي للمحنة امتنع أن يجيب، فهددوه بحبس عطائه (أي راتبه) وكان يُعطى كل شهر ألف درهم وكان جوابه على التهديد أن تلا عليهم قوله تعالى ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢].

قلت: وهو هو أسلوبهم اليوم فمن يكون مثل عفان اليوم.

أبو نعيم الفضل بن دكين:وهو شيخ البخاري أيضا، لما أدخل على الوالي ليمتحنه قال: أدركت الكوفة وبها أكثر من (٧٠٠) شيخ، الأعمش فمن دونه يقولون القرآن كلام الله وعنقي عندي أهون من زري هذا فقام أحمد بن يونس فقبل رأسه وكان بينهما شحناء وقال: جزاك من شيخ خيرا.

قلت: إنها النفس الأبية التي تقول: عنقي أهون من زري هذا.

يوسف البويطي: حُمِلَ من مصر أيام المحنة إلى العراق وحُبس ببغداد وقيد، فتوفي في السجن والقيد سنة (٢٣٢هـ)، وقال ا لربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغل في عنقه سلسلة حديد وقيد، وبين الغل والقيد سلسلة حديدية فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول «إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأنما مخلوقا خلق مخلوقا والله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدى قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم وإن دخلت عليه لاصدقته يعنى الواثق».

وأما الباقون الذين لم يجيبوا فهم: إسماعيل بن أويس، وأبو مصعب المدني، ويحيى الحماني، وعبد الأعلى بن مسهر الغسانى[1].

ما المراد «بخلق القرآن»

يقول محمد أبو زهرة «القرآن بمعنى تلاوته محدثة لا قديمة، فمن قال أن القرآن مخلوق أي محدث، بمعنى قراءته فكلامه سليم لاشك فيه، وذلك لأن القراءة وصف للقارئ، لا وصف لله سبحانه، وإطلاق القرآن بمعنى القراءة جاء في القران كقوله

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي (ص ٣٩٣- ٤٠١).

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: من الآية٧٨] أي قراءة الفجر وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى نظر دقيق وبحث عميق ومع هذه البداهة يحكي ابن قتيبة أن ناسًا قالوا: إن القراءة للقرآن قديمة ويوجه قولهم في توجيهه «إن من قال القراءة غير مخلوقة فقد قال إن أعمال العباد غير مخلوقة» وكيف يقول قائل: إن أفعال العباد غير مخلوقة؟ والعباد أنفسهم مخلوقون وهذا كلام غير جدير بالنظر والحكاية.

وإذا كان هذا شأن الخلاف في قراءة القرآن فكيف يكون الشأن في القرآن نفسه والقرآن الكريم ينظر إليه نظرين أحدهما: النظر إلى مصدره: وهو أن الله سبحانه متصف بالكلام وصفة الكلام قديمة بقدم الذات العلية لأن الله لا يتصف بما تتصف به الحوادث.

والنظر الثاني: هو النظر إلى حروفه، وتلك الكلمات المكون منها.... (١)

وهذه المسألة قد قتلت بحثا في كتب العقيدة ما ذكرناها إلا لأنها أصل محنة إمامنا ولنبدأ في تفاصيل المحنة.

بداية المحنة:

إن المتأمل في تاريخ المعتزلة يجد أنهم قد ظهروا في أوائل القرن الثاني الهجري وقاموا بنشر مبادئهم وعقائدهم، ولما قوبلوا من الدولة ومن الناس بالمقاومة والصد وجهوا جهودهم أن يستعينوا بالسلطة الحاكمة، وأن يستميلوا من بيده الأمر وهو أسلوب مطرد لأصحاب الأهواء الذين لا تنتشر أفكارهم إلا بقوة السلطان... وخنع المعتزلة مدة في محاولات استمالة خلفاء الدولة العباسية في عهدها الأول ولكنهم لم يجدوا الاستجابة من المهدى والهادي، والرشيد والأمين.. حتى أن هارون الرشيد توعد بشر المريسي بالقتل حين بلغه عنه أنه يقول بخلق القرآن، وظل بشر مختفيا حتى مات الرشيد. وما أن وصل المأمون إلى الخلافة وكان ميالا بطبعه إلى العلم شغوفا به فاقتنع بمقولة المعتزلة.. وبذلك انتهى دور الضعف والتخفي للمعتزلة معتمدين بذلك على إيمان المأمون

(١) ابن حنبل لأبى زهرة (ص١٢١).

بدعوتهم.. وقربهم المأمون وأصبحوا خاصة جلسائه، واستوزر أحمد بن أبي داود المعتزلي، وجعله كاتبه، وصاحب السلطان في دولته وكانت له منزلة في نفسه، حتى أنه أوصى أخاه من بعده أن يجعله في منصبه.

الإرهاب الفكري:

بدا المأمون القول بخلق القرآن عام ٢١٢هـ، ولكنه لم يشأ حمل الأمة عليه وفى عام (٢١٨هـ) غير هذه المشيئة ورأى وهو في (طرسوس) من أرض الروم، أن يلزم الناس بهذا القول فأرسل عدة رسائل إلى قائده إسحاق بن إبراهيم في بغداد ومما جاء في الرسالة الأولى: **أما بعد فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم والعمل بالحق في رعيتهم**»[1] إلى قوله «وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر لهم ولا رويّة واستدلال بدلالة الله وهدايته.. أهل بالله وجهالة وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده لضعف آراءهم ونقص عقولهم[2].... وذلك أنهم ساووا بين الله وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا مجتمعين على أنه قديم أولم يخلقه الله ويحدثه وقد قال الله في محكم كتابه «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (الزخرف:٣)

فكل ما جعله الله فقد خلقه.. ثم هم جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم ونسبوا أنفسهم إلى السنة ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة وأن ما سواهم أهل الباطل فاستطالوا بذلك عل الناس وغرّوا بالجهال. [3] حتى مال أهل السمت الكاذب والتخشع

---

(١) تأمل هذه الفقرات التي تبين واجب الحاكم نحو دينه ورعيته.

(٢) وهذه النظرة الخاطئة لعامة الناس لها آثار خطيرة فللعامة حكمهم في جهل تفاصيل المسائل العقدية والتى لا يجوز طرحها عليهم حتى لا تحدث فتنة فضلا عن حملهم عليها بالقوة ورحم الله عليًا- رضي الله عنه- القائل: »ما أنت بمحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة».

(٣) يعرض في هذا بعلماء المسلمين ممن خالفوا رأيه وهو نفس أسلوب الحكام الظلمة.

لغير الله إلى موافقتهم على سيئ آرائهم تزينًا بذلك عندهم وتصنعا للرئاسة... فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم[١].... ثم قال «فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورؤوس الضلالة وأوعية الجهالة[٢] فاجمع من بحضرتك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فابدأ بامتحانهم[٣] فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله [٤]، ولا واثق فيما قلده الله من أمور رعيته بمن لا يوثق بدين[٥] فإن أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فمرهم بترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث والامتناع عن توقيعها عنده[٦].

ثم توالت الرسائل [٧] في امتحان العلماء وخاصة المحدِّثين فأحضرهم إسحاق بن إبراهيم والي بغداد وامتحنهم فقالوا: القرآن كلام الله، والله خالق كل شئ، وما دون الله مخلوق... فأرسل المأمون رسائله من أرض الجهاد وتعرض للعلماء بأسمائهم ثم قال: «ومن لم يرجع عن شِرْكه ولم يقل أن القرآن مخلوق فاحملهم إلى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم وحراستهم لينصَّهم أمير المؤمنين فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعًا على السيف.

وصل هذه الكتاب إلى إسحاق فدعا العلماء وأعاد عليهم السؤال مع تهديد أمير المؤمنين فأجابوه كلهم بأن القرآن مخلوق إلا أربعة نفر: إمامنا، وسجادة، والقواريرى،

---

(١) هذه الاتهامات المعتادة التى توجه لمن يؤمن بالدعوة إلى الله ويتبع العلماء.

(٢) وهى نفس الاتهامات التى توجه الى دعاة الحق في كل زمان ومكان.

(٣) يلاحظ أن المأمون بدأ باختبار القضاه وموظفوا الدولة ثم بعد ذلك ثنى بالعلماء ثم باقى الرعية.

(٤) التهديد بإنهاء الخدمات والطرد من الوظائف.

(٥) وهذا هو الحق أن يتولى أمور الرعية من يوثق في دينه.

(٦) تهديد العامة عن طريق القضاة بأنهم لا تقبل شهادتهم إذا لم يقولوا بهذا القول.

(٧) انظر هذه الرسائل، في أحمد بن حنبل للسعدى (ص١٧٢) وابن حنبل لأبى زهرة (ص٤٧- ٥٦).

ومحمد بن نوح[١].

فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد فلما كان من الغد فأعاد عليهم وهم مقيدون، فأجابه سجادة فأطلق سراحه، ثم أعاد بعد الغد فأجابه القواريرى فأطلق سراحه وأصر إمامنا ومحمد بن نوح على قولهما فشدا جميعا في الحديد وأرسلا إلى طرسوس.

بداية رحلة المحنة

* يقول ابن إمامنا (صالح): حُمِلَ أبي ومحمد بن نوح مقيدين فصرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الخلال أبي: يا أبا عبد الله إن عُرضت على السيف تجيب؟ قال: لا، ثم سُيرا. قال فسمعت أبي يقول: لما صرنا إلى الرحبة ورحلنا منها – وذلك في جوف الليل- عرض لنا رجل فقال: أيكم أبو عبد الله، فقيل له هذا فقال للجمال: على رسلك ثم قال: يا هذا ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة ثم قال: أستودعك الله ومضى. قال أبي فسألت عنه فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة، وفى رواية قال إمامنا: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا لأمر الذي وقعت فيه أقوى من كلمة الأعرابي: يا أبا عبد الله إن يقتلك الحق مت شهيدا وإن عِشْتَ عِشْتَ حميداً قال فقوي قلبي. قال أبو حاتم الرازي: فكان كما قال لقد رفع الله عز وجل شأن إمامنا بعد ما امتحن وعظم عند الناس وارتفع أمره جدا. [٢]
* قال أبو جعفر الأنباري لما حمل الإمام إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه فقال: يا أبا جعفر تعنيتَ؟ فقلت: ليس هذا عناء، وقلت له: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك فوالله لأن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وأن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير؛ ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فأنت تموت ولابد من الموت فاتق الله

(١) وأما باقى الثانى عشر فقد جاءوا بعد هؤلاء إلا عفان.

(٢) وهذه من المثبتات على الحق يرزقها الله لعبده في محنته

ولا تجبهم إلى شيء فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله[1]

* وقال ابن إمامنا (صالح):قال أبي: لما صرنا إلى إذنة ورحلنا منها – وذلك في جوف الليل – وفتح لنا بابها فإذا رجل قد دخل وقال: البشرى، قد مات الرجل – يعني المأمون– قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه[2].

* قال إسحاق: قال إمامنا: ما رأيت أحدًا على حداثة سنه، وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم وأنا معه خلوين يا أبا عبد الله إنك لست مثلي أنت رجل يقتدى بك وقد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذه الكلام، فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي فانظر بما ختم له، مرض وصار إلى بعض الطريق فمات فصليت عليه ودفنته – وأنه بعانة– وكان وفاته سنة (٢١٨هـ)[3]

الإمام في السجن

ثم أعيد إمامنا إلى السجن في الرّقة بمفرده مقيدا بعد موت صاحبه محمد بن نوح أثناء عودتهما إلى بغداد وبقي إمامنا حتى ينظر الخليفة الجديد (المعتصم) في أمره.

ومن الأحداث في سجنه :

عن أبي العباس وكان من حفاظ أهل الحديث أنهم دخلوا على الإمام بالرقة وهو محبوس فجعلوا يذاكرونه ما يروى في التقية من الأحاديث فقال الإمام وكيف تصنعون بحديث خباب «إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصده ذلك عن دينه» قال: فيئسنا منه. قال إمامنا: لست أبالي بالحبس ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فتنة السوط، وأخاف أن لاأصبر، فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول

---

(١) مناقب أحمد بن الجوزى (ص٣١٤).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٤)

(٣) المصدر السابق (ص٣١٥).

ذلك فقال: لا عليك يا أبا عبد الله فما هو إلا سوطان ثم لا تدرى أين يقع الباقي، فكأنه سرى عنه ورد من الرقة وحبس»[١]

وعن ابن إمامنا صالح قال: لما جاء نعي المأمون ردا أبى ومحمد بن نوح في أقيادهما إلى الرقة، وأخرجا في سفينة مع قوم محبسين، فلما صارا بعانات توفي محمد بن نوح ودفن بها ثم صار أبي إلى بغداد وهو مقيد فمكث بالياسرية أياما ثم صار إلى الحبس في دار اكتُرِيَت له عند دار عمارة ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب يعرف بالموصلية»[٢] وفى رواية «وكنت أصلى بأهل السجن وأنا مقيد».

وفى سجنه هذا جاءته رسالة من إمام الحديث آدم بن إياس (١٣٢- ٢٢٠هـ) عن أبى بكر الأعين قال: قلت لآدم العسقلانى: إني أريد أن أخرج إلى بغداد أفلك حاجة؟ قال: نعم إذا أتيت بغداد فائت الإمام فأقرئه مني السلام وقل له: يا هذا اتق الله وتقرب إليه بما أنت فيه ولا يستفزنك أحد فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة، وقل له: حدثنا الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه» فأتيت الإمام في السجن فدخلت عليه فسلمت عليه وأقرأته السلام وقلت له هذا الكلام والحديث، فأطرق الإمام إطراقة ثم رفع رأسه فقال: رحمه الله حيا وميتا، فلقد أحسن النصيحة»[٣]

المحنة تشتد مع المعتصم:

لما اشتد بالمأمون الألم عهد لأخيه المعتصم بالخلافة، وأوصاه بوصية طويلة ذكرها الطبرى في تاريخه كاملة[٤] وفيها الوصية بأن يأخذ بسيرة أخيه في القرآن ولم يكن المعتصم

---

(١) المصدر السابق (ص٣١٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٣١٧)

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٦).

(٤) وهى وصية طويلة كلها زهد وخشية من الله وخاصة النفس وشدة حرص على مصالح الأمة.

رجل علم بل كان رجل سيف فترك أمر خلق القرآن للمعتزلي أحمد بن أبى دواد، ليـدير الأمر فيه لينفذ وصية أخيه وكانت وفاة المأمون في ١٢ رجب ٢١٨هـ. وعاد المعتصم من أرض الروم إلى بغداد فوصلها في مستهل رمضان سنة ٢١٨هـ والإمام مكبل بالقيود مـع المجرمين دون أن يخطر ببال الخليفة الجديد لأنه كان مـشغولا بفـتن داخـل الخلافـة حتـى انقضت على ذلك سنتان فتذكر بعدها الإمام في العشر الأخيرة من رمضان سنة ٢٢٠هـ لتبدأ محنة شديدة مع الإمام.

التحقيق والمناظرة والتعذيب:

يقول ابن الإمام (صالح): قال أبي: لما كان في شهر رمضان لليلة ١٧ منـه، حُولـت من السجن إلى دار إسحاق بن إبراهيم، وأنا مقيـد بقيند واحـد يوجـه إلـيّ في كـل يـوم رجلان همـا: أحمـد بـن ربـاح، وأبـو شـعيب الحجـام، يكلمـانى ويناظرانى فـإذا أرادا الانصراف دعوا بقيد فقُيدت به فمكثت على هذا الحال ثلاثة أيام فصار في رجلي أربعـة أقياد.

فقال أبى: فلما كانت الليلة الرابعة بعد العشاء الآخرة وجه المعتصم نبأ إلى إسحاق يأمره بحملي فأدخلت على إسحاق فقال لي: يا فلان، إنها والله نفسك، إنه حلف أن لا يقتلك بالسيف وأن يضربك ضربا بعد ضرب وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس.... أليس قد قال الله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣].

فيكون مجعولا وما من مجعول إلا مخلوق، قال أبي: فقلت له قال «فجعلهم كعصف مأكول» أفخلقهم؟ وقال «اذهبوا به.. قال أبي: فانزلت إلى شاطئ دجلة ومعي بغا الكبير ورسول من إسحاق فقال بغا للرجل: ما تريدون من هذا الرجل؟ قال: يريدون منه أن يقول «القرآن مخلوق فقال: ما أعرف شيئا من هذه الأقوال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقرابة أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ.

قال أبى ثم انتهى بي إلى الدار فأُدخلت ثم عُرج بي إلى الحجرة فصرت في بيت منها وأغلق عليّ الباب وأقعد عليه رجل، وذلك في جوف الليل وليس في البيت سراج فاحتجت إلى الوضوء فمددت يدي أطلب شيئا فإذا أنا بإناء فيه ماء فتهيأت للصلاة وقمت أصلي فلما أصبحت جاءني الرسول فأخذ بيدي فأدخلنيّ الدار فإذا هو جالس – يعنى المعتصم الخليفة – وابن ابى داود حاضر قد جمع أصحابه والدار غاصة بأهلها.

وفى رواية لغير ابنه: أدخل الإمام على الخليفة وعنده ابن أبي داود وأبو عبد الرحمن الشافعي فأجلس بين يدي الخليفة وكانوا هوّلواعليه وقد كانوا ضربوا عنق رجلين، فنظر أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي فقال أي شئ تحفظ عن الشافعى في المسح؟ فقال ابن أبى داود انظروا رجلا هو ذا يُقدم به لضرب العنق يناظر في الفقه. ثم قال أبي فقال المعتصم: إدنه أدنه فلم يزل يدنيني حتى قربت منه، ثم قال: اجلس: فجلست وقد ثقلتنى الأقياد فمكثت قليلاً ثم قلت: تأذن في الكلام؟ فقال: تكلم:.. فقلت: إلام دعا رسول الله ﷺ؟ قال: إلى شهادة إن لا إله إلا الله، قلت: أنا أقول لا إله إلا الله.. ثم قلت له: إن جدك ابن عباس يحكي في حديث وفد عبد قيس أن الإيمان شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة إلى آخره. فقال لى: لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما تعرضت لك ثم التفت إلى عبد الرحمن بن إسحاق فقال له: ألم آمرك أن ترفع المحنة؟ قال أبي فقلت في نفسي: إن في هذا فرجا للمسلمين. ثم قال: ناظروه كلموه فقال عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ قلت: ما تقول في علم الله فسكت فجعل يكلمني هذا وهذا وأرد على هذا وأكلم هذا، ثم قلت: يا أمير المؤمنين.. أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به.. ثم دارت المناظرة إلى أن قال ابن أبى داود: هو والله يا أمير المؤمنين ضال، مضل، مبتدع، وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم فيقول: ما تقولون فيه، فيقولون: يا أمير المؤمنين: هو ضال، مضل، مبتدع. (١)

(١) يقول الإمام السبكى:»فإنما يتلف السلاطين فسقة الفقهاء، فإن الفقهاء ما بين صالح وطالح فالصالح غالبا لا يتردد على أبواب الملك، والطالح دائما يترامى عليهم، ثم لا يسعة إلا أن =

واستمرت المناظرة فلما طال بنا المجلس ضجر – المعتصم- فقام فرددت إلى الموضع الذي كنت ثم وجه إلي برجلين من أصحاب ابن أبي داود يناظراني فيقيمان معي حتى إذا حضر الإفطار وجه إلينا بمائدة عليها طعام فجعلا يأكلان، وجعلت أتعلل حتى ترفع المائدة وأقاما إلى غد وفى خلال ذلك يجيء ابن أبى داود فيقول لي: يا فلان يقول لك أمير المؤمنين ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئا من كتاب الله، أو سنة رسول الله... فيقول لي ابن أبي داود: والله لقد كُتب اسمك في السبعة فمحوته ولقد ساءني أخذهم إياك، وإنه والله ليس إلا السيف إنه ضرب بعد ضرب ثم يقول لي ما تقول فأرد عليه بنحو مما رددت.. ثم يأتيني رسله ويقولون: يقول لك أمير المؤمنين: أجبني حتى أجيء: فأطلق عندك بيدي... فأرد بنحو مما قلت.

وفى اليوم الثاني... دارت المناظرات وطال المجلس بنا ورددت إلى الموضوع الذي كنت فيه وفي هذه الليلة يأتيه مثبت له على الحق يرويه ابنه (عبد الله) قال: قال أبي: فلما كان الليل نام من كان معي من أصحابي وأنا متفكر في أمري قال: فإذا أنا برجل طويل يتخطى الناس حتى دنا مني فقال: أنت أحمد بن حنبل؟ فسكتُّ فقالها ثانية فسكتُّ، فقالها ثالثة: أنت أبو عبد الله... ؟ قلت: نعم. قال: اصبر ولك الجنة قال أحمد: فلما مسني حر السوط ذكرت قول الرجل.

فلما كان اليوم الثالث: أدخلت عليه، والقوم حضور فجعلت أدخل من دار إلى دار، وقوم معهم السيوف وقوم معهم السياط وغير ذلك وقد حُشيت الدار بالجند ولم يكن في اليومين الماضيين كثير أحد من هؤلاء حتى صرت إليه قال: ناظروه.... كلموه..... فعادوا لمثل مناظرتهم فدار بيننا وبينهم كلام كثير حتى إذا كان الوقت الذي

= يجرى معهم على أهوائهم ويهون العظائم، ولهو على الناس شر من ألف شيطان، كما أن صالح الفقهاء خير من ألف عابد ولولا اجتماع فقهاء السوء على المعتصم لنجاه الله مما فرط منه ولو أن الذين عنده من الفقهاء على حق لأروه الحق أبلج ولا بعدوه عن ضرب مثل الإمام أحمد ولكن ما الحيلة والزمان على هذا (الطبقات ٢/ ٥٩).

كان يخلو بي فجاءني ثم اجتمعوا فشاورهم ثم نحاهم ودعاني فخلا بي وبعبد الرحمن فقال لي: ويحك يا فلان.. أنا والله عليك شفيق وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون ابني.. فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله، فلما ضجر وطال المجلس قال: عليك اللعنة لقد طمعت فيك خذوه، اخلعوه، اسحبوه.

تعذيب الإمام:

قال الإمام: فأُخذت فسُحبت ثم خُلعت قال: العُقَابَيْن[1] والسياط

ثم صُيرت بين العقابين وشُدّت يدي، فجيء بكرسي، فوضع له وابن أبي داود قائم على رأسه، والناس اجتمعوا وهم قيام ممن حضر فقال لي إنسان ممن خلفي خذ - أي الخشبتين بيدك وشُد عليها- فلم أفهم ما قال: فتخلعت يدي لما شددت ولم أمسك الخشبتين.

قال ابنه (صالح) لم يزل يتوجع منهما من الرسغ إلى أن توفي.

ثم قال - أي المعتصم- للجلادين تقدموا فنظر إلى السياط فقال ائتوني بغيرها ثم قال لهم تقدموا فقال لأحدهم ادنه.... أوجع... قطع الله يدك فتقدم فضربني سوطين ثم تنحى فلم يزل يدعو واحداً بعد واحد فيضربني سوطين ويتنحى ثم قام حتى جاءني وهم محدقون به فقال: ويحك يا فلان تقتل نفسك؟ ويحك أجبني حتى أطلق عنك بيدي.

قال فجعل بعضهم يقول: ويحك إمامك على رأسك قائم وجعل يعجب وينخسني بقائم سيفه ويقول: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ ثم يقول إسحاق بن إبراهيم: ويلك، الخليفة على رأسك قائم.. ثم يقول بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي.

ثم رجع.. فجلس على الكرسي ثم قال للجلاد: ادنه..... شد، قطع الله يدك.. ثم لم يزل يدعو بجلاد بعد جلاد فيضربني سوطين ويتنحى.. ثم قال لي: الثانية: يا فلان أجبني وجعل عبد الرحمن بن إسحاق يقول لي: من صنع بنفسه من أصحابك في هذا

---

(١) العقابين: خشبتان يشبح الرجل عليهما للجلد.

الأمر ما صنعت؟ هذا يحيي بن معين؟ وهذا ابو خيثمة؟ وجعل يعـدد علـيّ مـن أجـاب وجعل هو يقول: ويحك أجبنى.. وجعلت أقول مما كنت أقـول لهـم. قـال أبـي: فـذهب عقلي.. وما عقلت إلا وأنا في حجرة تلقى عنى الأقياد.

وفى رواية: «تقدم إليه ابن أبي داود وقال له: يا فلان قل في أذني: إن القرآن مخلوق حتى أخلصك من الخليفة. فقال له الإمام يا ابن أبي داود قل لـي في أذنـي القـرآن غـير مخلوق حتى أخلصك من عذاب الله. قال الإمام: فقال إنسان ممن حضر: إنا كببناك على وجهك وطرحنا عليك بارية ودسناك. فقلت: مـا شـعرت فجـاءوني بـسويق فقـالوا لى: اشرب وتقيأ فقلت لا أفطر ثم جئ بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فنودي بـصلاة الظهـر فصلينا الظهر. قال ابن سماعة صليت والدم يسيل من ضرب؟ فقلـت: قـد صـلى عمـر وجرحه يثغب دما فسكت.

وفى رواية: «قال إسحاق: ما رأيت يوما كان أعظم على المعتصم مـن ذلـك اليـوم والله لو لم يرفع عنه الضرب لم يبرح من مكانه إلا ميتا» وفى رواية: «قال أحـد الجلاديـن لقد بطل الإمام الشطار والله لقد ضربته ضربًا لو أبرك لي بعـير فـضربته ذلـك الـضرب لنقبت عن جوفه» وقال غيره: لقد ضربت الإمام ثمانين سوطا لو ضربته فيلا لهدَّتـه ثـم خلي عنه.

ووجه إليه برجل ممن يبصر الضرب، والجراحات ليعالج منها فنظر إليه فقـال: والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط ما رأيت ضربا أشد من هذا لقد جر عليه من خلفه ومن قدامه ثم أدخل ميلا في تلك الجراحات وقال: لم ينفـذ فجعـل يأتيـه ويعالجـه وقـد كـان أصاب وجهة غير ضربة ثم مكث يعالجه ما شاء الله [1]

موقفان جليلان يوم ضربه:

عن محمد بن سويد الطحان قال: كنا عند عاصم بن علي ومعنا أبو عبيد القاسم بن

(۱) احمد بن حنبل للسعدي (ص ١٩٥).

سلامة وإبراهيم بن أبي الليث – وذكر جماعة – والإمام يضرب في ذلك اليوم فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجل فنكلمه قال: فما يجيبه أحد، فقال إبراهيم بن أبي الليث: يا أبا الحسين أنا أقوم معك.. ثم قال: أبلغ إلى بناتي فأوصيهن وأجدد بهن عهدًا قال: فظننا أنه يتكفن ويتحنط، ثم جاء فقال: يا أبا الحسين إني ذهبت إلى بناتي فبكين: قال: فجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط «يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ الإمام فضربه بالسوط على أن يقول القرآن مخلوق فاتق الله ولا تجبه إن سألك فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت».

وقال أبو حاتم: لما كان اليوم الذي ضرب فيه الإمام قلت: أمر اليوم فأعرف خبر الإمام فبكرت فإذا أنا بشيخ قائم وهو يقول: «اللهم ثبته، اللهم أعنه، ثم لم يزل كالحيران ويقول: إن كان أجاب حتى أدخل فأقوم مقامه فخرج رجل فقال: لم يجبهم فقال الحمد لله، فقلت: من هذا؟ فقال: بشر بن الحارث[1]

خروج الإمام من دار المعتصم:

قال ابن سماعة: يا أمير المؤمنين أضرب عنقه ودمه في رقبتي فقال له ابن أبي داود: لا يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناس: صبر حتى قتل فاتخذه الناس إماما وثبتوا على ما هم عليه، ولا ولكن أطلقه الساعة فان مات خارجا من منزلك شك الناس في أمره؛ وقال بعضهم لم يجبه فيكون الناس في شك من أمره.

وعن أبي زرعة قال: دعا المعتصم بعم الإمام ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم هو الإمام، قال: فانظروا إليه أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم ولولا أنه فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع شر لا يقام له، فلما قال: قد سلمته إليكم صحيح البدن. هدأ الناس وسكتوا [2]

(١) مناقب أحمد لابن الجوزى (ص٣٣٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣٤٠).

الإمام يحل المعتصم من ضربه:

قال ابن أبي حاتم بلغني أن الإمام جعل المعتصم في حل يوم فتح بابل أو في يوم فتح عمورية فقال هو في حل من ضربي.

وابن الإمام (عبد الله) يقول: قال لي أبي: وجه إليّ الواثق أن اجعل المعتصم في حل من ضربه إياي فقلت: ما خرجت من داره حتى جعلته في حل وذكرت قول النبي ﷺ «لا يقوم يوم القيامة إلا من عفا» فعفوت عنه.

وعن الحسين الخرقي قال: بت مع الإمام ليلة فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح فقلت: أبا عبد الله، كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟ قال لي: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومربي في الدرس «وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله» فسجدت وأحللته من ضربي في السجود.

وعن ابن الإمام عبد الله قال: قرأت على أبي: روح عن أشعث عن الحسن «أن لله عز وجل بابا في الجنة، لا يدخله إلا من عفا عن مظلمة» فقال لي: يا بني ما خرجت من دار أبي إسحاق حتى أحللته ومن معه إلا رجلين: ابن أبي داود وعبد الرحمن بن إسحاق فانهما طلبا دمي، وأن أهون على الله أن يعذب في أحداً أشهدك أنهما في حل».

محنته مع الواثق:

وبوفاة المعتصم لم تنته المحنة فقد ولى الواثق ولا تزال الكلمة الأولى في الدولة لأحمد بن أبي داود وقد بلغ في امتحان الناس حدا حمله على أنه يوجه سنة ٢٣١هـ كتابا إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن أئمة المساجد والمؤذنين كما امتحن أهل الثغور، فقالوا بخلقه جميعا إلا أربعة نفر فأمر الواثق بضرب أعناقهم.

بل إن الواثق تجاوز حدود أبيه بالفتك بمن يعارض رأيه في مسألة خلق القرآن كما فعل بالإمام أحمد بن نصر الخزاعي سنة ٢٣١هـ، حتى في فداء الأسرى كان يمتحنهم فمن لم يقل أن القرآن مخلوق ترك في أيدي الروم ولا يفديه حتى الصبية في الكتاتيب فرض

عليهم درس مسألة خلق القرآن.

وأما عن موقف الواثق مع إمامنا يقول ابن الجوزى.. ولم يعرض للإمام إما لما علم من صبره أو لما خاف من تأثير عقوبته لكنه أرسل إليه: لا تساكني بأرض ولا يجتمعن إليك أحد. واختفى الإمام مدة عن الأنظار متنقلا من مكان إلى آخر، ثم أقام في منزله لا يتصل بأحد ولا يتصل به أحد وبقي على ذلك إلى أن مات الواثق دون أن يسجل التاريخ أي لقاء بينهما.

وروي أن الواثق ترك امتحان الناس في آخر حياته بسبب مناظرة جرت بين يديه رأى بها أن الأولى ترك الامتحان.

كشف المحنة ونصر السنة أيام المتوكل

ولي المتوكل سنة ٢٣٢هـ ولم يلبث أن سعى في كشف الغمة ورفع المحنة وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن وبذلك انقضت هذه المحنة التي أقضت مضاجع المسلمين واحترق بنارها كبار العلماء والفقهاء والتي استمرت نحوًا من ست عشرة سنة ويخرج إمامنا أحمد بن حنبل منتصراً بنور الفكر على ظلم الحكم.

ثناء العلماء عليه:

* قال علي بن المديني: إن الله عز وجل أعزَّ هذه الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق في الردة، وأحمد بن حنبل في المحنة.
* وقال الميمون: قال على بن المدينى بالبصرة: يا ميمون ما قام أحد في الإسلام ما قام به أحمد بن حنبل فتعجبت من هذا عجبا شديدا -وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قام في الردة وأمر الإسلام ما قام به- قال الميمون: فاتيت أبا عبيد القاسم بن سلام، فتعجبت إليه من قول عليّ فقال لي مجيبا: إذن نخصك، قلت: بأي شيء، قال: إن أبا بكر رضي الله عنه وجد أنصارا وأعوانا وإن أحمد بن حنبل لم يجد ناصرا وأقبل أبو عبيد يطري أحمد بن حنبل ويقول: لست أعلم في الإسلام مثله.

* وكان سعيد يقول:قلت لبشر بن الحارث: ألا صنعت كما صنع أحمد بن حنبل؟ فقال: تريد منى مرتبة النبيين؟ لا يقوى بدني على هذا حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن أسفل منه وعن يمينه وعن شماله ولسوط ضرب به أحمد في الله أكبر من أيام بشر بن الحارث.
* وقال قتيبه بن سعيد: لولا أحمد بن حنبل لأحْدث في الدين فقلت:أتقيس أحمد بالثورى فقال: أتقيس أحمد بعلية التابعين إن أحمد قام في الأمة مقام النبوة. قال البيهقى: يعني في صبره على ما أصابه من الأذى في ذات الله.
* وقال أبو حاتم الرازي: إذا رأيتم الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلموا أنه صاحب سنة.
* وقال الحجاج بن الشاعر: ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على أحمد بن حنبل.

الدروس المستفادة:

وبعد هذه المحنة لإمام السنة يمكننا أن نخرج بعبر تنفعنا في حياتنا:

* الثبات والصبر أهم سمات أصحاب الدعوات.
* مهما طال الظلام فلابد من طلوع الفجر.
* توكل على الله واثبت فالله يثبت عبده من حيث لا يدرى.
* نور الحق لابد أن يبدد ظلام البطش والإرهاب.
* الإمامة الحقة تتطلب تضحية بالنفس والمال.

وفى الختام: أدعوك أخي الداعية إلى قراءة المحنة مرة أخرى وتأمل هذه الكلمات:

لما هددوا عفان بن مسلم بقطع راتبه قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قول ابن نعيم شيخ البخارى: «عنقى أهون من زرى هذا»

قول الناصح لأحمد: «يا أبا عبد الله إن يقتلك الحق مت شهيدا، وإن عشت عشت حميدا».

قول الشاب محمد بن نوح لأحمد:«إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك وقد مدّ الخلق أعناقهم إليك.. فاتق الله واثبت لأمر الله».

كلمات وتهديدات الظلمة واحدة: «يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس».

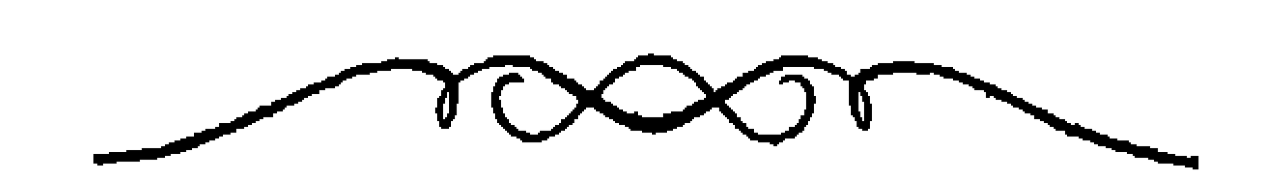
قول الإمام أحمد: «لست أبالي الحبس ما هو ومنزلي إلا واحد».

لما قال أحمد: أخاف فتنة السوط، قيل له: لا عليك فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي.

قول ابنتي عاصم: بلغنا أن هذا الرجل أخذ الإمام فضربه على أن يقول القرآن مخلوق، فاتق الله ولا تجبه إن سألك، فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت.

قمة الخلق في قول الإمام أحمد في أمر المعتصم: «هو في حل من ضربي، لما بلغه أنه فتح عمورية أو بابل»، وفى رواية «ما خرجت من داره حتى جعلته في حل»

وفي الختام: أدعوا كل داعية أن يدرس سيرة الإمام أحمد فهي زاد للدعاة.



عرض لكتاب



أ / محمد عبد الوهاب

المؤلف: فضيلة الشيخ – البهي الخولي أحد علماء الأزهر ومن الدعاة النـابهين للصحوة الإسلامية.

حجم الكتاب: من القطع الكبير وعدد صفحاته ٣٩٨صفحة.

دار النشر: مكتبة دار التراث.

والكتاب مما لا يستغني عنه الخطيب الداعية فهو عرض طيب لفنون الخطابة وطـرق الدعوة من خلال نظرات فى كتاب الله –تعالى– وسنة رسوله–صـلى الله عليـه وسـلم– ولفتات من قبس الأولين وتجارب خاصة.

وينقسم الكتاب إلى مقدمة وأربعة أبواب.، وقد قدم للكتاب الإمام الـشهيد حـسن البنا–رحمه الله–

تناول المؤلف في المقدمة الفرق بين الداعية والخطيب:

حيث عرف الداعية بأنه شخص مؤمن بفكرته يدعو إليها بكل الوسائل المتاحة فهو

كاتب وخطيب ومحدث وقدوة وهو طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، مع التركيز على أن الداعية الخطيب له صفات فهو قائد فى محيطه، وسياسي فى بيئته،وزعيم لفكرته.

وعنون فضيلة المؤلف الباب الأول بعنوان (فقه الدعوة والداعية) وركز على ضرورة أن يعرف الداعية الخطيب أن الحياة ذات وجهين وغايتين:

أ) غاية خسيسة يعيش عليها الأدنياء.

ب) غاية شريفة يحيى لها الفضلاء.

فلابد للداعية من أمرين:

١) أن تكون غايته شريفة.

٢) وأن يكون ذا حساسية مرهفة فى الشعور.

ثم يوضح أن الغاية من فقه الدعوة والداعية، وطريقة عرضها هى:

* تبين أن العلة الكبرى التى تتسلسل منها علل المجتمع كله هى المادية فى جميع صورها.
* تبين أن حياة الرسالات منوطة بالعقل العاطفى والتنفيذ العملى.

ثم يوضح المؤلف وسائل هذه الغاية بـ:

- أن تكون الدعوة حية فى أعصاب الداعية متوهجة فى ضميره، حيث تحس إيمانه بدعوته فى النظرة والحركة والإشارة.
- أن يرسخ فى حس الداعية أن الدعوة الحقة هى نقل أمة من محيط إلى محيط، ونقل قلب من حال إلى حال،لذا فلابد من معرفة رسالته مجملها ومفصلها.

ويعرج على مهمة الدعوة والوعظ فهى ليست كلمات ميتة تقال ولا خطب محفوظة للمناسبات وإنما هى(مهمة الأنبياء تهدف إلى تغيير ما بنفوس الناس حتى يغير الله مابهم من فساد وكل وعظ لايبلغ هذا الهدف أو لا يرمي إلى هذه الغاية فهو جهد

ضائع وعمل باطل).

ثم يحذر قائلا: حذار الوعظ الجاف الذى لاحياة فيه وحذار الوعظ الركيك المفكك الذى لا غرض له،وحذار أن تقف موقفا وأنت لاتنوي أن تخرج منه بصيد)

وتحت عنوان مزاج الداعية يحدد ما يلزم الداعية من عدة عقلية وروحية ونفسية،وطالب الخطيب بمخاطبة القلب، وأن يأخذ بأسلوب القرآن والقصص النبوي فى عرض الحقائق.

وتحت عنوان الروحانية الإجتماعية: حيث يبين أن الإنسان – وقد خلقه الله في أحسن تقويم – مطالب أن يكون له حياتان:

- حياة مادية يؤدى لها ما لبدنه من الحقوق.
- حياة روحانية يؤدي لها ما لروحه من الحقوق.

وثمرة الروحانية: تصل المرء بالله وتلهمه روح رسالته وغايتها،وبواعثها.

ويتحدث عن الطبيعة التنفيذية فيعرفها بأنها تصل المرء بالحياة ليصوغ تعاليم الرسالة أعمالا نافعة، وأوضاعا عمرانية صالحة.

ثم يذكر بعض خصائص الإيمان منها:

١) فهم الرسالة.

٢) حب تعاليمها،وتعلق القلب بجمالها.

٣) الغيرة على حرمتها.

وفى الباب الثالث يوضح المؤلف مصادر الداعية وموارده فيقول:

هى مصادر نمو لملكات الخطيب والوحي لروحه، والإلهام لمشاعره النفسية،والتوجيه العملي لسير رسالته، ومواد البناء للمجتمع الفاضل الذى ينشده وهي:-

أ) القرآن الكريم.

ب) السنة المطهرة.

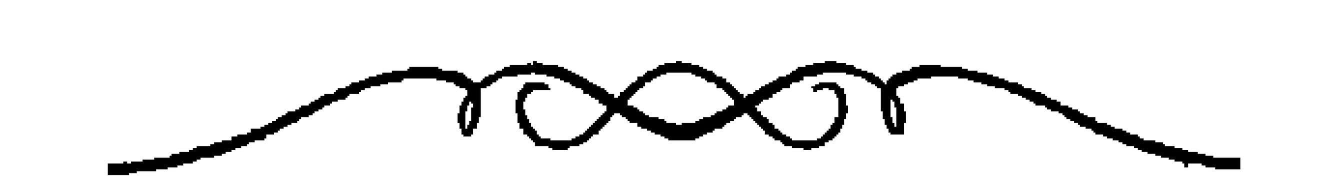
ج) تاريخ الأمم والرجال والأبطال.

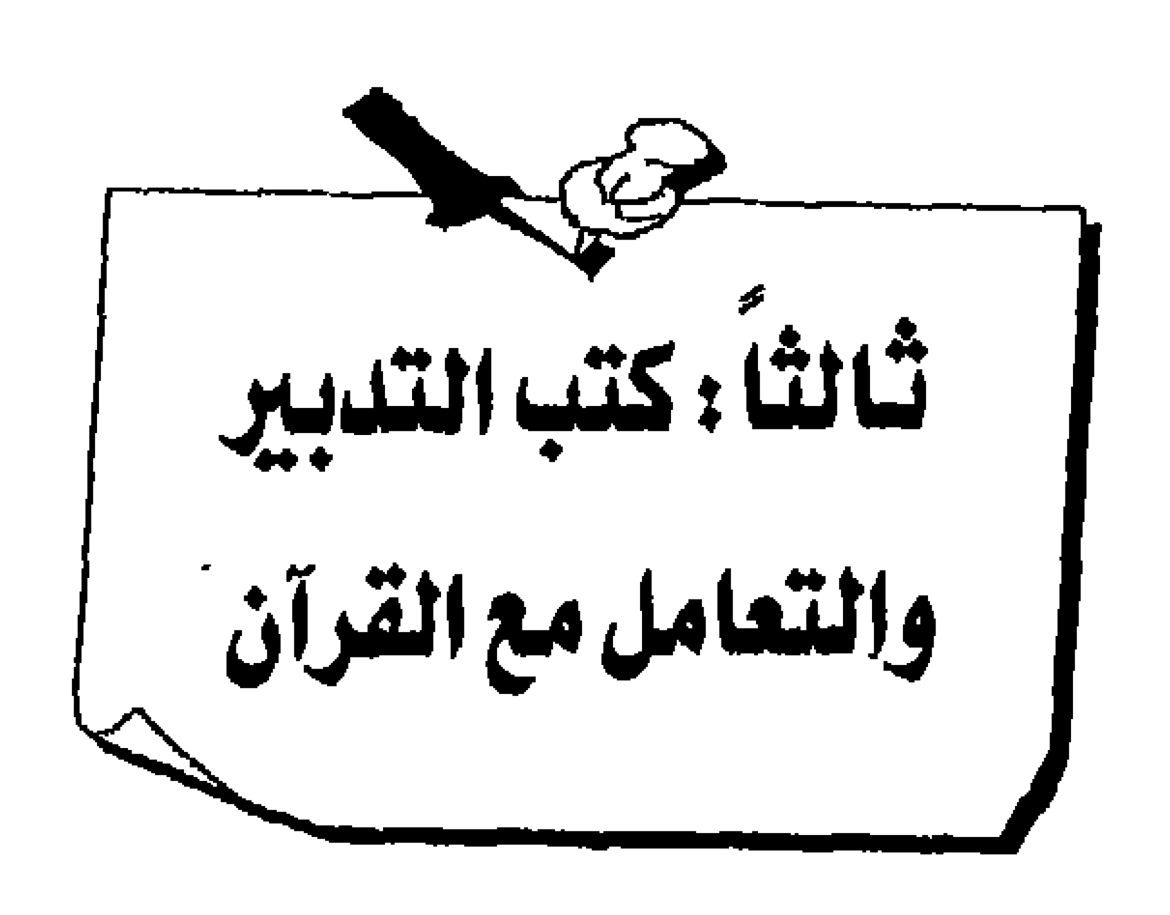
د) واقع الحياة الجارية.

ويختم فضيلة الشيخ كتابه بالباب الرابع الذي جعله بعنوان الداعية فى كلماته حيث يبين الأسس القويمة والفروق بين كل من: الخطبة، والمحاضرة، والدرس، والمقالة، والحديث العادي ويبرز سمات كل نوع من هذه الأنواع وما يميزها عن غيرها.

وجزى الله مؤلف كتاب (تذكرة الدعاة) خير الجزاء على سفره القيم.

والله الموفق





أ/ أحمد حسنين

واقع معظم المسلمين اليوم مع القرآن مؤرق، وعلاقتهم به يحكمها الهجر والعقوق إلى درجة نخشى معها أن نقول: إن علل الأمم السابقة التي حذر منها القرآن، ونبه إليها الرسول ﷺ تسربت إلى العقل المسلم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ [البقرة: من الآية٧٨] أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة وترتيلا.

قال ابن تيمية: عن ابن عباس وقتادة في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم، لا يدرون ما فيها.. وقوله ﴿ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ أي: تلاوة، لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يتلى عليهم.

والأمية العقلية هذه تسود الأمة في حال التقليد، والغياب الحضاري، والعجز عن تدبر القرآن والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف..

إنها الأمية العقلية التي نعيشها اليوم مع القرآن والتي تعني ذهاب العلم على الرغم من تقدم فنون الطبعات، ووسائل النشر، وتقنيات التسجيل.

فعن زياد بن لبيد قال: ذكر النبي ﷺ شيئا فقال: وذاك عند ذهاب العلم، قلنا: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن قرأنا القرآن ونقرؤه أبناءنا، وأبناؤنا يقرئون أبناءهم؟ فقال: ثكلتك أمك ياابن لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيها بشيء؟[1]

وقد تكون مشكلة المسلمين كلها اليوم في منهج الفهم الموصل إلى التدبر، وكسر الأقفال من على العقول والقلوب، وتجديد الاستجابة، وتحديد وسيلتها، ليكونوا على مستوى القرآن[2] .

وقد كتب كثير من العلماء في كيفية التعامل وتدبر القرآن الكريم نقدم منها هذه الكتب:

(١) كيف نتعامل مع القرآن؟

مؤلفه: هو الشيخ الداعية محمد الغزالي (١٩١٧- ١٩٩٦م) من مواليد إيتاى البارود بمحافظة البحيرة بمصر له مؤلفات كثيرة جاوزت الستين كتاباً في مواضيع مختلفة، وهو داعية غني عن التعريف.

تأليفه: هذا الكتاب «مدارسة» مع الشيخ الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، يقول الأستاذ عمر: «استجاب مأجوراً للحوار الذي أصر علي تسميته «مدارسة»، وأوكل لنا مشكورًا أمر صياغته وقد آثرنا في العرض إبقاء الحوار (المدارسة) مترسلاً على طبيعته، دون تدخل كبير في إعادة الترتيب، آملين أن يتواصل السير، وتأخذ القضايا المطروحة حظها من البحث والمناقشة».

ويقول الشيخ الغزالي في المقدمة: «وجلست مع الأستاذ / عمر عبيد نتشاكى تلك الحال، فقال لي: إن للقضية أبعادا لا يبلغها النظر السطحى، وربما اشتبكت مع مخلفات

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٦٠)، وابن ماجة (١٠٤٨)، والحاكم (٣/ ٥٩٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) مقدمة للأستاذ عمر عبيد حسنة لكتاب الشيخ/ محمد الغزالي «كيف نتعامل مع القرآن».

قديمة من ثقافتنا التقليدية وذكر الأستاذ أمثلة لما يراه موضوع بحث طويل في هـذا المجـال، وأهاب بي أن أكتب قلت له وأنا محزون: إنني في هذه الأيام أعجز عن الكتابة، وما عراني من مرض قيد حراكي الأدبي والمادى قال: فلنتدارس الأمر سويا، وأتـولى أنـا الـشرح والصياغة، وعلمت انه سيحمل العبء كله ولم أر بدأ من الاستجابة».

طباعته: يقع الكتاب في ٢٣٩ صفحة، وطبعه المعهد العالمي للفكر الاسـلامي، ودار الوفاء وله عدة طبعات الأولي ١٩٩٠م، والخامسة ١٩٩٧م

موضوعات الكتاب: فيه حوالي (٧٧) موضوعاً. منها: مـن آثـار هجـر القـرآن – العودة إلى القرآن – دور المناهج التراثية في فهم القرآن والتعامل معه – المدارس القرآنيـة الحديثة – شمول الرؤية القرآنية – أهمية النظر في الآيات الكونية – التكلف في التعامـل مع القرآن – التعامل مع النصوص من خلال واقع التخلف – نصيب الفرد من الخطاب القرآني – الإعجاز العلمي في القرآن – الاستبداد السياسي ووسائل التغـيير في الخطـاب القرآني – فهم متميز للخطاب القرآني – القرآن والزمن –... وغيرها من الموضوعات.

* **مثال:** قال تحت عنوان: «تغيير الأفكار والنفوس.... هو الأساس».

يسأل الأستاذ عمر عبيد حسنة: كثير من الناس يرى أن التغيير المطلوب هو تغيير ثقافي نفسي وأن التغيير الثقافي يستتبع ويؤدي إلى التغيير السياسي – ذلك أن السياسة أحد مظاهر الثقافة – وأن مواطن التغيير الحقيقية والتشكيل الحقيقي في الإنسان هي مواطن التربية والدعوة، وأن الحكم يأتي ثمرة لذلك.. فهم يفكرون بأن الخلل الذي لحق بالأمة، يمكن أن يكون خللاً فكرياً أو ثقافيا وليس سياسيا، لأن الخلل السياسي إنما تربع وامتد في إطار الخلل الفكري أو التربوي أو الدعوي الذي شكل القابلية لامتداد الخلل السياسي، والله سبحانه يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: من الآية١١] حبذا لو أعطيتمونا من خلال بعض الآيات نموذجًا على نهوض الأمم من خلال التغيير الثقافي، وإصلاح عالم الأفكار؟

فأجاب الشيخ الغزالي: قولك بأن الخلل قد يكون فكرياً ثقافيا، فهذا صحيح وأنـا

لاحظت أن الثقافة الإسلامية حدث فيها شئ من العوج، فمن ناحية التربية والتصور، انسحب الناس من الحياة... رأوا المجتمع فاسدًا، فانسحبوا وهربوا منه بدل أن يغيروه...

وإذا نظرنا في فقه المعاملات والعبادات، أنا لا أعرف أمة أطالت الوقت في الفروع الفقهية كأمتنا.. الوضوء مثلا يمكن أن يتعلم في دقيقتين، فما الذي يجعل فيه مئات الصفحات والكتب بل والمجلدات، وتختلف المذاهب فيه؟ هذا شئ عجيب، حتى أني سميت الوضوء «علم تشريح الوضوء» لا شك أن هذه المساحة التي أخذها البحث في الفروع الصغيرة، كانت على حساب القضايا الكبيرة نلمح من معطيات القرآن الكريم: أن التغيير هو تغيير النفوس ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الرعد: من الآية١١] والتغيير يشمل كل الجوانب - النفسية والثقافية التي فيها إعادة تشكيل الإنسان بينما لم يطل في القضية السياسية ويعطيها البعد أو الحجم نفسه، واعتبرها ثمرة، وليست مقدمة فكوننا نعطي الأهمية الكبرى للاستبداد السياسي على حساب موطن التغيير الأساسي وهو ميدان النفس، فكأننا - نحن المسلمين - افتقدنا ضبط النسب أو التوازن في النظر للقضايا.. عندما تحدث القرآن الكريم عن الأمة، تحدث عن فسادها وانهيارها بشيوع أخلاق معينة وبانقسامها إلى طبقات سيدة وطبقات تابعة، وبإصابتها بالتبلد العقلي الذي يجعل التقليد أساس الفكر.

لقد تعاملنا مع القرآن تعاملاً رديئاً.

لقد كان من الأفضل بدل أن يدرس الوضوء خلال ثلاثة أشهر مثلا، أن يدرس: لماذا هلكت عاد؟ لماذا هلكت ثمود؟ هل المجتمع الآن يشبه مجتمع عاد وثمود أم لا؟ ما الفساد الذي حدث في بنى إسرائيل ؟ كيف تحولت الحقيقة إلى شكل؟ كيف تحول الدين إلى انتماء عنصري بدل أن يكون انتماء إلهيا وزكاة نفسية؟ كل هذا كان ممكنا من خلال دراسة القصص القرآني لكننا أهملناه إهمالا تمامًا؟ وابتعدنا عنه كما ابتعدنا عن دراسة آيات النظر إلى الكون فتبلدت العقول وكان آخر شئ ينظر إليه النظر في الكون.

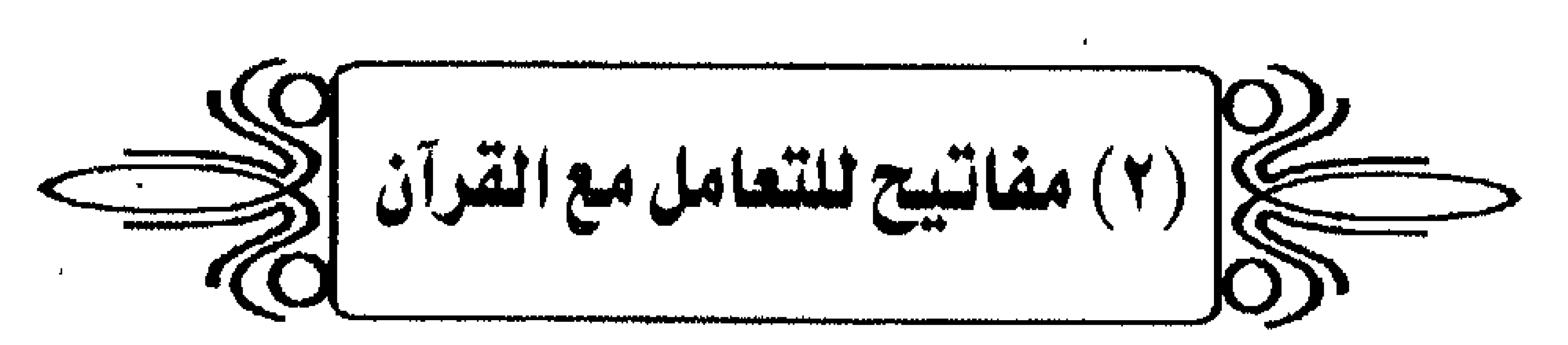
كنت أتحدث وأقول: إن الزكاة فرضت في مكة.. فانتفض أحد شيوخ الإسلام

وقال: لا! إن الزكاة فرضت في المدينة.. أقول له: إن آية سورة الأنعام مكية وفيها زكاة الزروع والثمار ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: من الآية١٤١]، وفي سورة فصلت وهي مكية وهي من أوائل ما نزل ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝ ﴾ [فصلت:٦-٧] وفي سورة المدثر ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾ [المدثر:٤٢- ٤٣] ومع هذا قال: لا.. الفقهاء يقرون أن الزكاة كانت في المدينة» قلت: ربما تفاصيل الأنصبة: العشر ونصف العشر.. الخ، كل هذا كان في المدينة لا في مكة.

فأجد أنه حتى بعض الشيوخ الكبار المؤلفين، قد تجمدت عقولهم...

فالكتاب تطبيق عملي لكيفية التعامل مع القرآن في صورة حوار بين عملاقين.

* * *



(٢) مفاتيح للتعامل مع القرآن

مؤلفه: د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي.

طباعة: يقع الكتاب في (١٧٦صفحة)، طبعته الثالثة ٢٠٠٢م، لدار القلم

هذا الكتاب: هو الحلقة الأولى من سلسلة «من كنوز القرآن»، وقد صدر منها: في ظلال الإيمان، والشخصية اليهودية من خلال القرآن، تصويبات في فهم بعض الآيات، مع قصص السابقين في القرآن، ولطائف قرآنية.. وكلها للمؤلف.

وعن المفاتيح: يقول المؤلف: ومفاتيح التعامل مع القرآن.. لابد من الوقوف عليها ومعرفتها، واستخدامها في استخراج كنوز القرآن المذكورة فيه.. هذه المفاتيح حصلناها بفضل الله وتوفيقه من نظراتنا الكلية القادرة في القرآن، ومن اطلاعنا القاصر على التفاسير – وفي طليعتها «في ظلال القرآن» ومن قراءتنا الناقصة في كتب تحدثت عن القرآن، وأشارت إلى مبادئ أساسية لفهمه وكيفية تدبره والحياة به..

موارد المفاتيح: ثم قال المؤلف: وأضع بين يدي القراء أهم الكتب التي تحدثت عن القرآن وفضائله وآداب تلاوته وقواعد تدبره وأسس فهمه: فصول من أدب التلاوة من الإحياء للغزالي، والإتقان للسيوطى ومقدمات تفسير القرطبي والقاسمي، والتبيان للنووى، ومبادئ أساسية لفهم القرآن للمودودى وكيف نحيا بالقرآن لنبيه عبد ربه،....».

موضوعات الكتاب: بدأ المؤلف بمقدمة عن حديث القرآن عن القرآن: أسماؤه وصفاته، ثم وصف الرسول ﷺ للقرآن، ثم القرآن في عبارات أهل القرآن من أقوال الصحابة والتابعين، ثم أدبه تلاوته ثم ذكر مفاتيح القرآن، وذكر منها (٢٧) مفتاحًا وهي: (النظرة الكلية الشاملة للقرآن – الالتفات إلى الأهداف الأساسية للقرآن – ملاحظة المهمة العملية للقرآن – المحافظة على جو النص القرآني – استبعاد المطولات التي قد تحجب نور القرآن – تنزيه القرآن عن الإسرائيليات وعدم تبين المبهمات – دخول عالم القرآن دون مقررات سابقة – الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له – معايشة إيحاءات النص وظلاله ولطائفه – تمنى النصوص بالمعاني والدلالات – تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان – ملاحظة البعد الواقعي للنصوص القرآنية – الشعور بأن الآية موجهة له – تسجيل الخواطر والمعاني لحظة ورودها. التمكن من أساسيات علوم التفسير – العودة المتجددة للآيات – ملاحظة الشخصية المستقلة للسورة – تجاوز الخلافات بين المفسرين والعودة إلى معين القرآن..........».

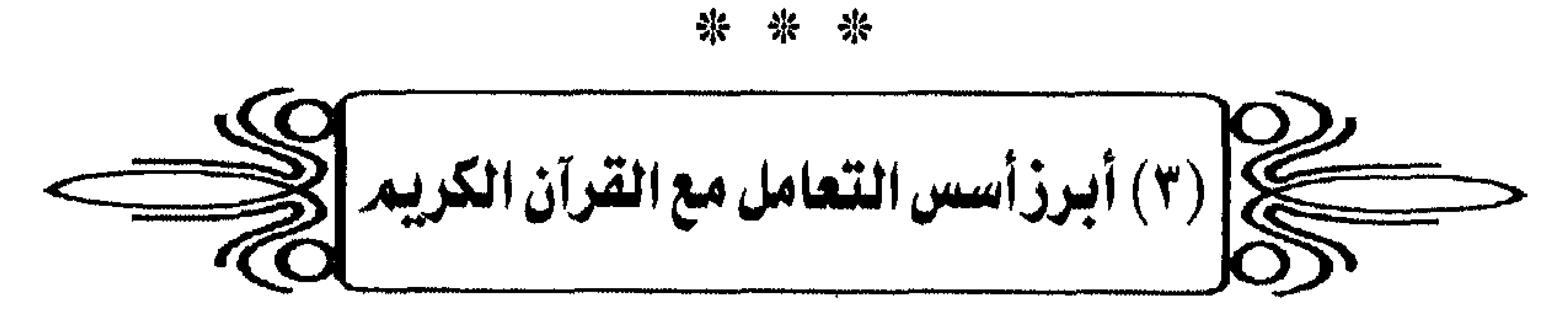
مثال: (المحافظة على جو النص القرآني): قال المؤلف تحت هذا المفتاح

«قارئ القرآن قد يشغل نفسه بشواغل أثناء التلاوة، تخايل له فتحجب عنه أنوار القرآن وقد يسرح في ذهنه، ويجول خياله في الآفاق.. فعلى القارئ أن يبقي في جو النص القرآني، وأن يحضر معه كل أجهزة وأدوات التلقي والاستجابة والتأثر والانفعال في كيانه الإنساني، لتتفاعل مع القرآن وتأخذ عنه.. على القارئ أن يحافظ، على الجو القرآني المبارك، وأن يحرص على إبقائه وإثرائه وزيادته كلما أقبل على التلاوة، وأن يزداد من كل هذا كلما تكررت التلاوة وعاود النظر في كتاب الله.

وهو في أثناء قراءته للآيات قد تستوقفه مجموعة منها، وتدعوه إلى أن يتوسع في تدبرها واستخراج ما فيها، ولا مانع أن يطيل هذه الوقفة، وأن يلبي تلك الدعوة، لكن بشرط أن لا يخرج عن جو النص القرآني، وأن يبقي خواطره ومشاعره وأفكاره وتصوراته ونظراته واهتماماته، يبقيها مع الآيات وظلالها وإيحاءها.. فإذا ما سوغت له نفسه الخروج من هذا إلى اهتمامات أخري فلا يستجيب لها وإذا ما زينت له أفكاره التعريج على مباحث وقضايا وجوانب واستطرادات لا ارتباط بينها وبين الآيات، ولا يتوقف فهم الآيات وتدبرها عليها، فلا يقبل ذلك ولا يُقبل عليه، وليقصر نفسه وفكره على العودة إلى جو النص القرآني، وليكن يقظًا ومنتبهًا لهذا أثناء التلاوة».

إن البقاء في جو النص القرآني والمحافظة عليه، هو مفتاح لابد منه لفتح كنوز القرآن.. إلى آخر كلامه النفيس.

* * *



(٣) أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم

مؤلفه: د/ عيادة بن أيوب الكبيسي

طباعته: يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة، طبعته دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبي

المحتوى: يقول المؤلف: أسس التعامل مع القرآن متعددة، وليس غرضنا في هذا المبحث استيفاءها ولكنا أردنا أن نحدد الموضوع بأهم تلك الأسس وأبرزها، وهي فيما نرى أربعة: تكفل إن شاء الله – لمن أحسن التعامل مع القرآن في ضوئها الفلاح والنجاح، وتقوده إلى سعادة الدارين، وقد قسمناها على النحو التالي:

(١) التلاوة: وتنقسم إلى

أ) تلاوة يومية مستمرة تعبدًا   ب) تلاوة تأملية

(٢) الحفظ:

أ) حفظ شامل لكتاب الله ب) حفظ جزئي لبعض سوره وآياته

(٣) الفهم:

أ) فهم لمعاني المفردات الكريمة، وما لابد منه في سياق الكلام

ب) فهم لمقاصد القرآن، وما ترمي إليه الآيات

(٤) العمل:

أ) عمل ذاتي، قاصر على النفس، وذلك بتطبيق ما في القرآن تخلقًا بأخلاقه، وتأدبًا بآدابه.

ب) عمل متعد، وذلك بالدعوة إلى القرآن وإلى العمل بما فيه.

مثال: قال في التلاوة التأملية:

«إنها تستدعي إعمال فكر، وتقليب نظر، وكثرة تكرار، وذلك أن يقف القارئ عند الآيات وقفة تأمل طويلة، مرددًا لها، مستغرقا فيها، مع صدق الوجهة وعمق التدبر، مستلهمًا فتح الله تعالي، مستدرًا فيض فتوحاته، حتى تنهل على قلبه سحائب الفضل، فيعلم من أسرار كتاب ربه ما كان عنه غافلا، ويدرك من مكنون جواهره ما كان به جاهلاً.

وقد ينتج عن هذا التأمل الدقيق استنباط الأحكام لا سيما للعلماء العاملين».

ثم أورد أحاديث وآثار عن التأمل في كتاب الله.

كتب في الموضوع:

١) «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله». للشيخ / عبد الرحمن حبنكة الميدان طبعة دار القلم.

٢) «مبادئ أساسية لفهم القرآن» لأبي الأعلي المودودى.



أ/ أحمد حسنين

الوعظ والتذكير بالله من أهم أساليب الدعاة في تنبيه الغافلين وموعظة المؤمنين، قال تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] ولكي ينجح الواعظ في مهمته يجب عليه أن يخلص لله في قوله ثم يحسن اختيارات الكلمات والحكايات والمناسبات وأحوال المستمع، وذلك أن التذكير والوعظ ليس الغرض منه إقامة الحجة على الناس بل الأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم.

ويبين لنا إمام الواعظين ابن الجوزي رحمه الله أحوال المستمعين للموعظة فيقول: «قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة: فتدبرت السبب في ذلك فعرفته ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك ، فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفة واحدة من اليقظة عند سماع الموعظة وبعدها لسببين:

أحدهما: أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها إيلامها وقت وقوعها

والثاني: أن حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مُزاح العلة، قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه، فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها، وكيف يصح أن يكون كما كان، وهذه حالة تعم الخلق إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر.

فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي من غير التفات، فلو توقَّف بهم ركب الطبع لضجُّوا ، كما قال حنظلة عن نفسه: نافق حنظلة[١].

ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحيانًا، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحيانًا، فهم كالسنبلة تميلها الرياح[٢].

وأقوام لا يؤثر فيهم إلا بمقدار سماعه، كماء دحرجته على صفوان[٣]، [٤].

واعظ العدد

هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، الذي إذا ذكر اسمه تبادر إلى الذهن شخصية الخليفة العادل الذي استطاع في مدة وجيزة أن يضع الدولة الإسلامية المترامية الأطراف على المحجة البيضاء، وأن يقضي على الظلم وما أعظم الموعظة إذا كانت من حاكم عادل، وعالم فقيه، وزاهد ورع! ولنستمع إلى أقوال العلماء فيه:

قال شيخه عبيد الله بن عبد الله – أحد فقهاء المدينة السبعة «كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلاميذه» وقال ميمون بن مهران: أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أنه يحتاج إلينا ، وإذا نحن عنده تلامذة».

وقال مجاهد: أتينا عمر نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز يعلم العلماء.

قال النووى: «أجمعوا على جلالته وفضله، ووفور علمه وصلاحه، وزهده وورعه، وعدله وشفقته على المسلمين، وحسن سيرته فيهم، وبذل وسعه فى الاجتهاد فى طاعة

(١) قصة حنظلة رواها مسلم في صحيحه (٢٧٥٠).

(٢) في الحديث: «مثل المؤمن كمثل السنبلة، تخر مرة وتستقيم مرة» عن جابر، رواه أحمد (٣/ ٣٤٩، ٣٨٧)، والبزار نحوه (١/ ٣٢) ووثق الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٩٣) رجال البزار.

(٣) الصفوان: الحجر الأملس الذي لا يثبت عليه الماء.

(٤) صيد الخاطر (ص٥٤).

الله، وحرصه على اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين»

وقال الذهبي: «الإمام الحافظ، العلامة المجتهد، الزاهد العابد السيد، أمير المؤمنين حقا، وقال أيضًا «وكان إمامًا فقيها، عارفًا بالسنن ، كبير الشأن ، ثبتًا حجة حافظًا، قانتًا لله أواها منيبا يُعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع حدة لأمه عمر، وفى الزهد مع الحسن البصرى، وفى العلم مع الزهري». وقال الإمام أحمد: إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيرا إن شاء الله»

توفي رحمه الله عام ١٠١هـ[1].

محاور الوعظ عند عمر

١) التزام الكتاب والسنة : وكان يلح على هذا الأمر فى كل مناسبة، فى أقواله وخطبه ووسائله، ومن رسالته إلى أحد عماله يقول: «فإني أوصيك بتقوى الله، واتباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده»

٢) الخوف من الموت والاستعداد له: وهذه قضية أخذت مساحة واسعة من أقواله ووصاياه ، بل وشغلت باله، واستأثرت بهمّة، فقد وضع أمر الموت بين عينيه دائمًا وفى رسالة لبعض عماله قال: «إنك إذا استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك، بغض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باقٍ» وعندما يعزي بميت يقول: «العجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت....»

٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ورسائل وخطبة مليئة بذلك.

٤) إقامة العدل ومنع الظلم: وكان يأمر بالعدل، ويكره الظلم ويحاربه، ويعلن ذلك

٥) الحكمة من سياسة الأمور: فقد أقام العدل بالحنكة والسياسة والأناة وترتيب

(١) مصادر ترجمته: البداية والنهاية (٩/ ١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٥) ، حلية الأولياء (٥/ ٢٥٤).

الأولويات، فقد بدأ بحساب نفسه ثم أهل بيته الأدنين، ثم فتح الباب إلى كل صاحب مظلمة... وقد شرح سياسته لابنه عبد الملك فقال: «إنما أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمور من العدل، فأوخر ذلك حتى أخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فينفروا لهذه ويسكنوا هذه...»

٦) تصحيح المفاهيم: وما أكثرها في أقواله وأفعاله[١].

من روائع أقواله في الوعظ:

تنبيه:

يزيد كلمات واعظنا مهابة أنها صادرة من خليفة عادل، وعالم فقيه، وزاهد ورع، ومصلح دولة الخلافة

الصحبة: قال عمر بن عبد العزيز: «لا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده على قدر قضاء حاجته، فإذا انقضت حاجته انقطعت أسباب مودته، واصحب من الأصحاب ذا العلا في الخير، والإفاءة في الحق، يعينك على نفسك، ويكفيك مؤنته»

• **كرامة المسلم:** استعمل عمر جعونة بن الحارث على ملطية، فغزا فأصاب غنما، ووفد ابنه إلى عمر فلما دخل عليه وأخبره الخبر ، قال له عمر: هل أصيب من المسلمين أحد؟ قال: لا إلا رويجل[٢] فغضب عمر وقال: رويجل !! رويجل !! مرتين تجيئوني بالشاة والبقر ويصاب رجل من المسلمين؟ لا تلي لي وأبوك عملا ما كنت حيا».

• **صلاح الأخرة:** قال عمر: أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم والله إن عبدا ليس بينه وبين آدم أب حي لمغرق له في الموت.

---

(١) مواعظ عمر بن عبد العزيز: للأستاذ/ صالح الشامي (ص١٧-٣٤) ، الكتب الإسلامي.

(٢) رويجل: تصغير رجل، ولعل قوله هذا هو الذي أغضب عمر، وإلا فالغدو لا يتغرب فيه وقوع الشهداء.

• **القليل يكفي**: قال مسلمة: دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلـو فيـه، فلا يدخل عليه أحد؛ فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني، وكان يعجبه التمـر، فرفـع بكفّه منه قال: يا مسلمة، أترى لو أن رجلاً أكل هذا ، ثم شرب عليه الماء أكان يجزيه إلى الليل؟ قلت: لا أدري فرفع أكثر منه، قال: فهذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، كان كافيـه دون هذا، حتى ما يبالي أن لا يذوق طعامًا غيره. قال: فعلام ندخل النار؟ قال مـسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه».

والمعنى أنه إذا كان هذا التمر القليل يكفي المرء ليوم كامـل، وهـو ذو قيمـة زهيـدة فلماذا يختلف الناس ويقتل بعضهم بعضا من أجل الدنيا

• تضرع: قال رحمه الله: اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلُغَ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء، وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين

• **ميراث النبي**: قال محمد بن مهاجر: كان عند عمر بـن عبـد العزيـز سـرير الـنبي صلي الله عليه وسلم وعصاه، وقدح، وجفنة، ووسادة حشوها ليف، وقطيفة ورداء.

• فكان إذا دخل عليه النفر من قـريش قـال: هـذا مـيراث مـن أكـرمكم الله بـه، ونصركم به، وأعزكم به، وفعل وفعل.

• **فتنة القول**: قال ميمون بن مهران: إني لعند عمر بـن عبـد العزيـز، إذ فـتح لـه منطق حسن، حتى رقّ له أصحابه، ففطن لرجل منهم وهو يحذف دمعتـه، فقطـع منطقـه فقلت له: امضى في منطقك، فإني لأرجو أن يمن الله به على من سمعه، فانتهى إليه بيـده وقال: إليك عني، فإن في القول فتنة والفعال أولي بالمرء من القول».

• **أحمق الناس**: قال عمر لجلسائه: أخبروني من أحمق النـاس؟ قـالوا : رجـل بـاع آخرته بدنياه، فقال لهم عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا : بلي! قال: رجـل بـاع آخرتـه بدنيا غيره.

• **شتم الظالم**: قال رباح بن عبيدة: كنت قاعدا عند عمر، فذكر الحجاج ، فشتمته، ووقعت فيه فقال عمر: مهلا يا رباح، إنه بلغني أن الرجـل لـيظلم بالمظلمـة ، فـلا يـزال

المظلومُ يشتم الظالم ويتنقصه حتى يستوفي حقه، فيكون للظالم عليه فضل».

قلت: ما أروعها من موعظة.

• **العمل بغير علم**: من عمل بغير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه، والرضا قليل، ومعول المؤمن الصبر

• **درء الحدود** : قال عمر: «ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة ، فإن الوالي إن أخطأ في العفو خير من أن يتعدى في الظلم والعقوبة»

• **سبيل الظلمة**: قال عمر: «إنما هلك من كان قبلنا: بحبسهم الحق حتى يشتري منهم، وبسطهم الظلم حتى يفتدى منهم».

اختلاف بين الصحابة: ذكر اختلاف الصحابة عند عمر فقال: «أمر أخرج الله أيديكم منه، ما تعملون ألسنتكم فيه»، وسئل عن الجمل وصفين فقال: تلك دماء كف الله يدي عنها وأنا أكره أن أغمس لساني فيها».

الصمت والكلام، قال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟ قال : إذا اشتهيت الصمت، قال: ومتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام.

الزهد: قال عمر: إنما الزهد في الحلال، وأما الحرام فنار تسعر.

الحلم والعفو: قال عمر: ما قرن شئ إلى شئ أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

التعلم: قال عمر: إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلمًا، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم.

تذكير: كتب عمر إلى عدي بن أرطأة: أما بعد:فإني أذكرك ليلة تمخّض بالساعة، فصباحها القيامة، يالها من ليلة، وياله من صباح كان على الكافرين عسيرا.

أموال المسلمين: كتب عمر إلى أبي بكر بن حزم: «أدق قلمك، وقارب بين أسطرك، واجمع حوائجك، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين مالا ينتفعون به والسلام».

الإقبال علي الإسلام: كتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز: «أما بعد: فإن الناس قد كثروا في الإسلام وخفت أن يقل الخراج فكتب إليه عمر: فهمت كتابك ، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى تكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا».

ترميم مدينة: كتب بعض عمال عمر: «أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرمُّها به فعل

فكتب إليه عمر: أما بعد فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم، فإنه مرمتها والسلام»

حرمة الدماء: كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له – وكان عمر ولاهما شيئا من أمر العراق – فكتبا إليه يعرضان له: أن الناس لا يصلحهم إلا السيف.

فكتب إليهما: خبيثين من الخبث، رديئين من الردى، تعرضان لي بدماء المسلمين، ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون عليّ من دمه».

رسالة بشأن الصلاة والخطبة: كتب عمر إلى واليه على دمشق: «إذا صليت بهم فأسمعهم قراءتك، وإذا خطبتهم فأفهمهم موعظتك»

قتل من سب النبي صلي الله عليه وسلم: كتب عبد الحميد إلى عمر: إنه رفع إلى رجل يسبُّك، فهممت أن أضرب عنقه، فحبسته، وكتب إليك لأستطلع في ذلك رأيك؟ فكتب إليه: «أما إنك لو قتلته لأقدتك به، إنه لا يقتل أحد بسبٍّ أحد إلا من سب النبي صلي الله عليه وسلم فأسببه إن شئت أو خلِّ سبيله».

الورع: كتب عمر إلى الجراح بن عبد الله الحكمي: أن استطعت إن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزًا بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل، فإن من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام».

معاملة المخالف: دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز، فذاكروه شيئا

فأشار بعض جلسائه أن يرعبهم ويتغير عليهم فلم يزل عمر يرفق بهم حتى أخذ عليهم، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي، ، فخرجوا على ذلك

فلما خرجوا، ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه وقال: يا فلان! إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي فلا تكوينَّه أبدا»

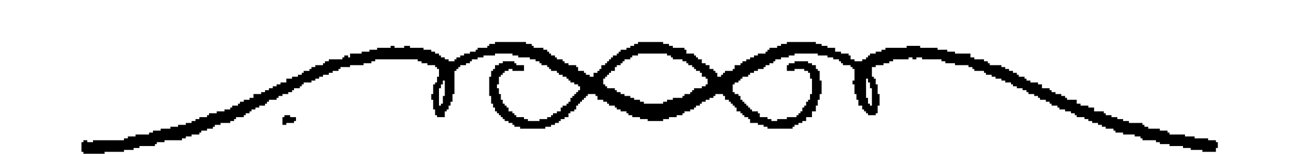
رسالة في الموعظة: كتب عمر إلى القرظي: «أما بعد : فقد بلغني كتابك ، تعظني وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر أن الموعظة كالصدقة، بل هي أعظم أجرًا، وأبقي نفعا، وأحسن ذكرًا، وأوجب على المرء المؤمن حقا.

لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه، ليزداد بها في هدى رغبة، خير من مال يتصدق به عليه وإن كان به إليه حاجة

ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة، خير من أن ينجو بصدقتك من فقر. فعظ من تعظه لقضاء حق عليك، واستعمل كذلك نفسك حين تعظ، وكن كالطبيب المجرب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي ، أعنته، وأعنت نفسه، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم.

وإذا أراد أن يداوي مجنونا، لم يداوه وهو مرسل حتى يستوثق منه، ويوثق له خشية أن لا يبلغ منه من الخير، ما يتقي منه من الشر، وكان طبه وتجربته مفتاح عمله.

واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيلا يغلق فلا يفتح، أو ليفتح فلا يغلق، ولكن ليغلق في حينه، ويفتح في حينه، والسلام[1].



(١) مصادر الوعظ: حلية الأولياء (٥/ ٣٣٠-٣٥٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٧) ، صفة الصفوة (٢/ ٨٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٨٢)، مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، ومواعظ عمر بن عبد العزيز لصالح الشامي.



أ/ أحمد حسنين

عيوب الناس:

شر الورى من بعيب الناس مشتغل ... مثل الذُّباب يراعي موضع العلل

حسن الاستماع:

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن ... عجلا بنطقك قبلما تتفهم

لم تعط مع أذنيك نطقًا واحدا ... إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

مدح النفس:

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ... ولكن أعمالا تذم وتمدح

التعليم في الصغر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

فضل المعلم:

أقدم أستاذي على نفس والدي ... وإن نالنى من والدي الفضل والشرف

فذاك مربىّ الروح .. والروح جوهر ... وهذا مربي الجسمِ والجِسمُ من صدف

الإنفاق

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت ... بين البرية آجال وأرزاق

لا ينفع البخل في دنيا مُولّيةٍ ... ولا يضرُّ مع الإقبال إنفاق

قبول الصواب ولو من ناقص:

لا تحقرن الرأى وهو موافق ... حكم الصواب إذا أتى من ناقص

فالدُّر وهو أجلُّ شيء يقتنى ... ما حط قيمته هوانُ الغائص

متى يمدح الصمت؟

قالوا: سكت وقد خوصمتَ قلت لهم ... إن الجواب لباب الشر مفتاح

فالصمت عن جاهل أو أحمق كرم ... أيضًا وفيه لصون العرض إصلاح

أما تري الأسد تُخشى وهي ساكنة ... والكلب يخسأ لعمري وهو نباح

وقيل أيضًا:

وإذا بليت بجاهل متحامل ... يجد المحال من الأمور صوابا

أوليته مني السكوت وربما ... كان السكوتُ عن الجواب جوابا

وقيل أيضًا:

إذا ما رماك خساس الناس عن سفه ... فول ظهرك ما قالوا ولا تجب

فالليث مدّخر للشبل مخلبه ... ويكتفى لذباب الغاب بالذّنب

قال غيره:

إني لأعرض عن أشياء أسمعها ... حتى يظنَّ أناس أن بي حمقا

أخشى مقال سفيه لا حياء له ... وأن يظن أناس أنه صدقا

وقال غيره:

ولست مشاتماً أحداً لأبي رأيت الشتم من عي الرجال
إذا جعل اللئيم أباه نصبا لشاتمه فديت أبي بمالي

الحذر في العمل:

اعمل وأنت من الدنيا على حذر واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل محصى عليك وما خلّفت موروث

الاعتدال في الحب أو الكره:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت قاطع
وابغض إذا بغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجع

الكريم:

إن الكريم الذي تبقي مودته ويحفظ السرَّ إن صافا وإن صرما
ليس الكريم الذى إن زلَّ صاحبه بثَّ الذى من أسراره علما

وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدي

العفة:

عفوا تعفُّ نساؤكم فى المحرم وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين إذا أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
من يزن يُزن به ولو بجداره إن كنت يا هذا لبيبا فافهم
ياهاتكا حرم الرجال وقاطعا سبل المودة عشت غير مكرم

لـو كنـت حـراً مـن سـلالة طـاهر مـا كنـت هتّاكـاً لحرمـة مـسلم

الصفح:

قد خص بالصّفح فى الدنيا ثمانية لا لـوم فـى واحـد منهم إذا صـفعا

المـستخف بـسلطان لـه خطـر وداخـل فـى حـديث اثـنين قـد جمعـا

وآمـر غـيره فـى غـير منزلـه وجـالس مجلـسا عـن قـدره ارتفعـا

ومتحـف بحـديث غـير حافظـه وداخـل بيـت تطفيـل بغـير دعـا

وقارئ العلـم مـع مـن لا خـلاق لـه وطالـب النـصر مـن أعدائـه طمعـا

داء الحماقة:

لكـل داء دواء يـستطب بـه إلا الحماقـة أعيـت مـن يـداويها

وجوب العمل:

يـا أيهـا الرجـل المعلـم غـيره هـلا لنفـسك كـان ذا التعلـيم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيمـا يـصح بـه وأنـت سـقيم

ونـراك تـصلح بالرشـاد عقولنـا أبـدا وأنـت مـن الرشـاد عـديم

فابـدأ بنفـسك فانههـا عـن غيهـا فـإذا انتهـت عنـه فأنـت حكـيم

فهنـاك يقبـل مـا تقـول ويهتـدي بـالقول منـك وينفـع التعلـيم

لاتنـه عـن خلـق وتـأتي مثلـه عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم

فضل الأدب:

كـن ابـن مـن شئت واكتـسب أدبـا يغنيـك محمـوده عـن النـسب

إن الفتـى مـن يقـول هـا أنـا ذا لـيس الفتـى مـن يقـول كـان أبـي

صفة الكريم:

ســأترك مــاءكم مــن غــير ورد وذاك لكثـــرة الـــوارد فيـــه
إذا ســقط الــذباب علــى طعــام رفعــت يــدي ونفــسي تــشتهيه
وتجتنـــب الأســـود ورود مـــاء إذا كـــان الكـــلاب ولغـــن فيـــه
ويرتجـــع الكـــريم خمـــيص بطـــن ولا يرضـــى مـــساهمة الـــسفيه

مع العسر يسر:

ولا تجــزع إذا عــسرت يومــا فقــد أيــسرت فــى الــزمن الطويــل
ولا تظــنن بربــك ظــن ســوء فـــإن الله أولى بالجميـــل
وإن العـــسر يتبعـــه يـــسار وقـــول الله أصـــدق كـــل قيـــل
فلـــو أن العقـــول تـــسوق رزقـــا لكـــان المـــال عنـــد ذوي العقـــول

القناعة:

هـــي القناعـــة فالزمهـــا تعـــش ملكـــا لـــو لم يكـــن منهـــا إلا راحـــة البـــدن
وانظـــر لمـــن ملـــك الـــدنيا بأجمعهـــا هـــل راح منهـــا بغـــير القطـــن والكفـــن

الزهد:

أيـــا مـــن عـــاش في الـــدنيا طـــويلا وأفنـــى العمـــر في قيـــل وقـــال
وأتعـــب نفـــسه فيمـــا ســـيفنى وجمـــع مـــن حـــرام أو حـــلال
هـــب الـــدنيا تقـــاد اليـــك عفـــوا ألـــيس مـــصير ذلـــك للـــزوال

مؤدبات:

الـــدهر أدبـــني والـــصبر ربـــاني والقـــوت أقـــنعني واليـــأس أغنـــاني

وحنكــتني مــن الأيــام تجربــة ... حتــى نهيــت الــذي كــان ينهــاني

البلاء:

ربّ يــوم بكيــت منــه فلمــا ... صــرت في غــيره بكيــت عليــه

الفرج بعد الشدة:

ولــرب نازلــة يــضيق بهــا الفتــى ... ذرعــا وعنــد الله منهــا المخــرج

ضــاقت فلمــا اســتحكمت حلقاتهــا ... فرجــت وكــان يظنهــا لا تفــرج

رزق الله:

لا تــضرعنَّ لمخلــوق علــى طمــع ... فــإن ذلــك وَهْــن منــك بالــدين

واســترزق الله رزقــًا مــن خزائنــه ... فإنمــا هــو بــين الكــاف والنــون

الأرزاق:

فــإذا رزقــت خليقــة محمــودة ... فقــد اصــطفاك مقــسم الأرزاق

فالنــاس هــذا حظــه مــال وذا ... علــم وذاك مكــارم الأخــلاق

والمــال إن لم تــدخره محــصنا ... بــالعلم كــان نهايــة الإمــلاق

والعلــم إن لم تكتنفــه شمائــل ... تعليــه كــان مطيــة الإخفــاق

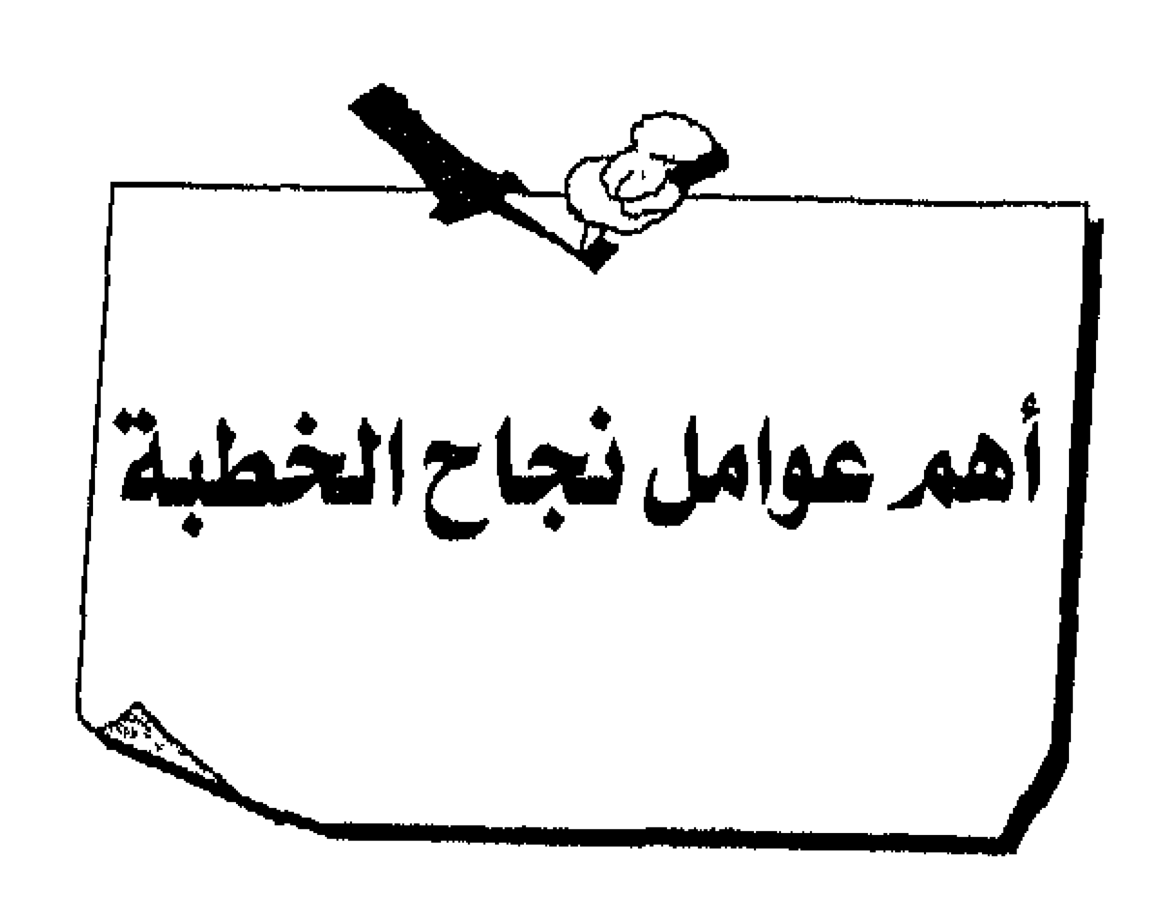
لا تحــسبن العلــم ينفــع وحــده ... مــا لم يتــوج ربــه بخــلاق

العمل لغد:

ولــدتك أمــك باكيــًا مستــصرخا ... والنــاس حولــك يــضحكون ســرورا

فــاحرص لنفــسك أن تكــون إذا ... بكوا فى يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

(٤)



أهم عوامل نجاح الخطبة

أ / أشرف البغدادي

يختلف الخطباء اختلافًا واسعًا في مقدرتهم الخطابية وهذا أمر طبيعي في الخطابة وغيرها فلكل مقدرته وكفايته الخاصة ولكن كثيرا ما تجد شخصا قليل الميزات الكلامية يؤثر في سامعيه ويفيدهم أكثر ممن هو أكثر مقدرة و أفصح لسانا ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة أهمها الإعداد الجيد بمعنى التحضير لمراحل الخطبة.

١- التحضير الجيد:

التحضير الجيد ينتج خطبة جيدة والتحضير الضعيف ينتج خطبة ضعيفة:

كيف لا وقد أعلنها سبحانه وتعالى أكثر من مرة في قرآنه ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة - ١٩٥] ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠].

ورغب نبينا ﷺ بقوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» والإحسان من الإتقان فبقدر الجهد الذي تبذله في التحضير يكون إحسانك؛ وهو دليل على صدقك في الاستعانة بالله والتوكل عليه. أما أن تنتظر ليوم الخطبة وتجمع ورقة من هنا وكلمة من

هناك معتمدا على خبراتك السابقة ثم تنسى هذه ولا تتذكر تلك وتقول الله الموفق واستعنت بالله فأظنها كذبة كبيرة على نفسك وعلى جمهورك وأظن أن كلمة الحسن البصري تصلح هنا حين قال: (إن قوماً قالوا لحسن الظن بالله كذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) فمعني الأستعانة بالله: إحسان الإعداد والعمل ولا تنسى الدعاء والوضوء والحرص على أوقات الصلاة.

مهما تكن مقدرتك علي التحدث، فلا بد من الإعداد الجيد

ومراحل التحضير هي:

١) تحديد الموضوع ٢) جمع المعلومات

٣) التخطيط والعناصر ٤) الحفظ والإلقاء

أولا – تحديد الموضوع

بقدر احترامك مستمعيك يحترمونك

١) **لاشك أن موضوع الخطبة هو الهدف المراد منها** وهو الغرض المقصود إيضاحه من الخطيب؛س وهو الفكرة المراد إيصالها من الداعية إلى المدعوين؛ فلابد من تحديد هدف الخطبة، ولابد أن يسأل نفسه: ماذا يريد أن يحقق من أهداف؟ مثل: هل يريد أن يصحح أفكارًا خاطئة أم يوجههم لتبني عادات إسلامية حسنة أم يريد أن يقنعهم بالمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية أم يريد بث روح الجهاد أم يريد إحياء مناسبة إسلامية وربطها بالواقع؟ فتحديد أهداف الخطبة شي في غاية الأهمية وعلى ضوء تحديد الهدف يستطيع أن يختار الموضوع الذي يتحدث فيه ولابد أن يتضمن هذا الهدف جوانب توظيفية يتحرك بها الجمهور بعد انتهاء الخطبة؛ فهناك موضوعات تمس حياة الناس وحاضرهم وهم لذلك يهتمون بها ويتشوقون لسماعها وشرح جزئياتها بينما هناك أخرى لا تعنيهم ولا تشغلهم فقد يثور الخطيب وينفعل في

شرح موضوع ما ومستمعوه يودون أن يفرغ من كلامه وهم أثناء خطابته لا يتابعونه ولا يعنيهم أن يفهموا عنة أو لا يفهموا،إذا تحدث خطيب مسجد عن موقف الإسلام من الرق وحكمه وآثاره أو عن الخوارج وخطرهم؛ وتحدث خطيب آخر عن ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وما يترتب علية من آثار في مجتمعنا أو العدل وأهميته أو الحرية وضرورتها.. تجد الناس يستمعون إلى الأول كمن يعرض شيئا من التاريخ البعيد بينما يصغون إلى الثاني كمن يطب لأمراضهم ويرتفع بمستوى حياتهم، ومثل هذه الموضوعات يجعله أقرب إلى قلوب الناس وأملك لزمام انتباههم وعواطفهم.

٢) **أن يلاحظ الأحداث المعاصرة والوقائع الجارية**، وكذلك المناسبات الإسلامية ويحاول توظيفها واستخراج الدروس والعبر منها وربطها بالواقع فلا تجعل الموضوع يعرض نفسه عليك فتهرب منه أو تقعد عن الاستجابة له ومعنى هذا أن الداعية يختار موضوعه مما يعرض له من قضايا الحياة أو مما تمليه الحياة عليه.

اختيار قضايا الحياة هو أصدق اختيار ولأمر ما – نزل القرآن الكريم منجما على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال. لذلك يجب أن يختار الموضوع من صميم ما تجري به الحياة وهذا يقتضي الداعية أن يكون متصلا بهذه الدنيا منفعلا بما يجري فيها من خير وشر وحلو ومر ومعروف ومنكر... فما كان من صالح رضي به وحمد الله عليه وحبب فيه ودعا إليه. وما كان من فاسد قام له وأخذ في علاجه وتغييره بوسائله الحكيمة وموعظته الحسنة ،

٣) **أن يكون الموضوع بعيدا عن إثارة الخلافات بين المسلمين**، فالداعية مجمع لا مفرق، وموحد لا مشتت، سواء كانت فقهية أوسياسية ونربأ بك من استغلال المنبر لتحقيق مصلحة شخصية أوعائلية أو الترويج لشخص أو حزب لا يرفع راية الإسلام.

٤) **أن يكون الموضوع مناسبا لأحوال المستمعين وبيئتهم**، مراعيا المشكلات التي تشغلهم ومناسبا لمستوى عقولهم فطبيعي أن الموضوعات التي يوحيها محيط الزراع

غير التي يوحيها محيط العمال، وللطلاب آلام وآمال تلهم موضوعات غير السابقة ولصغار الموظفين مشكلات وأزمات نفسية ومالية لا يتبينها إلا من يصغي إلي شكواهم ويقف على أحوالهم وفي علاقات الناس بعضهم ببعض وفي المعاملات بين الطوائف المختلفة وفي اختلال الموازين بالمجتمع وأمراضه المختلفة وأزماته المتعددة وهل لها حل غير الإسلام.. و في حال هذه الأمة الإسلامية وجروحها النازفة والغائرة وفي كيفية نهوض وبعث هذه الأمّة من جديد وصفات جيل النصر المنشود كلها موضوعات تفرض نفسها.

حكى أحد الدعاة أنه دُعي إلى دولة أفريقية للحديث في أحد القبائل المسلمة وكان الموضوع المطلوب منه والذي أعده هو دور المسلم والمسلمة في انتشار الإسلام، وعندما دخل رأى النساء في ملابسهن الإفريقية التي تغطي حتى الوسط وتترك باقي الصدر عاريا ورأى الاختلاط العجيب بين النساء والرجال فغير موضوعه إلى ما هو الإسلام.

فيجب مراعاة احتياجات المستمعين، روى البيهقي في الشعب عن رسول الله ﷺ قال: (إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عليهم أو يدق عليهم) ويقول ابن مسعود – رضي الله عنه – (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) وكان من فقه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن يحذر الدعاة يقول: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) رواه البخاري ح(١٢٧)

يقول ابن القيم: (يلزم الفقيه أن يعرف الواجب والواقع ليحسن تطبيق الواجب على الواقع).

٥) **اختيار موضوع الخطبة من الأمور الهامة و الشاقة** إذ ليس كل موضوع يهم الناس يسهل أن يتعرض له الخطيب ولكن الخطيب الماهر اللبق يمكن أن يواجه الموضوع الخطر أو المحظور من جوانب خلفية تثير الناس وتجعلهم من تلقاء أنفسهم يربطون

الحديث بالأمر الذي يعانونه أو بطريقة غير مباشرة بربطها بالقصص القرآني وأحداث التاريخ.

٦) خطيب المسجد على أي حال يجب أن يكون له تركيز على أمرين:

الأمر الأول: أن يتناول حديثه سلوك الأفراد وما يجب أن يتخلق به كل شخص في عملة الخاص وعلاقاته بالناس طبقا لقواعد الشريعة الإسلامية؛ فهو مرشد و معلم وهو يدرك أثر الأعمال الفردية في حياة المجتمعات فإذا استطاع أن يؤثر في بعض الأفراد فان كل واحد منهم سيترك بدوره أثرا في مجتمعه.

الأمر الثاني أن يمد سامعيه بمعلومات بحيث يخرج المستمع وقد زادت معلوماته شيئا جديدا وهى في الواقع ليست إلا حججا للمبدأ الذي دعا إليه وهذه الأدلة والحجج هي التي تجعل معاني الخطبة ومبادئها أبقى في ذهن السامعين؛ أما الخطبة التي تقوم على الإثارة وحدها فقد تنجح في استجابة وقتية ولكنها تنسى سريعا ولا يبقى لها أثر فعال في نفوس السامعين؛ فلابد للخطيب الذي يحترم نفسه ويقدر واجبه أن يعرف هدف ما سيقول ومدى حاجة الناس له.

ثانيا- جمع المعلومات

النحلة تمتص مليونا من الزهور من أجل أن تعطينا مائة جرام من العسل

ثم هي تختار هذه المليون من بين أطيب الزهور فلا تقع إلا على الطيب من الزهر الزكي منه ولا تمتص أبدًا زهرا ساما ولا كريها!

وهذه المليون تدل على الكثرة والوفرة وهي من شروط الانتقاء الجيد حيث يكون هناك مجال واسع للاختيار وكما قال رسول الله ﷺ (والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد) رواه أحمد(٦٨٣٣).

فمسؤلية الخطيب تفرض عليه تمثل هذا الدور ليسرح في بطون الكتب ومشاهد

الطبيعة يقرأ ويتفكر ويعمل ليخرج للناس شرابا طهورا وحتى تجيد الانتقاء لا تترك الدرر التي تلقاها متناثرة في طيات الكتب أو في الدوريات مثل الجرائد والمجلات بل اجمعها واقتنيها واجعل لها عنوانا في أرشيفك الخاص.

انتق من القرآن المحكم القطعي الدلالة

القرآن بالنسبه للخطيب حجته التي لا تضل وبينته التي لا تزول ورايته التي لا تتوارى يعطيه طلاوة وحلاوة ويزيده بهاء ووضاءة ويمنحه إقناعا وهداية وأتباعا .. لسان من لا لسان له و فصاحة من لا فصاحة عنده.

إن للمتحدث مع القرآن لشأن فلابد أن يحسن صحبة القرآن لكي يكون مؤثرا.

فكم من مرة قرأت آيات فوجدت لها وقعًا آخر غير المرات السابقة كما حدث لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما سمع ﴿ وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝ ﴾ (الطور:١-٨).

فغشي عليه. فستمر عليك آيات تشعر فيها شعور عمر فلتسجلها ولتسجل انطباعك نحوها وضع لها عنوانا مناسبا؛ وكم من خاطرة مرت عليك أو قالها غيرك ولكنها فقدت لعدم تسجيلها.

وها هو مالك بن دينار ينادي خطباء الأمة (ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن!!) فهو مصدرك الأساسي والأول والأكبر ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦).

أ) **اجمع الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بهذا الموضوع واستعن في ذلك بالمعاجم** المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم وموضوعاته وأهمها الكتاب القيم للمرحوم الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي المسمى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ فقد جمع لك

كل مادة جميع الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ بجميع اشتقاقاته وأحواله الإعرابية المختلفة وكذلك كتاب الأستاذ الدكتور / عبد الصبور مرزوق واسمه معجم الموضوعات والأعلام في القرآن الكريم وأيضًا الكشاف الموضوعي للأستاذة / زينب عطية محمد، ومن تيسير الله توافر الاسطوانات المدمجة المستخدمة في الحاسب الآلي والمحتوية على القرآن الكريم كاملا – مقروءا ومسموعا – مع أمكانية البحث والفهرسة.

ب) **اقرأ واجمع تفسير هذه الآيات وشرحها وأسباب نزولها** من كتب التفسير المختلفة شريطة ألا يقل عددها عن ثلاثة بعيدا عن الإسرائيليات والخرافات التي امتلأت بها بطون بعض الكتب.

ج) **ارجع إلى السنة النبوية المطهرة** فهي الشارحة للقرآن الكريم الموضحة لمبهمة المفصلة لجمله المقيدة لمطلقه. واجمع الأحاديث النبوية المتعلقة بهذا الموضوع واستعن في ذلك بالمعاجم المفهرسة للحديث النبوي والجامع الصغير للسيوطي؛ وكذلك الفتح الكبير وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ومفتاح كنوز السنة ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي وسائر كتب الحديث النبوي كالمسانيد والصحاح والسنن. وضرورة الاعتماد على الحديث الصحيح أو الحسن مبتعدا عن الحديث الضعيف إلا في بعض المواطن وبالشروط التي وضعها علماء الحديث.

وتذكر دائما أن:

في الصحيح غني عن الضعيف والموضوع ليس من الدين

أ) **اقرأ شروح الأحاديث المجمعة** بعد تخريجها وتوثيقها وضبطها وتحقيقها وقف على معاني الألفاظ الغريبة وملابسات ورود الحديث ورواياته الأخرى وزياداته إن وجد، وطالع ترجمه الراوي وقف على فوائده الدعوية والتربوية والحركية.

ب) اطلع على أقوال الفقهاء المتعلقة بهذا الموضوع مستعينا في ذلك بكتب الفقه وفهارسها ومنها. معجم الفقه الحنبلي – وهو مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة – الموسوعة الفقهية في الكويت ومصر وسوريا – فهرس جواهر الإكليل – فقه مالكي – فهرس حاشية ابن عابدين – فقه حنفي.

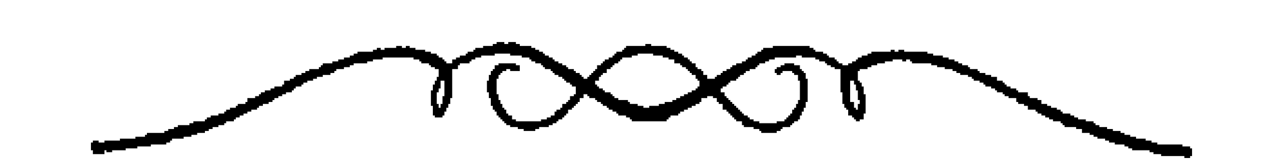
ج) قم بجولة فكرية وعلمية لمطالعة الكتب المتعلقة بموضوع خطبتك أو درسك سواء أكانت كتبا مفردة لهذا الموضوع أم كانت تتناوله بصورة جزئية في إطار موضوع أكبر ويعينك على ذلك ثقافتك الواسعة ومعرفتك بأسماء الكتب ومحتوياتها.

- زياراتك المتعددة للمكتبات العامة والمكتبات الملحقة بالمساجد الكبرى وكذلك مكتبات الكليات الأزهرية لمطالعة كتبها.
- سؤال كبار العلماء و الشيوخ ومن تثق بحسن اطلاعه وكثرة معارفه من زملائك.
- ابتعد تماما عن الكتب المعروفة بإيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات والأساطير الخرافية مثل: كتاب تنبيه الغافلين ؛ وكتاب نزهة المجالس.. وغيرهما
- إذا كان موضوعك سيتطرق بك إلى جوانب علمية، فعليك أن تبحث عن هذه الجوانب في مصادرها الأصلية وترجع إلى أهل الاختصاص في هذا العلم وقم بتوثيق المعلومات الجغرافية والتاريخية والطبية، حتى تظهر للناس شمولية الإسلام من ناحية ودقة وحيوية دعاته من ناحية أخرى.
- الأمر ذاته مطلوب في حالة اشتمال الخطبة أو الدرس على إحصائيات وأرقام في أي مجال ؛ إذ لابد من الدقة والاستيثاق، فهذا يمنحك ثقة غير محدودة، وقوة تدفع المستمعين إلى الاقتناع المطلق والتسليم التام.
- أذكرك أن لا تهمل قراءة جزئية أو معلومة ما في الموضوع، بدعوى أنك لن تتناولها في خطبتك، فإنه ليس كل ما يقرأ يقال، وربما احتجت إليها في موضع آخر، ولأن الإحاطة بكافة جوانب الموضوع – قدر المستطاع تمنحك ثقة كبيرة وقوة هائلة.

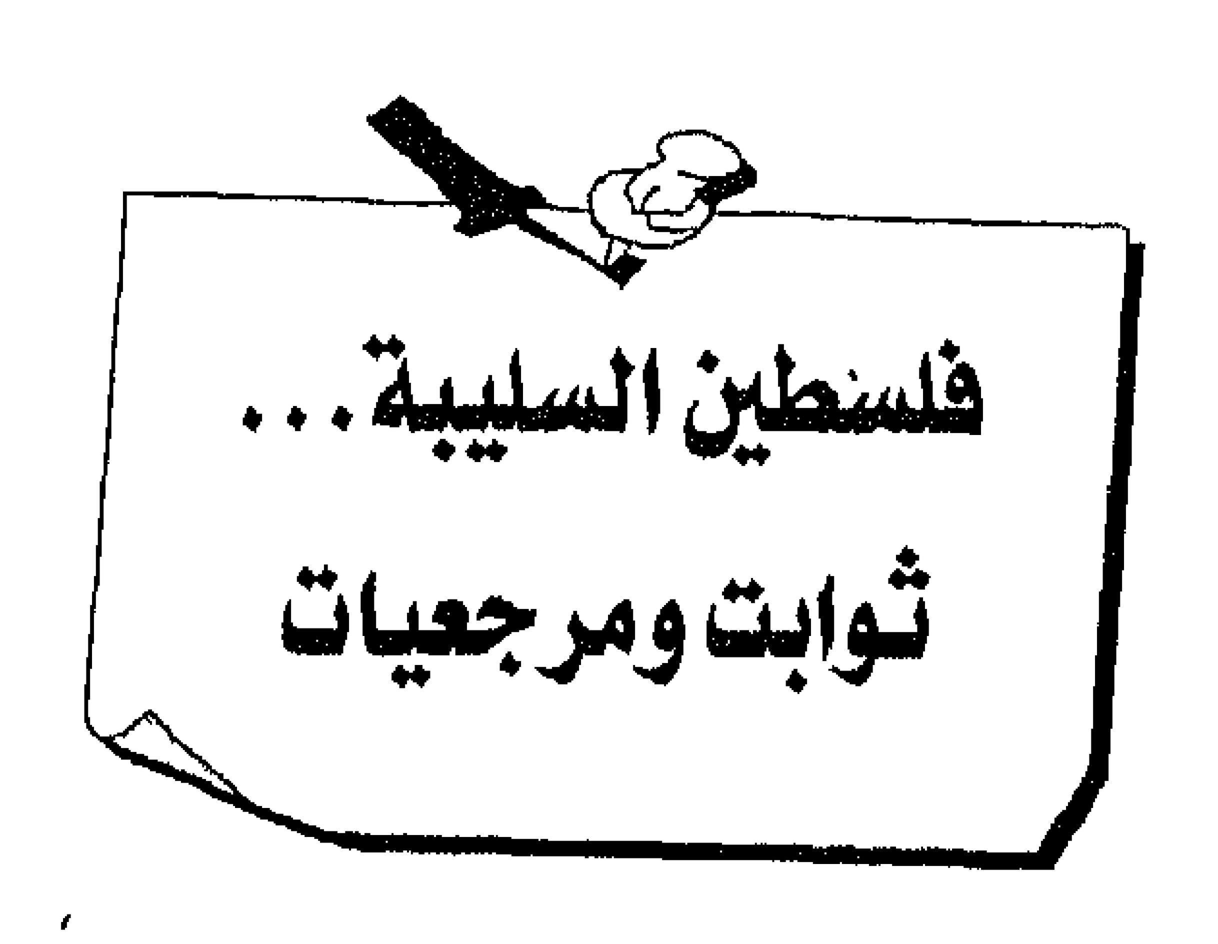
- أوصيك ببدء الإعداد و التحضير لخطبتك أو درسك قبل إلقائهما بمدة كافية، حتى تتاح لك الفرصة للقراءة والاطلاع الواسع، والإبحار في المصادر والمراجع.

د) اجمع الأشعار والحكم و المواعظ والأمثال المتعلقة بالموضوع واختيار المناسب منها لاستخدامها في الخطبة.

هـ) الاطلاع على كتب السير والتاريخ والتراجم وجمع المعلومات المـ [illegible] ـة بهذا الموضوع.



الخطبة الأولى



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

تمثّل القضيةُ الفلسطينيةُ منذ ما يقرب من قرن كامل المحورَ الأساسيَّ للصراع الدائم بين المشروع الاستئصالي الصهيوني الأمريكي والأمة العربية والإسلامية، وتجسِّدُ أرضُ فلسطين هذا الصراع، وما حدث من اغتصاب لها على يد الصهاينة، والتمكين لهم على أرض العروبة والإسلام، بل وتمكينهم من عمل دولة أصبحت عضوًا في الأمم المتحدة، وتشريد الفلسطينيين وطردهم من أرضهم في شتات واسع يبلغ تعداده الآن حوالي سبعة ملايين، ويعيش على الأرض بالداخل في قطاع غزة والضفة الغربية ما يقرب من ٥ ملايين، واستمر الصراع، وظهرت أجيال جديدة تواصلت مع الآباء والأجداد المجاهدين، وتكوَّنت فصائل ومنظمات للمقاومة ضد الصهاينة الغزاة، وما زالت هذه المقاومة مستمرةً وتزداد قوةً وثباتًا يومًا بعد يوم.

وخلال المسيرة الدامية تعرضت القضيةُ الفلسطينيةُ، أرضًا وشعبًا، للعديد من

المؤامرات، وتزامن مع هذه المؤامرات حروبٌ واعتداءاتٌ وقتلٌ واغتيالاتٌ وسجونٌ ومعتقلاتٌ.. كل ذلك وغيره الكثير من كيد اليهود الصهاينة وبعض الأذناب ومكرهم، وبدعمٍ وتخطيطٍ من القوى الكبرى في العالم، وعلى رأس هذه القوى أمريكا؛ بكل إمكانياتها وجيوشها وسطوتها، ولكنَّ المقاومة التي كانت في النصف الأول من القرن الماضي والتي حمل لواءها المجاهدون- على الرغم من عجزِ الأنظمة القائمة حينئذٍ وتراجعها وتفرقها- قد أوجعت الصهاينة، وزلزلت بنيانهم، ولولا تكالب قوى العالم ضدهم وضعف الجانب الرسمي العربي والإسلامي لسارت الأمور على غير ما كانت، وقدر الله للأمة أن تدخل في صراع، تمحَّص فيه، ويُمتحَن ويُفتَن أبناؤها ويتكوَّنون على عين الله؛ ليكونوا بعد ذلك الرجال الذين يستحقون السيادة والعزة، ثم تفجَّرت مرةً أخرى الصحوة والانتفاضة، وظهرت المقاومة، وعادت كتائب عزّ الدين القسام والمقاومون في فتح والجهاد وغيرهم من أبناء فلسطين المجاهدين المخلصين، وها هي المقاومة تقف على مفترق خَطِر؛ يأبى أبناؤها والرجال الذين شَرَوا الحياة الدنيا بالآخرة إلا أن ينحازوا إلى خندق الجهاد؛ فالله الله يا أمة الخير.. والانتفاضة مستمرة.. وإنه لجهاد؛ نصر أو استشهاد.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن لم ينقطع التواصل مع القضية بكل أطيافها ومع أهل فلسطين بكل فصائلهم، ولا يخفى على أحد كيف نشأ القادة من أبناء فلسطين، ومنهم أبو عمار وعبد الله عزام وأحمد ياسين ورفاقه وأبناؤه وغيرهم الكثير؛ فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

وفيما يلي نذكِّر بالحقائق والأسس التي يجب أن ينطلق منها الجميع لتحرير فلسطين:

١) أرض فلسطين أرض مقدسة، والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفَين من مقدسات المسلمين، وكنيسة القيامة من مقدسات إخواننا المسيحيين، وهذه الأرض والمقدَّسات واجبٌ على كل الأمة العملُ على تحريرها وحمايتها وصيانتها والدفاع عنها، ولا يملك أحدٌ كائنًا من كان أن يتنازل عن شبر من

الأرض، أو أثرٍ من المقدسات، وهذه مسئوليةٌ جماعيةٌ، وواجبٌ شرعيٌّ علينا جميعًا.

٢) الفلسطينيون هم أصحاب الحق في تقرير مصيرهم؛ من حيث اختيار قيادتهم وطريقة الحكم لديهم، وإدارة شئونهم على أرضهم، ولا نتدخل في شئونهم الداخلية، مع حقهم علينا- بأخوّة الإسلام ومسئولية المقدسات -في النصح والنصرة والدعم، والوقوف إلى جانبهم بكل السبل والوسائل المشروعة؛ حتى ينالوا استقلالهم، ويُقيموا دولتَهم المستقلة على كامل أرض فلسطين وعاصمتها القدس، وليس لأحد الحق في أن يتفاوض بالنيابة عنهم في كل المحافل الدولية ومع كل دول العالم.

٣) المقاومة حق مشروع، فرضه الإسلام، وكفلته القوانين والمواثيق والأعراف الدولية، وهي الوسيلة الباقية والماضية لاسترداد الحقوق ولتحرير الأوطان؛ ولذلك فنحن مع المقاومة بذلاً وعطاءً وفداءً؛ حسبةً لله تعالى.

٤) للمسلمين وغير المسلمين من أبناء فلسطين الحق في العيش على أرض الوطن الفلسطيني كمواطنين لهم كافة حقوق المواطنة، وطبقًا لمبدأ: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

٥) الخلافات بين الفصائل الفلسطينية القائمة الآن أعراض زائلة؛ بسبب المكائد الصهيونية، والضعف الذي اعترى النظم العربية والإسلامية، وبسبب بعض التصرفات الفردية من بعض ذوي الأغراض الشخصية والهوى، ويجب حلُّها بالحوار والحب والأخوّة والإيثار، والرعايةُ والعنايةُ والعونُ من الأمة لهم في ذلك أمرٌ واجبٌ، ونحن ندرك أهمية ذلك ونضع أنفسنا في خدمة القضية وفي تقديم كل ما نستطيع لإنجاح هذا الحوار.

٦) فكُّ الحصار ورفعُ المعاناة عن أهل فلسطين، وخاصةً في قطاع غزة، واجبٌ على كل الدول العربية والإسلامية، والدعمُ الشعبي والإغاثةُ واجبٌ على الأمة، وتمكينُها من ذلك بتسهيل نقل المؤن وفتح المعابر على الحدود واجبٌ على الأنظمة المعنية بذلك.

وفي هذا الصدد فإننا ننبِّه إلى ضرورة كسر احتكار الصهاينة لاقتصاديات قطاع غزة، وخاصةً في مجال الطاقة والمحروقات والكهرباء والمياه والغذاء والدواء ومستلزمات الإنتاج والصناعة داخل القطاع.

٧) فلسطين عضو في جامعة الدول العربية وفي منظمة المؤتمر الإسلامي؛ ولذلك يجب على المنظمتين اتخاذ كافة الوسائل والسبل لدعم الفلسطينيين وإغاثتهم، والوقوف إلى جانبهم في مقاومتهم للصهاينة المحتلين؛ حتى يقيموا دولتهم المستقلة.

٨) رفض الحلول البديلة عن إقامة الدولة المستقلة وخاصةً بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة، ولا يمكن أن يقبل الفلسطينيون والأمة معهم بأن يتم التخلص من أي منهما أو من كليهما وإلحاقهما بدول الجوار.

٩) التعددية والتنوع بوجود فصائل ومنظمات من الشعب الفلسطيني داخل أراضيه وخارجها أمرٌ طبيعيٌّ، والتعاون والتكامل وروح الأخوَّة والحوار مبادئُ أساسيةٌ لتحقيق الهدف، ووجهةُ الجميع هي التحرير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

وإذا كانت هذه النقاط تمثِّل الثوابت والمرجعيات لمسيرة التحرير؛ فإن مسئولية الأمة تجاه فلسطين؛ الأرض والمقدسات والأبناء، وقيامها بهذه المسئولية في الماضي والحاضر والمستقبل.. تبقى هي حجر الزاوية لإتمام هذا التحرير المنشود﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم: من الآيتين ٤ و٥]، وهذا ما سنتناوله في الأسبوع القادم إن شاء الله؛ فللحديث بقية، وإن غدًا لناظره قريب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية



الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، الحمد لله القائل في محكم التنزيل ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾،

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾.

أما بعد :

عباد الله: فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أيها المسلمون: بين جعجعة وأخرى، وبين كلمات وما في معناها، وبين مقالات وكتابات في صحف وغيرها لبعض المنافقين ومن في قلوبهم مرض، أن القدس ضاعت

ولن تعود، مما أفاض على كثير من قلوب المسلمين القنوط واليأس من استردادها، وذلك لظنهم أن اليهود أصبحوا قوة عظيمة بالإضافة إلى حلفائهم. يطيب لنا الحديث وإظهار الحق للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فنقول: أيها المسلمون: إن القدس لم تضع ولن تضيع لأن الله وعد بهذا، وكذلك رسوله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

نعم أيها المسلمون: إن القائلين لهذه المقالة (أن القدس ضاعت ولن تعود من كفرة ومنافقين (إنما أرادوا إيقاظ اليأس ونشره في قلوب المسلمين، مع علمهم بأن القدس لم تضع .ولكننا نقول أيها المسلمون باستقراء كتاب ربنا الذي يغرس فينا -أهل الإسلام- حقائق الوحي، ومن ذلك أن قوم موسى حين كانت تُستحيا نساؤهم ويذبح أطفالهم وفرعون يقول: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ نزل قول الله تعالى بعد ذلك كله ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾.

نعم عباد الله: هكذا وعد الله فلن تضيع القدس وذلك لأن الله كرمها بسكن الأنبياء فلن يرجعها لقتلة الأنبياء ولكن الأيام دول ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ مهما عمل اليهود وأتباع اليهود فالقدس عائدة وراجعة فلا تكونوا يائسين.

أيها المسلمون: المستقبل لدين الله، والعزة لأوليائه، ولا تكونوا مثل من رأى العدو يتبجح ويتقوى وتحت ظل هذه الرؤية رأى أنه مهما عملنا لن نغير من الواقع شيئا ولن

نجني سوى التعب والمشقة فليس إذاً في السعي فائدة، فإذا بكم تنظرون إليه متجهم الوجه عاقد الحاجبين مقطب الجبين رافعا راية «لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر» حين يطلب منه خدمة دينه ولو بكلمة يقول: «أنت تؤذّن في خرابة ولا أحد حولك»، «وتنفخ في قربة مقطوعة»، وغيرها من عبارات تصدأ بها الأفهام بعد سقالها، وترد ذكران العقول إناثا، هلك الناس في نظره وقد هلك، وصف النبي ﷺ هذه الحالة النفسية وصفا دقيقا بقوله كما ثبت عند مسلم: (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم).

معاشر المؤمنين: مما لا شك فيه أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس، وأحلام اليوم هي حقائق الغد، والضعيف لا يظل ضعيفا أبد الآبدين، والقوي لا يظل قويا أبد الآبدين

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾.

نعم يا عباد الله :

إننا نملك الإيمان بنصر الله لنا، وثقة بتأييده لنا، ويقينا بسنة الله تعالى في إحقاق الحق وإبطال الباطل ولو كره المجرمون، واطمئنانا إلى وعده الذي وعد به المؤمنين ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾. نعم يعبدونني لا يشركون بي شيئا، نعم عباد الله إنه وعد يشحذ الهمم ويستنفر العزائم ويملأ الصدور ثقة وإيمانا بأن الدور لنا لا علينا وأن التاريخ معنا لا علينا، وإنا لنحن المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون.

سنة الله رب العالمين ولن تجد لسنة الله تحويلا، ولا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ

على الحق منصورة لا يضرها من خالفها، وليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل كما ثبت ذلك عنه ﷺ. وما أنتم أيها المسلمون إلا أجراء عند الله كيفما أراد أن يعمل عملتم وقبضتم الأجر ولكن ليس لكم ولا عليكم أن تتجه الدعوة إلى مصير، فذلك صاحب الأمر لا شأن الأجير، وحسبكم أن من الأنبياء من يأتي يوم القيامة ومعه الرجل ومعه الرجلان والثلاثة ومن يأتي وليس معه أحد، ليس عليك هداهم.. إن عليك إلا البلاغ .

وآية الآيات في هذا الدين - يا عباد الله - أنه أشد ما يكون قوة وأصلب ما يكون عودا وأعظم ما يكون رسوخا وشموخا حين تنزل بساحته الأزمات وتحدق به الأخطار وتشتد على أهله الكرب وتضيق بهم المسالك وتوصد عليهم المنافذ، حينئذ ينبعث الجثمان الهامد ويتدفق الدم في عروق أبنائه ينطلق فينتفض، يقول فيُسمع، ويمشي فيُسرع، ويضرب في ذات الإله فيوجع، فإذا النائم يصحو، وإذا الغافل يفيق، وإذا الجبان يتشجع، وإذا الضعيف يتقوى، وإذا الشديد يتجمع، وإذا بهذه القطرات المتتابعة والمتلاحقة من هنا وهناك من جهود القلة تكون سيلا عارما لا يقف دونه حاجز ولا سد .

لا يزخر الوادي بغير شباب وهل شمس تكون بلا شعاع

إن هذه الأمة تمرض لكنها لا تموت، وتغفو لكنها لا تنام، فلا تيئسوا، فإنكم ستستردون عزكم.

نعم يا مسلمون: فإن قراءة متأنية لتاريخ الصليبيين وبيت المقدس تعطي الأمل بأن الواقع سيتغير .

فاسمعوا إلى ابن كثير - رحمه الله - وغيره من أهل السير وهم يسردون لكم ذلك الحدث العظيم في ضحى يوم الجمعة في شهر شعبان لسنة ٤٩٢هـ: (دخل ألف ألف مقاتل بيت المقدس فصنعوا به ما تصنعه وحوش الغابة وارتكبوا فيه مالا ترتكب أكثر منه الشياطين، لبثوا فيه أسبوع يقتلون المسلمين حتى بلغ عدد القتلى أكثر من ستين ألفًا، منهم الأئمة والعلماء والمتعبدون والمجاورون، وكانوا يجبرون المسلمين على إلقاء أنفسهم

من أعالي البيوت لأنهم يشعلون النار وهم فيها فلا يجدون مخرجا إلا بإلقاء أنفسهم من أعالي الأسطحة، جاسوا فيها خلال الديار، وتبروا ما علوا تتبيرا، وأخذوا أطنان الذهب والفضة والدراهم والدنانير، ثم وضعت الصلبان على بيت المقدس وأدخلت فيها الخنازير، ونودي من على مآذن لطال ما أطلق التوحيد من عليها، نودي إن الله ثالث ثلاثة –تعالى الله وتبارك عما يقولون علوا كبيرا– فذهب الناس على وجوههم مستغيثين إلى العراق). وتباكى المسلمون في كل مكان لهذا الحدث وظن اليائسون أن لا عودة لبيت المقدس أبدا إلى حظيرة المسلمين .

كم طوى اليأس نفوسا لو رأت منبتا خصبا لكانت جوهرا

ويمضي الزمن.. وفي سنة ٥٨٣ هـ أعد صلاح الدين جيشا لاسترداد بيت المقدس وتأديب الصليبيين على مبدئهم هم «إن القوي بكل أرض يُتقى»

وفي وقت الإعداد تأتيه رسالة على لسان المسجد الأقصى تعجّل له هذا الأمر وهذه المكرمة، فإذا بالرسالة على لسان المسجد الأقصى تقول له :

يا أيها الملك الذى لمعالم الصلبان قد نكّس جاءت إليك ظلامة تسعى من البيت المقدس كل المساجد طهرت وأنا على شرفي أنجس.

فصاح رحمه الله: وا إسلاماه، وامتنع عن الضحك وسارع في الإعداد ولم يقارف بعدها ما يوجب الغسل .

من ذا يغير على الأسود بغابها أو من يعوم لمسبح التمساح

وعندها علم الصليبيون أن هذا من جنود محمد ﷺ، فتصالح ملوك النصارى وجاءوا بجدهم وحديدهم وكانوا ٦٣ ألفًا، فتقدم صلاح الدين إلى طبرية وفتحها بلا إله إلا الله فصارت البحيرة إلى حوزته ثم استدرجهم إلى الموقع الذي يريده هو، ثم لم يصل الكفار بعدها قطرة ماء إذ صارت البحيرة في حوزته فصاروا في عطش عظيم، عندها تقابل الجيشان وتواجه الفريقان وأسفر وجه الإيمان، واغبر وجه الظلم والطغيان، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان، عشية يوم الجمعة واستمرت إلى السبت الذي كان عسيرا

على أهل الأحد، إذ طلعت عليهم الشمس واشتد الحر، وقوي العطش، وأضرمت النار من قبل صلاح الدين في الحشيش الذي كان تحت سنابك خيل الكفار، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال وحر مقابلة أهل الإيمان، وقام الخطباء يستثيرون أهل الإيمان ثم صاح المسلمون وكبروا تكبيرة اهتز لها السهل والجبل، ثم هجموا كالسيل لينهزم الكفار ويؤسر ملوكهم ويقتل منهم ثلاثون ألفا.

وذكر أن بعض الفلاحين رؤي وهو يقود نيفا وثلاثين أسيرا يربطهم في حبل خيمته، وباع بعضهم أسيرا لنعل يلبسها، وباع بعضهم أسيرا بكلب يحرس له الغنم، ثم أمر السلطان صلاح الدين جيوشه أن تستريح لتتقدم لفتح بيت المقدس، وفي هذه الاستراحة وقفة فكيف كانت النفوس المؤمنة التي لا تيأس يا ترى في هذه الاستراحة؟ إن الرؤوس يا عباد الله لم ترفع من سجودها، والدموع لم تمسح من خدودها، يوم عادت البيع مساجد والمكان الذي يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة صار يشهد فيه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم سار نحو بيت المقدس ليفتحه من الجهة الشرقية ويخرجهم منه، فكان له ذلك على أن يبذل كل رجل منهم عشرة دنانير ويخرج ذليلا، وعن المرأة خمسة دنانير وعن الطفل دينارين، ومن عجز كان أسيرا للمسلمين فعجز منه ١٦ ألفًا كانوا أسراء للمسلمين فدخل المسلمون بيت المقدس وطهروه من الصليب وطهروه من الخنزير ونادى المسلمون بالأذان ووحدوا الرحمن وجاء الحق وبطلت الأباطيل وكثرت السجدات وتنوعت العبادات وارتفعت الدعوات وتنزلت البركات وانجلت الكربات وأقيمت الصلوات وأذن المؤذنون وفر القسيسون وأحضر منبر نور الدين الشهيد عليه رحمة الله الذي كان يأمل أن يكون الفتح على يديه؛ فكان على يد تلميذه صلاح الدين ورقي الخطيب المنبر في أول جمعة بعد تعطل الجمعة والجماعة في المسجد الأقصى دام ٩١ عاما فكان مما بدأ الخطيب خطبته بعد أن حمد الله فقال: «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، فلله الأمر من قبل ومن بعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

معاشر المسلمين: إن الأقصى اليوم لم تعطل فيه الجمعة ولم تعطل فيه الجماعة، فالمؤمن لا يعرف اليأس ولا يفقد الرجاء إذ هو واثق بربه، ثم هو واثق في حق نفسه، ثم هو واثق بوعد الله له، إن مرت به محنة اعتبرها دليل حياة وحركة فإن الميت الهامد لا يضرب ولا يؤذى وإنما يضرب ويؤذى المتحرك الحي المقاوم، كالحديد يدخل النار فيستفيد إذ يذهب خبثه ويبقى طيبه .

إن علينا معشر المسلمين أن نكون بحجم التحديات في صبر وثبات ولتعلم أن الوصول إلى القمة ليس الأهم ولكن الأهم البقاء فيها، وأن الانحدار إلى القاع ليس هو الكارثة ولكن الكارثة هي الاعتقاد أنه لا سبيل إلى الخروج من القاع، ليس والله الدواء في بكاء الأطلال وندب الحظوظ، إنه في الترفع عن الواقع بلا تجاهل له بالاستعلاء النفسي عليه في تحرير الفكر من إرهاقه ويأسه، فبالإرادة الحرة القوية الأبية أيها المسلمون يمكن تحويل عوامل الضعف إلى قوة بإذن رب البرية، فإن رسول الله ﷺ حين حصل له في أحد ما حصل - شج وجهه وكسرت رباعيته وانخذل عنه من انخذل وإذا به ينقل المسلمين إلى مواجهة جديدة في حمراء الأسد لملاحقة المشركين الذين كانوا حقا منتصرين ولولا ملاحقة المسلمين لهم لقضوا على البقية الباقية من المسلمين. وهذا يدل على حكمة الرسول ﷺ، وأبو بكر يأتي من بعده وقد تربى على سنته بعد أن كادت نواة الإسلام تضيع في طوفان الردة فإذا به ينقل الأمة من نقلة إلى نقلة ومن واقع إلى واقع في استعلاء على اليأس وترفع عن الهزيمة .

أيها المسلمون: إن المستقبل لهذا الدين بلا منازع لكنه لا يتحقق بالمعجزات السحرية وإنما هو بالعمل والبذل لله من منطلقات صحيحة على منهج أهل السنة والجماعة، ووعد الله لم يتخلف ولكنه لن يتحقق أبدا على أقوام لا يستحقونه ولا يفهمون سننه ولا يضحون من أجله .

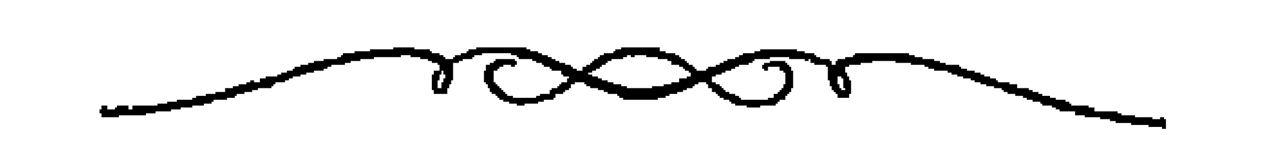
حقق الله لنا آمالنا، وعلى الله بلوغ الأمل، واسمعوا عباد الله في الختام حديث الرسول ﷺ الذي أعلمنا أن هذه الأرض بيت المقدس بلاد الشام ستكون موئلا لأهل

الإيمان، كلما تقارب الزمان، والحديث في مسند الإمام أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

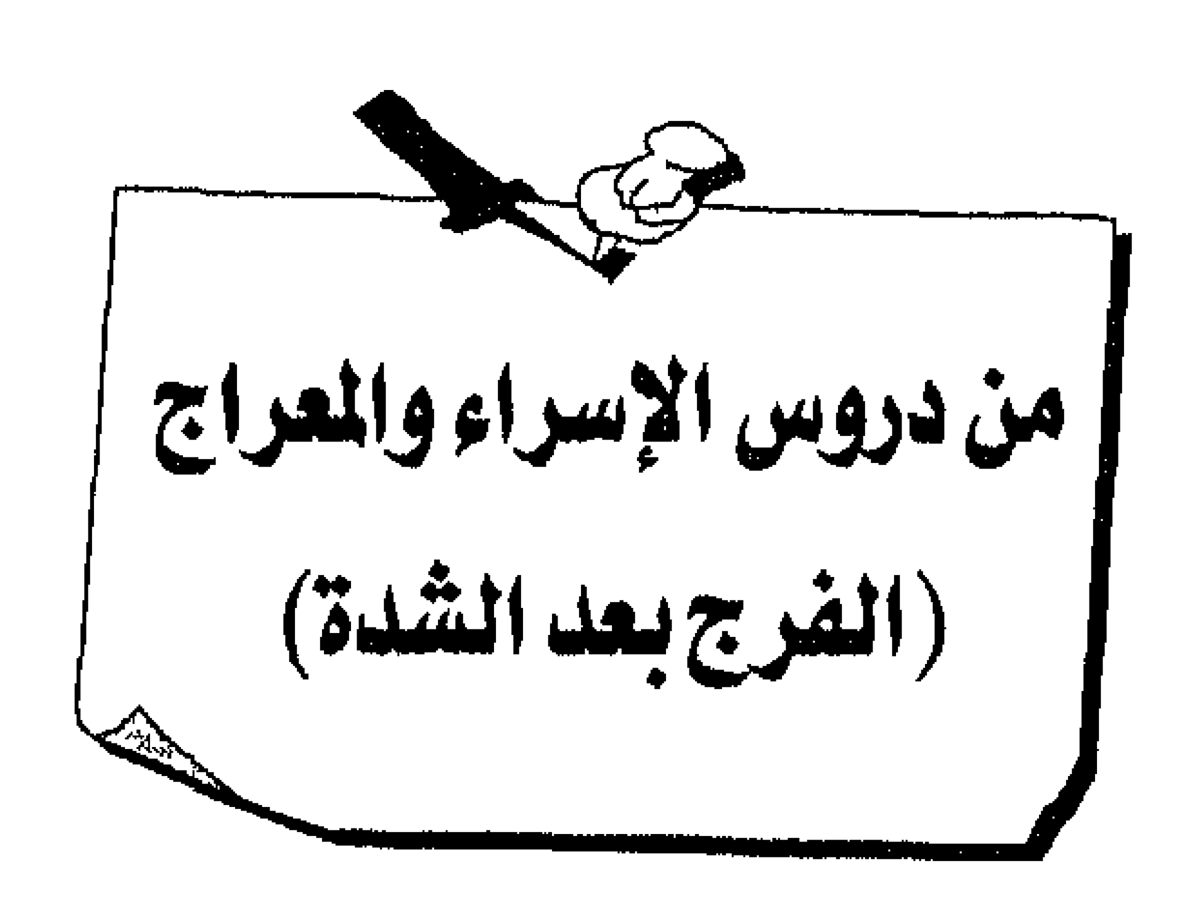
قال رسول الله ﷺ: (بينما أنا نائم إذا رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فاتبعته ببصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتنة سيكون في الشام).

وأصرح من هذا ما رواه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد وقال الهيثمي رجاله ثقات يقول ﷺ: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة).

نعم عباد الله هذه المبشرات فلن تضيع القدس فهذا كتاب ربنا وهذه سنة نبينا محمد ﷺ وهذا تاريخنا .



الخطبة الثالثة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه و التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون:

نعيش اليوم مع درس عظيم من دروس الإسراء والمعراج، وهو درس الفرج بعد الشدة و اليسر بعد العسر والمنحة بعد المحنة، وبخاصة وأن هذا الحدث العظيم وقع بعد محنة كبيرة وشدة عظيمة... وهكذا الحياة أيها المسلمون لا تخلو من شدائد ومحن وابتلاءات فهي حلو ومر، ويسر وعسر، ورخاء وشدة، وعافية وبلاء، ومنشط ومكره، وهذه هى طبيعتها وكما قيل فيها:

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الآلام والأكدر

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

إننا في حياتنا اليومية كأفراد تتعثر خطانا ونتعرض للشدائد والمحن والابتلاءات وهذا موجود؛ والأمثلة كثيرة وكم رأينا أناسا تعثرت خطاهم وابتلوا وامتحنوا في أرزاقهم وأموالهم وأجسادهم وأولادهم وعضهم الدهر بنابة ثم سرعان ما تغيرت أحوالهم وتبدلت أوضاعهم وانزاح عنهم الكابوس وزالت عنهم الهموم وجعل الله لهم فرجا ومخرجا وقد أحسن من قال:

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى

وكم يسر أتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجى

وكم أمر تساء به صباحا وتأتيك المسرة بالعشى

إذا ضاقت بك الأحوال يوما فثق بالواحد الفرد العلى

ولا تجزع إذا ما ناب خطب فكم لله من لطف خفى *

أيها المسلمون: إذا كان الأفراد يتعثرون في حياتهم اليومية وأعمالهم الدنيوية فإن الأمم تتعثر كذلك وتنزل بها الشدائد والأزمات؛ وكذلك أصحاب الرسالات من الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين في كل عصر وفي كل مكان ثم يأتي الفرج من الله عز وجل ليمسح به الآلام ويزيل به الهموم والأحزان.

أيها المسلمون: إننا نتحدث عن هذا الدرس من خلال هذا الحدث العظيم في ثلاث نقاط.

أولا: نظرة على بعض الشدائد والأزمات التى تعرض له رسول الله ﷺ... وما واجهه به المشركون ـ من حرب إعلامية،وحرب اقتصادية، وإيذاء بدني وتعذيب، أي ما قبل الحدث.

ثانيا: الفرج بعد الشدة سنة إلهية من سنن الله عز وجل.

ثالثا: واجب المسلمين عند نزول الشدائد وحلول الأزمات.

مشاهد لما تعرض له رسول الله ﷺ وصحبه الكرام من شدائد وأزمات:

أيها المسلمون:

لقد حُورِبَ النبيّ ﷺ وأُوذِيَ أشدَّ الإيذاء هو وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وتعرضوا للابتلاءات والمحن الشديدة فقد ابتُلُوا فى أرزاقهم وأبدانهم وجُوِّعُوا وحُوصِرُوا وواجهوا هم والنبى ﷺ حرباً دعائية وحربا اقتصادية ولاقوا من صنوف الإيذاء والتعذيب ما لاقوا

وها هي بعض النماذج لتلك الشدائد التى تعرض لها الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

أولا: الحرب الدعائية:

لقد أطلقت قريش على النبى ﷺ منذ المدة الأولى لقب صابئ وكذا نعتت كل متبع له ثم كان أفرادها ما يلقبونه تارة بالكاهن وأخرى بالساحر أو المجنون وتارة يظنون أنه يريد الزعامة أو يبغي الشهرة أو أنه قد أصابه شيء من المس.

«إنها حرب من السخرية والتحقير قصد بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية فرمى النبي ﷺ وصحابته بتهم هازلة وشتائم سفيهة وتألفت جماعة للاستهزاء بالإسلام ورجاله»[1] وسجل القرآن الكريم هذه الهجمة الشرسة على النبى ﷺ وصحبه.

﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[2]...

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾[3] .

(١) فقه السيرة. للشيخ محمد الغزالي صـ ١٠٩ الريان الأولى.

(٢) الحجر أية ٦.

(٣) ص آية ٤.

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ ﴾[1]

وليس حظ سائر المسلمين بأفضل من هذه المعاملة فهم فى غدوهم ورواحهم محل التندر واللمز:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ۝ ﴾[2]

ثانيا الإيذاء البدني والتعذيب:

وفى هذا الجانب قد كثر الإيذاء واشتد البلاء على النبي ﷺ وصحابته الكرام منذ أن صدع رسول الله ﷺ بدعوة الحق.

روى البخاري[3] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: إيكم يجيء بسلى جزور[4] بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر

(١) القلم آية ٥١.

(٢) المطففين آية (٢٩ ـ ٣٣).

(٣) رواة البخاري كتاب الوضوء برقم ٢٤٠ ج١ من فتح البارى ص٤١٦ الريان.

(٤) بسلى: السلى. الجلدة التى يكون فيها ولد البهائم كالمشيمة للآدميات جزور يقع على الذكر والأنثى وجمعة جزر وهو بمعنى الجزور من الإبل أى المنحور ـ (ويحيل بعضهم) من الإحالة والمراد أن بعضهم ينسب فعل ذلك إلى بعض بالإشارة تهكمًا ويحتمل أن يكون من حال يحيل بالفتح إذا وثب على ظهر دابته أي يثب بعضهم على بعض من المرح والبطر ولمسلم «ويميل» أي من كثرة الضحك فتح البارى جـ ض ٤١٧ الريان.

حتى سجد النبى ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغير شيئًا وقال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات فشق عليهم ذلك إذا دعا عليهم وقال وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سمى «اللهم عليك بأبى جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط» وعد السابع فلم يحظ وقال فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى فى القليب قليب بدر»

وعن عروة بن الزبير قال: سألت عبدالله بن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد شئ صنعه المشركون بالنبى ﷺ قال: بينما النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذه بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال [1] ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر آية: ٢٨]

أيها المسلمون: هذان نموذجان لما تعرض له رسول الله ﷺ وما لاقاه من شده وابتلاء وهو صاحب المكانة العالية والمنزلة السامية فى نفوس الخاصة والعامة؛ وإذا كان هذا يحدث لرسول الله ﷺ فما بالنا بالصحابة الكرام لا سيما الضعفاء منهم كبلال ابن رباح وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأمه سمية وأبوه عمار وغيرهم من الضعفاء.

عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله ﷺ. فمنعه الله بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد وأتاهم على

(١) رواة البخارى برقم ٣٦٧٨ ك فضائل الصحابة الفتح ٧/ ٢٦.

ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد [١] .

ثالثا: «الحرب الاقتصادية - المقاطعة العامة»

وتتوالى سلسلة المحن و الشدائد على رسول ﷺ وصحابته الكرام حتى تصل إلى حصار شامل فرضه المشركون عليهم وأحاطوا بهم من كل جانب فأجاعوا بطونهم وعروا ظهورهم فلا يجدون ما يسد الرمق ويطفىء الحرق وإذا بهم يفترشون الأرض ويلتحفون السماء. إنه الحصار الظالم حيث أجمع المشركون أمرهم.. «على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم لا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة ولا يخالطوهم ولا يجالسوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم» [٢]

كانت الصحابة إذا قدمت عير إلى مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام قوتًا لعياله فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد - ﷺ حتى لا يدركوا معكم شيئا وقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فأنا ضامن لا خسار عليكم فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافًا حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شئ يطعمهم به ويغدوا التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعًا وعريًا.

روى يونس عن سعد بن أبى وقاص. قال: خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول فإذا قطعة من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ورضضتها بالماء

---

(١) رواة ابن ماجة فى المقدمة برقم ١٥٠ ١/ ٥٣ ط الريان وصهروهم أى القوهم فى الشمس ليذوب شحمهم.

(٢)السيرة النبوية للصلابى جـ ١ ص ٣١٢ ط التوفيقية.

فقويت بها ثلاثاً[(١)].

كم بقيت هذه الضائقة ثلاث سنين كالحة! ثلاث سنين جوع وعرى وهوان وشدة وحصار؛ ومن هذه المحن وقبيل الإسراء وقعت للرسول ﷺ شدةٌ عظيمةٌ وحادثةٌ أليمةٌ أحزنته وأثرت فى نفسه ﷺ، فقد مات عمه أبو طالب الذى كان يناصره وهو على غير دينه، وماتت زوجه خديجة رضي الله عنها التى كانت تواسيه وقد زاد إيذاء المشتركين لرسول الله ﷺ.

فأراد أن يبحث عن مكان آمن يستقبل الدعوة ويحتضن الرسالة فذهب النبى ﷺ إلى الطائف فكانت الفاجعة التى تلقاها رسول الله ﷺ والتى حدث عنها فيما بعد كما جاء عن عائشة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت، فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد! فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال النبي ﷺ «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحدة لا يشرك به شيئًا»[(٢)].

أيها المسلمون: أتدرون ماذا صنع أهل الطائف برسول الله ﷺ؟

---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٢٦ ط الريان.

(٢) رواة النجارى فى كتاب بدء الخلق برقم ٣٢٣١ ج ٦ ص ٣٦٠ من فتح البارى ط الريان وقولة «على وجهى» أى الجهة المواجهة لى أى انطلقت حيران هائما لا ادرى أين اتوجة من شده ذلك وقرن الثعالب هو ميقات أهل نجد ويسمى قرن المنازل ايضا وهو بينة وبين مكة يوم ليلة «الأخشبين» جبلى مكة: أبا قبيس ومقابلة قعيقعان وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما.

لقد أغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله ﷺ لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه؛ حتى لقد شج فى رأسه عدة شجاج، ولقد كان وقع هذه الحادثة على نفسه ﷺ موجعًا جعلته يستغرق فى التفكير لا يدري بنفسه إلا وهو فى قرن الثعالب. وقد روي أنه ﷺ تضرع إلى الله قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والأخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى[1] حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله»

الفرج بعد الشدة سنة من سنن الله تعالى:

أيها المسلمون: اعلموا تمام العلم أن الحياة الدنيا إذا كانت لا تخلو من الشدائد والمحن والابتلاءات فإنها كذلك لا تخلوا من الفرج القريب والمنح العظيمة التى يمن الله بها على المبتلين على أصحاب الشدائد والآلام.. الصابرين الصامدين الثابتين على الحق لا يتزعزعون، وهذه سنة من سنن الله تعالى.

فالمستضعف لن يظل مستضعفًا والمهزوم لا بد وأن تتبدل هزيمته فى يوم ما وتتحول إلى نصر مؤزر بإذن الله، والله تبارك وتعالى يقول ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2]

ويقول ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ

---

(١) العتبى ـ الاسترضاء ـ والحديث ذكرة إبراهيم العلي وذهب إلى صحته وذكره فى كتابه: صحيح السيرة النبوية؛ وذهب الدكتور عبد الرحمن البرالي أن الحديث بطريقيه قوي ومقبول وخرج طرقه فى كتابه الهجرة النبوية *انظر السيرة النبوية للصلابي هامش ص ٣٦٥ ط التوفيقية.

(٢) ءال عمران آية ١٤٠.

مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[١]

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾[٢].

وجاء فى الحديث «واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا»[٣]

وهذه الشدائد التى اعترضت رسول الله ﷺ وصحبه الكرام لم تخل من نسمات الفرج التى مَّن الله بها على عباده المستضعفين،

ففي قلب الجو الملبد بغيوم الظلم والاضطهاد والاستبداد والإيذاء أسلم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، ثم أسلم بعده عمر بن الخطاب رضي الله عن الجميع فاكتسب المسلمون بإسلامها عزةً ومنعةً فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»[٤].

وعندما اشتد الحصار الظالم بالنبي ومن اتبعه رقت القلوب شفقة ورحمة لما يحدث لهم «وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوي الرحمة من قريش، فكان أحدهم يوقر البعير زادًا ثم يضربه فى اتجاه الشعب ويترك زمامه ليصل إلى المحصورين فيخفف شيئًا مما بهم من إعياء وفاقة»[٥].

وعندما اشتد الأسى والحزن برسول الله ﷺ عند عودته من الطائف بسبب ما لاقاه منهم وما ردوا عليه به، نجده ﷺ يعود بإسلام عداس الفتى النصرانى،

---

(١) يوسف آية ١١٠.

(٢)الشرح آية ٥، ٦ .

(٣) جزء من حديث صحيح رواه الإمام أحمد فى مسنده برقم ٢٨٠٣ ج٥ ط الرسالة ص ١٨.

(٤) سيرة عمر بن الخطاب للصلابي ص ٢٥ ط دار التوزيع وفيه: ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلي حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وطفنا ـ.

(٥) فقة السيرة للغزالي ص ١٢٦ ط دار الريان.

وبإسلام نفر من الجن.

وبعد الآلام المتواصلة والشدائد المتلاحقة جاء الإسراء والمعراج، «فكان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقاه في أثنائه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين، إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.

بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقربه وأدناه وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونصب وتعب» (١)

إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عامًا وبذلك كان علاجًا مسح متاعب الماضي ووضع بذور النجاح للمستقبل» (٢)

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما بها الصدر الرحيب

ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات وإن تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

تقول العرب: إن الحبل إذا اشتد انقطع، والمعنى إذا تأزمت الأمور فانتظر فرجًا ومخرجًا ويقول بعض مؤلفي عصرنا «إن الشدائد مهما تعاظمت وامتدت، لا تدوم على أصحابها ولا تخلُدُ على مصابها، بل إنها أقوى ما تكون اشتدادًا وامتدادًا واسودادًا، أقرب ما تكون انقشاعًا وانفراجًا وانبلاجًا عن يسر وملاءة وفرج وهناءة وحياة رخية

---

(١) وقفات تربوية مع السيرة ـ أحمد فريد ص ١١٧ نقلا عن (هذا الحبيب) للجزائري ـ ط التوفيقية.

(٢) فقه السيرة للغزالي ص ١٤٠ ط الريان.

مشرقة وضّاءة فيأتي العون من الله والإحسان عند ذروة الشدة والامتحان، وهكذا نهاية كل ليل غاسق فجر صادق»[(١)]

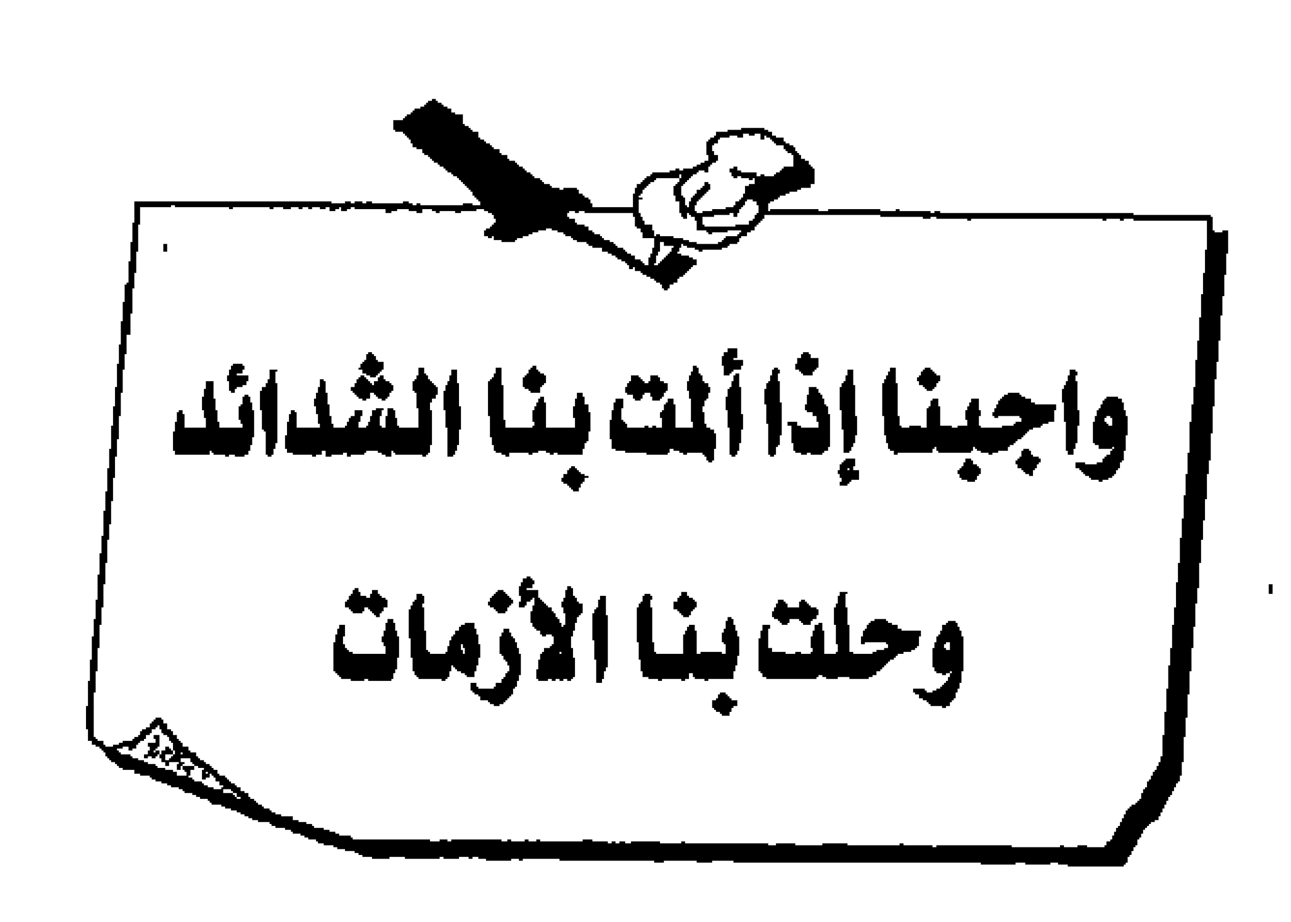
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويحمد غب السير من هو سائر

إن رسالتك يا رسول الله لن تظل محصورة فى مكة، بل إنها ستمتد حتى تبلغ الأرض الطيبة المباركة فى فلسطين، بل تبلغ المشارق والمغارب، حيث كانت الرحلة إلى البيت المقدس فى فلسطين مباشرة من مكة... ولما وصل الى سدرة المنتهى فى السماء. (إذا أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران وظاهران، فقال ما هذا يا جبريل؟. قال «أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات)*، رسالتك سيمكن لها فى أرض فلسطين وفى الأرض بين النيل والفرات وما حولهما.



(١) لا تحزن للدكتور عائض القرني ص ٤١٦ مكتبة العبيكان ط الثانية ـ* سبل الهدى الرشاد فى سيرة خير العباد ٣/ ١٢٧ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وتأملات فى الإسراء والمعراج د. السيد محمد نوح ـ مجلة الوعي الإسلامية عدد رجب ١٤١٧ ص ١٤.

الخطبة الرابعة



أيها المسلمون: ما واجبنا وقد تكررت المآسي وتزاحمت الهموم وتوالت الشدائد على المسلمين، وكما قيل ما أشبه الليلة بالبارحة، وها هى الحرب الإعلامية الدعائية التى ترمي الإسلام ورسول الإسلام وأمة الإسلام بأبشع التهم وأفظع الأقاويل تعود من جديد، لتصف الإسلام بأنه دين إرهاب وأن رسول الإسلام كذلك وأن أمة الإسلام أمة تحب القتل وسفك الدماء إلى غير ذلك من الشبهات التى لا أصل لها.

وها هى الرسومات المسيئة لرسولنا ﷺ نراها كل يوم وها هى الحرب الاقتصادية تعود كذلك من جديد وإذا بالحصار الظالم يفرض على شعبنا المسلم المجاهد فى فلسطين فى أرض الإسراء والمعراج فى غزة والقطاع، وتفرض على كل شعب أراد أن يتحرر فى رأيه أو فى رزقه، أو فى صناعته، وكما قيل يحرسون تخلفنا ويحرسون جهلنا وفقرنا

وها هو الإيذاء البدني والتصفية الجسدية، توجه الى المستضعفين من الأطفال والنساء والشيوخ والعلماء، وفى كل يوم دماء تراق ونفوس تزهق وبيوت تدمر

وزراعات تقتلع من جذورها، ومقدسات تهدم ويعتدى على حرماتها ومجاهدون يغتالون كل يوم، فماذا انتم فاعلون أيها المسلمون؟ والتاريخ يعاد، والهموم تتشابه والمآسي تتكرر.

أولا: اللجوء إلى الله والتضرع إلية عند الشدائد والنوازل والأزمات:.

أيها المسلمون: علينا أن نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فالشدائد والأزمات ينبغي أن تعيد المصاب إلى صوابه وأن تأخذه إلى ساحة ربه عز وجل، وأن تلبسه ثوب العبودية والضراعة، وأن نعلن حاجتنا إلى الله وافتقارنا إلية فى كل شئوننا»

وها هو رسول الله ﷺ وهو المعصوم وهو المؤيد من الله وخير خلق الله يلجأ إلى ربه عند الشدة فيقول: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني أم إلى عدوٍ ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي،...

أيها المسلمون: إن الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة وللمحن والمصائب حكم، من أهمها أنها تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى وتلبسه جلباب العبودية له[1].*

فلماذا لا نرفع إلى الله أكف الضراعة؟ لماذا لا نشكو إلى الله هذه الدماء التى سفكت وهذه الأعراض التى هتكت، لماذا لا نشكوا إلى الله هذه الحرمات التى انتهكت وهذه المقدسات التى دنست، لماذا لا نشكواْ إلي الله هذه البطون الخاوية وهذه الظهور العارية؟ لماذا لا نشكوا إلى الله هذه البيوت التى دمرت وهذه المدن التى خربت؟ لماذا لا نشكوا إلى الله حال المرضى الذين منع عنهم الدواء حتى لقواْ حتفهم؟ لماذا لا نشكوا إلى الله الأطفال الذين يُتمِواْ والنساء التى تأيمت؟ أيها المسلمون تضرعواْ إلى الله والجأوا إليه واطلبواْ منه العون والنصر، وهذا هو أقل ما نتوجه به لنصرة المستضعفين ومواساة

(١) فقه السيرة للبوطى صـ١٠٢ ط دار الفكر المعاصر بيروت.

المكلومين من إخواننا المسلمين.

فعند النوازل والشدائد التى تصيب المسلمين نقنت وندعوه فى كل صلاة نصليها فى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قنت الرسول ﷺ شهرًا متتابعًا فى الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والصبح فى دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعوا على حي من بني سليم، على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفة» (١)

ثانياً : قطع دابر اليأس والقنوط :-

أيها المسلمون: لا ينبغى لنا أن نيأس أو نقنط، وليكن أملنا فى الله كبير،

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٢) ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)

ولقد كان رسول الله ﷺ فى قلب الشدائد والمحن، يبشر أصحابه بالنصر والتمكين ويدفع عنهم هاجس اليأس والقنوط، وحينما جاءه خباب بن الأرت وقد اشتد كربه، وزاد بلاؤه وتضاعف عليه الإيذاء قال للنبي ﷺ «ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا» وكأنه يستبطيء النصر

فغضب النبي ﷺ لهذه العجلة فألقى عليه درسًا فى الصبر على بأساء اليوم والأمل فى نصر الغد فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظمة من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله» (٤)

---

(١)رواه أبو داود فى سننه برقم ١٤٤٣ ٢/ ٦٢٧ ط دار الحديث

(٢) يوسف آية ٨٧.

(٣) الحجر آية ٥٦.

(٤) رواة البخارى برقم ٣٨٥٢ ٧/ ٢٠٢ فتح الباري ط الريان.

وفى عودته ﷺ من الطائف، يسئله زيد بن حارثة حينما أراد النبي ﷺ دخول مكة وقد منعوه من دخولها،، يقول زيد رضي الله عنه كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعنى قريشًا فقال يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيّه(١).

إنه الأمل الذى غرسه رسول الله ﷺ فى قلوب أصحابه وتعهده بعد ذلك بتوجيهاته الحكيمة؛ فكان يقول: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لى منها» (٢)

ويقول ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك إليه بيت مدر ولا وبر إلا ادخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر.» (٣)

أيها المسلمون(٤):

من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما استولى الصليبون على كثير من البلاد الإسلامية والمسجد الأقصى ما يقارب قرناً من الزمان! حتى ظن الكثير من مسلمين وغير مسلمين أن لا أمل فى انتصار المسلمين على الصليبين وأن لارجاء فى رد أرض فلسطين مع المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين ويذكر التاريخ أن هذه الحملة الصليبية

---

(١) الرحيق المختوم ص ١٥٢ ط دار الوفاء دار الحديث.

(٢) جزء =من حديث صحيح رواة مسلم كتاب الفتن واشرط الساعة حديث رقم ٢٨٨٩ ج٤ ط دار الحديث ـ وزوى معناه جمع .

(٣) رواة أحمد فى سنده برقم ١٦٩٥٧ وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم ـ ط الرسالة ج ٢٨/ ١٥٤ ومعنى بلوغه الليل والنهار انتشاره في الأرض كلها حيث يبلغ الليل والنهار ودخول هذا الدين الحواضر والبوادي فالحواضر التى بيوتها من مدر «أي حجر» والبوادي هي التى بيوتها من وبر وشعر وسيدخل الإسلام جميعها.

(٤) الإسلام والقضية الفلسطينية د. عبد الله ناصح ص ٢٨ ط دار السلام.

عند دخولها بيت المقدس فى ١٥ مايو ١٠٩٩ قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء(١).

من كان يظن أن هذه البلاد ستحرر فى يوم ما على يد البطل المغوار «صلاح الدين» فى معركة حطين الحاسمة

ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرب المغول والتتار العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ونهبوا الأموال، وداسوا القيم وفتكوا بالأنفس والأعراض فتكًا ذريعًا؟ حتى قيل إن جبالاً شامخة، وأهرامات عالية، أقامها «هولاكو» من جماجم المسلمين!!

يقول المؤرخ «ابن الأثير الجزري» فى هول هذه الأحداث:

(لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر الحادثة استعظامًا لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك! فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا»

ومن كان يظن أن بلاد الإسلام ـ بعد هذا ستحرر فى يوم ما على يد البطل المقدام «قطز» فى معركة عين جالوت الحاسمة»!. ويصبح للمسلمين من المجد و العظمة والرفعة ما فخرت به الأجيال؟؟.

أيها المسلمون: ليكن أملنا فى الله كبير، ولندفع عن أنفسنا هاجس اليأس والقنوط، ولنحسن الظن بالله عز وجل فقد قال فى الحديث الصحيح «أنا عن ظن عبدى بي فليظن بي ما شاء»

وقد احسن من قال

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ... أبشر بخير فإن الفارج الله

(١) الغزو الفكري د. أحمد عبد الرحيم السايح ـ هدية مجلة الازهر جمادى الاولى ١٤١٤ ه ص ١٩ و ص ٢٠.

اليــأس يقطــع أحيانــاً بــصحابة لا تيـــأس فـــإن الكـــافى الله

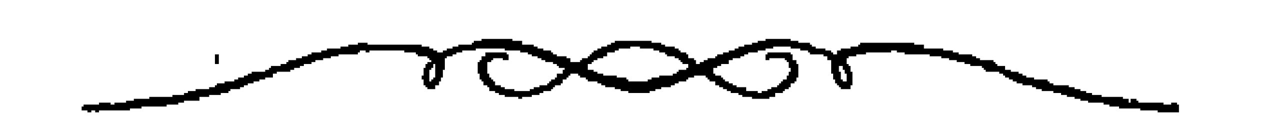
الله يحــدث بعــد العــسر ميـسرة لا تجــزعن فـــإن الـــصانع الله

إذا بليــت فثــق بــالله وارض بــه إن الذى يكـشف البلـوى هـو الله

والله مالــك غــير الله مــن أحــد فحــسبك الله فــى كــل بــك الله

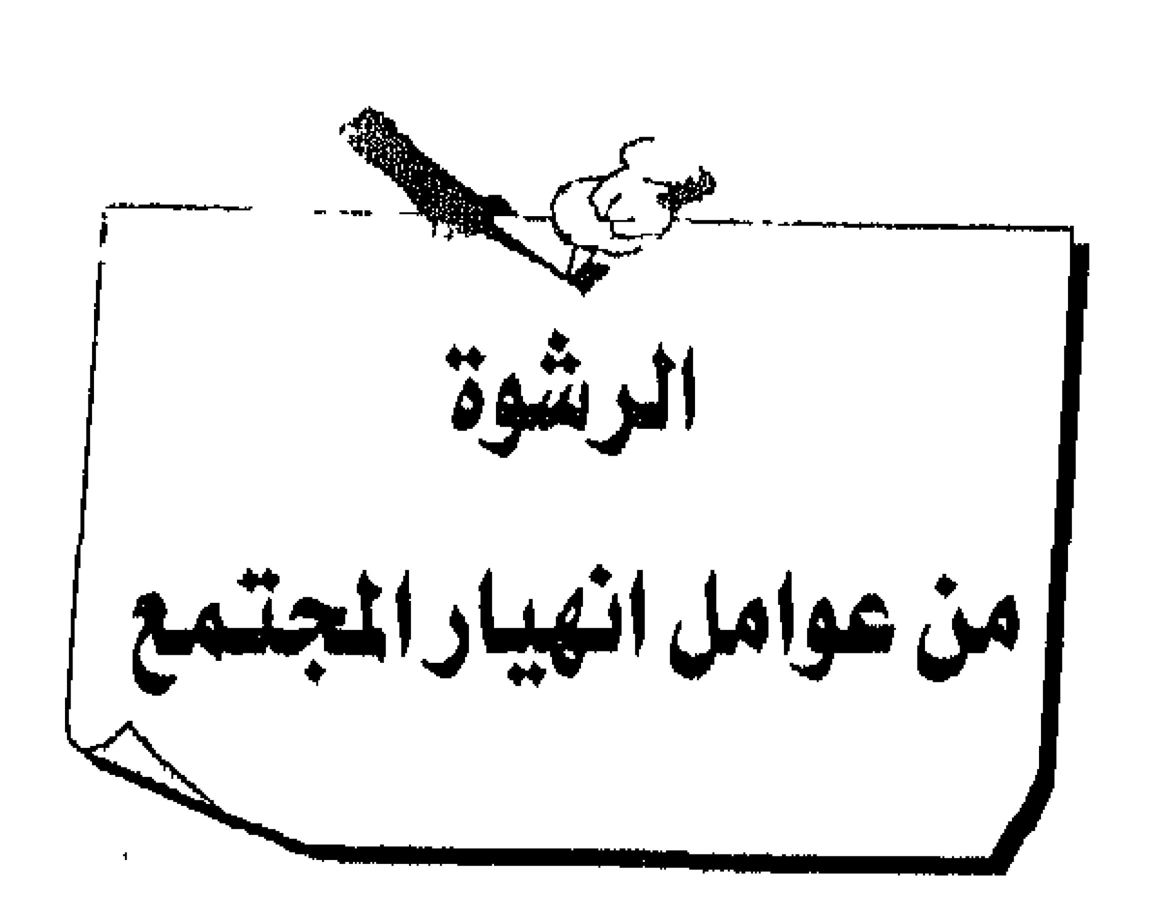
ولسوف يأتي اليوم الذي تنفرج فيه الكروب وتزول فيه الهموم وتعود فيه الحقـوق إلى أصـــــحابها ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.



(١) الروم آية ٤، ٥.

الخطبة الخامسة



الشيخ / محمد عبد الوهاب

عناصر الخطبة

١) حرمة المسلم في دمه وماله وعرضه.

٢) تحريم الرشوة والحث على الطيب في الكسب.

٣) حكم هدايا العمال والحكام والمسؤولين.

٤) حكم الرشوة إذا كانت لدفع الظلم.

٥) محاسبة العمال من قبل السلطان.

٦) هدية المدين.

الأصل في المسلم أنه معصوم الدم والمال، فلا يجوز الاعتداء عليه بحال من الأحوال، واعتبر الإسلام الموت في سبيل الدفاع عن المال والدم والعرض نوعًا من أنواع الشهادة.

والأدلة على حرمة المسلم وماله كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم

﴿بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة:١٨٨]. وقال تعالى: ﴿ ... مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»متفق عليه.

٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)رواه مسلم.

٣) وعن السائب بن يزيد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأخذنّ أحدكم متاع أخيه جادًا ولا لاعبًا، وإذا أخذ عصا أخيه فليردها عليه) صحيح رواه أحمد.

٤) وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»صحيح رواه الدارقطني.

٥) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من ظلم شبرًا من الأرض طوّقه الله من سبع أراضين)متفق عليه.

هذه الأدلة المتقدمة وغيرها من الأدلة المستفيضة تفيد حرمة المسلم وحرمة ماله ودمه وعرضه وأرضه، فلا يجوز الاعتداء عليه ولا على شيء مما يملك إلا بحق الإسلام كما لا يجوز أخذ ماله ومتاعه إلا برضاه وطيب نفسه، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس يوم النحر في حجة الوداع فقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ قلنا: نعم، قال: اللهم اشهد» [رواه البخاري]. قال ابن حجر قوله: «أبشاركم»: جمع بشرة وهو جلد الإنسان.

الأكل من الطيبات: إن الإسلام حض المؤمنين وأمر المسلمين بالأكل من الطيبات والمباحات واجتناب المحرمات والخبائث والمكروهات وترك الأشياء المشتبهات لآثارها

السيئة في المجتمعات ومخالفة رب العباد؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ .... ﴾ [البقرة:١٧٢].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها :

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له»رواه مسلم.

٢) وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»متفق عليه.

تعريف الرشوة: قال ابن حجر العسقلاني: الرشوة: بضم الراء وكسرها ويجوز الفتح وهي ما يؤخذ بغير عوض ويعاب آخِذه، وقال ابن العربي: الرشوة كل مال دفع يبتاع به من ذي جاه عونًا على ما لا يحل، والمرتشي قابضه، والراشي معطيه، والرائش الواسطة. ا.هـ. [فتح الباري].

قال الأمير الصنعاني فى سبل السلام: والراشي هو الذي يبذل المال ليتوصل به إلى

الباطل، مأخوذ من الرشا وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء في البئر.وقال أيضًا: وفي النهاية لابن الأثير قال: الراشي منّ يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي الآخذ، والرائش هو الذي يمشي بينهما، وهو السفير بين الدافع والآخذ ليس له على سفارته أجراً، فإن أخذ فهو أبلغ (أي: بالإثم والحرمة)

قال القرضاوي في كتابه الحلال والحرام: ومن أكل أموال الناس بالباطل أخذ الرشوة، وهي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو أو ينجز له عملاً أو يؤخر لغريمه عملاً، وهلمّ جرا.

أدلة تحريم الرشوة:

فالرشوة كسب خبيث وأكلٌ لأموال الناس بالباطل وإعانة على الظلم والعدوان وهدر لكرامة الإنسان لما يترتب عليها من ضياع الحقوق وفساد المجتمعات، وقد توعد رسول الله ﷺ أكلة الرشوة والمتعاملين بها بالطرد والإبعاد عن مظانّ الرحمة كما جاءت الأحاديث مصرحة بذلك.

١) فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي) رواه الترمذي وحسنه.

٢) وعن ثوبان - رضي الله عنه - قال: (لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش: يعني الذي يمشي بينهما)صحيح رواه أحمد والحاكم.

حكم هدايا العمال والحكام وعامة الناس: أ- فقد وردت أحاديث صحيحة بحرمة هدية الحاكم من قضاة ومسؤولين وغيرهم واعتبرت من الرشوة التي صرح النبي ﷺ بحرمتها وأكل أموال الناس بالباطل وخصوصًا إذا كان هناك مصلحة للمُهدي عند المَهدى إليه، وبالأدلة الشرعية على حرمتها يتضح ذلك.-وهناك من أباح هدية الحاكم لدفع ظلم أو تحقيق حق كما سيأتي.

أقوال علماء الإسلام في هذه المسألة:

١) قال ابن قدامة في المغني: فأما الرشوة في الحكم ورشوة العامل فحرام بلا خلاف، قال الله تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾ [المائدة:٤٢].

قال الحسن البصري وسعيد بن جبير في تفسيره: هو الرشوة، وقال: إذا قبل القاضي الرشوة بلغت به إلى الكفر، إلى أن قال: ولأن المرتشي إنما يرتشي ليحكم بغير الحق أو ليوقف الحكم عنه، وذلك من أعظم الظلم.

ثم قال ابن قدامة: قال مسروق: سألت ابن مسعود عن السحت، أهو الرشوة في الحكم؟ قال: لا، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾- هم الظالمون – (هم الفاسقون) ولكن السحت أن يستعينك الرجل على مظلمة فيهدي لك،...

وقال قتادة: قال كعب: الرشوة تسفه الحليم وتعمي عين الحكيم – إلى أن قال ابن قدامة -: فأما الراشي؛ فإن رشاه ليحكم له بباطل أو يدفع عنه حقًا فهو ملعون، وإن رشاه ليدفع عنه مظلمة ويجزيه على واجبه؛ فقد قال عطاء وجابر بن زيد والحسن: لا بأس أن يصانع على نفسه.

قال ابن قدامة: قال جابر بن زيد: ما رأينا في زمن زياد أنفع لنا من الرشاء، ولأنه يستنقذ له كما يستنقذ الرجل أسيره، فإن ارتشى الحاكم أو قبل هدية ليس له قبولها؛ فعليه ردّها إلى أربابها لأنه أخذها بغير حق، فأشبه المأخوذ بعقد فاسد. ويحتمل أن يضعها في بيت المال لأن النبي ﷺ لم يأمر ابن اللتبية بردها إلى أربابها. ا.هـ. [المغنى].

٢) قال الشوكاني في نيل الأوطار: قال ابن رسلان في شرح السنن: ويدخل في إطلاق الرشوة. الرشوة للحاكم والعامل على أخذ الصدقات، وهي حرام بالإجماع. وقال أبو وائل شقيق بن سلمة أحد التابعين: القاضي إذا أخذ الهدية فقد أكل السحت،

وإذا أخذ الرشوة بلغت به الكفر. رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح. وقال: ويدل على المنع من قبول هدية من استعان بها على دفع مظلمته ما أخرجه أبو داود عن أبي أمامة عن النبي ﷺ: «من شفع لأخيه شفاعة فأهدي له عليها فقد أتى باباً عظيمًا من أبواب الربا» وفي إسناده مقال.

ثم قال الشوكاني: فليحذر الحاكم المستعد للوقوف بين يدي ربه من قبول هدايا ممن أهدي إليه بعد توليته القضاء، فإن للإحسان تأثيرًا في طبع الإنسان، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فربما مالت نفسه إلى المُهدي إليه ميلاً يؤثر الميل عن الحق عند عروض المخاصمة بين المُهدي وبين غيره، والقاضي لا يشعر بذلك، ويظهر أنه لم يخرج عن الصواب بسبب ما قد زرعه الإحسان في قلبه. والرشوة لا تفعل زيادة على هذا، إلى أن قال الشوكاني: ومن هذه الحيثية امتنعت عن قبول الهدايا بعد دخولي في القضاء ممن كان يهدي إلي قبل الدخول فيه، بل من الأقارب فضلاً عن سائر الناس. اهـ. [كلام الشوكاني بإيجاز واختصار من كتابه نيل الأوطار].

٣) وقال الصنعاني في كتابه سبل السلام: والرشوة حرام بالإجماع سواء كانت للقاضي أو للعامل على الصدقة أو لغيرهما، وقد قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) [البقرة:١٨٨].

ثم قال: وحاصل ما يأخذه القضاة والمسئولون من الأموال على أربعة أقسام:

الأول: الرشوة: إن كانت ليحكم له الحاكم بغير حق فهي حرام على الآخذ والمعطي. وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه فهي حرام على الحاكم دون المعطي لأنها لاستيفاء حقه فهي كجعل الآبق، وأجرة الوكالة على الخصومة. وقيل: تحرم لأنها توقع الحاكم في الإثم.

الثاني: الهدية: فإن كانت ممن يهاديه قبل الولاية فلا تحرم استدامتها، وإن كان لا

يهدي إليه إلا بعد الولاية، فإن كانت ممن لا خصومة بينه وبين أحد عنده جازت وكرهت، وإن كانت ممن بينه وبين غريمه خصومة عنده فهي حرام على الحاكم والمهدي.

الثالث والرابع: الأجرة: وأما الأجرة فإن كان للحاكم راتب من بيت المال ورزق حرمت بالاتفاق (يعني حرمت الهدية للحاكم بالاتفاق) لأنه إنما أجري له الرزق لأجل الاشتغال بالحكم فلا وجه للأجرة، وإن كانت لا جراية له من بيت المال جاز له الأجرة على قدر عمله غير حاكم، فإن أخذ أكثر مما يستحقه حرم عليه، لأنه إنما يعطى الأجرة لكونه عمل عملاً لا لأجل كونه حاكماً، ولا يستحق لأجل كونه حاكمًا شيئًا من أموال الناس اتفاقًا. فأجرة العمل مثله وأخذ الزيادة على أجرة مثله حرام.

٤) قال القرضاوي في كتابه الحلال والحرام: وقد حرم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعوانهم، كما حرّم على هؤلاء أن يقبلوها إذا بذلت لهم، كما حظر على غيرهم أن يتوسطوا بين الآخذين والدافعين - ثم ساق الأدلة على تحريم ذلك - ثم قال: والإسلام يحرم الرشوة في أي صورة كانت وبأي اسم سميت، فتسميتها باسم الهدية لا يخرجها من دائرة الحرام إلى الحلال.

الرشوة لرفع الظلم:

ثم قال القرضاوي في كتابه المذكور: ومن كان له حق مضيّع لم يجد طريقة للوصول إليه إلا بالرشوة، أو دفع ظلم لم يستطع دفعه عنه إلا بالرشوة، فالأفضل له أن يصبر حتى ييسر الله له أفضل السبل لرفع الظلم ونيل الحق، فإن سلك سبيل الرشوة من أجل ذلك فالإثم على الآخذ المرتشي وليس عليه (إثم الراشي).

وهذه الحالة ما دام قد جرّب كل الوسائل فلم تأت بجدوى، وما دام يرفع عن نفسه ظلماً أو يأخذ حقًا له دون عدوان على حقوق الآخرين.

ثم قال: وقد استدل بعض العلماء على ذلك بأحاديث الملحين الذين كانوا يسألون

النبي ﷺ من الصدقة فيعطيهم وهم لا يستحقون، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم ليخرج بصدقته من عندي متأبطها - أي يحملها تحت إبطه - وإنما هي له نارًا، قال عمر: يا رسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له نار؟ قال: فما أصنع؟ يأبون إلا مسألتي، ويأبى الله عز وجل لي البخل»رواه أبو يعلى بإسناد جيد

وقال القرضاوي معقبًا على ذلك: فإذا كان ضغط الإلحاح جعل الرسول ﷺ يعطي السائل ما يعلم أنه نار على آخذه، فكيف يكون ضغط الحاجة على دفع ظلم أو أخذ حق مهدور؟؟

٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفتاوى: قال رحمه الله رحمة واسعة: ولهذا قال العلماء يجوز رشوة العامل لدفع الظلم، لا لمنع الحق، وإرشاؤه حرام فيهما، وكذلك الأسير والعبد المعتق إذا أنكر سيده عتقه له أن يفتدي نفسه بمال يبذله، ويجوز له بذله وإن لم يجز للمستولي عليه بغير حق أخذه.

وكذلك المرأة المطلقة ثلاثًا إذا جحد الزوج طلاقها فافتدت منه بطريق الخلع في الظاهر، كان حراماً عليه ما بذلته، ويخلصها من رق استيلائه. مستدلاً بحديث عمر بن الخطاب المتقدم - قال ابن تيمية -: ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتلظاها ناراً، قالوا: يا رسول الله فلم تعطيهم؟ قال: يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل» ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن ذلك ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة، فلو أعطى الرجل شاعراً أو غير شاعر لئلا يكذب عليه أو يهجوه أو يتكلم في عرضه كان بذله لذلك جائزاً.

وجاء في الفتاوى لابن تيمية: وسئل شيخ الإسلام عن رجل أهدى الأمير هدية يطلب حاجة أو التقرب أو للاشتغال بالخدمة عنده أو ما أشبه ذلك، فهل تجوز هذه الهدية على هذه الصورة أم لا؟

فأجاب رحمه الله: الحمد لله، ففي سنن أبي داود وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «من

شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا».

وقال: وسئل ابن مسعود عن السحت، فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعة فيهدي لك هدية فتقبلها، فقال له: أرأيت إن كانت هدية في باطل؟ فقال: ذلك كفر ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]. ولهذا قال العلماء: إن من أهدى هدية لولي أمر ليفعل معه ما لا يجوز كان حرامًا على المُهدي والمَهدى إليه – وهذه من الرشوة التي قال فيها النبي ﷺ: «لعن الله الراشي والمرتشي».

محاسبة العمال من قبل السلطان:

عن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد، يقال له: ابن اللتبيّة – على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي، أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعرفنّ أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال: اللهم هل بلغت» [متفق عليه].

ما يستفاد من حديث ابن اللتبية:

جاء في فتح الباري (١٣/ ١٦٧) عند شرح حديث ابن اللتبية تحت عنوان: (باب هدايا العمال) قال ابن حجر: وفي الحديث من الفوائد:

٢) منع العمال من قبول الهدية ممن له عليهم حكم، لحديث معاذ بن جبل لما بعثه الرسول ﷺ إلى بلاد اليمن قال له: «لا تصيبن شيئًا بغير إذني فإنه غلول» [أخرجه الترمذي وحسنه.

أقول: ويقصد بالعمال: كل من ولاه السلطان عملاً من الأعمال كالقضاة وموظفي الدولة على مختلف أعمالهم، فالنهي يشملهم.

٣) مشروعية محاسبة المؤتمن.

٤) قال ابن حجر: قال المهلب: فيه أن ما أخذه العامل تُجعل في بيت المال، ولا يختص العامل منها إلا بما أذن له فيه الإمام.

٥) قال ابن قدامة في المغني: وعلي ردّها لصاحبها، ويحتمل أن تجعل في بيت المال، لأن النبي ﷺ لم يأمر ابن اللتبية برد الهدية التي أهديت له لمن أهداها.

٦) قال ابن بطال: يلحق بهدية العامل لمن له دين ممن عليه الدين. معنى ذلك: لا تجوز هدين المدين للدائن؛ لأنه من باب قوله: «كل قرض جرّ منفعة فهو ربًا». وقال ابن حجر: وله أن يحاسب بذلك من دينه – أي يسقط قيمة الهدية التي أهداها له المدين من الدين الذي في ذمته.

٧) وفيه إبطال كل طريق يتوصل بها من يأخذ المال إلى محاباة المأخوذ منه والانفراد بالمأخوذ.

٨) وفيه جواز توبيخ المخطيء واستعمال المفضول في الإمارة والإمامة والأمانة مع وجود من هو أفضل منه.

٩) وفيه أن من رأى متأولاً أخطأ في تأويل يضرّ من أخذ به أن يشهر القول للناس ويبين خطأه ليحذر من الاغترار به.ا.هـ. كلام الحافظ ابن حجر من فتح الباري.

مكافأة المحسن: الإسلام دعا إلى مكافأة المحسن بما يستطيعه المسلم من أنواع الإحسان ولو كان ذلك بالكلمة الطيبة والدعاء له بالخير، واعتبر الإسلام ملاقاة المسلم لأخيه المسلم بطلاقة الوجه وبشاشة النفس اعتبره معروفًا وإحسانًا له يؤجر على ذلك المحسن – وهذا من كمال هذا الدين وشموله وآدابه ومحاسنه لتبقى المودة والألفة والمحبة خلقاً للمسلمين وشعارًا لهم.

١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والكلمة الطيبة صدقة» [متفق عليه].

٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له»حديث حسن رواه الحاكم والبيهقي[.

قال الأمير الصنعاني عند حديث ابن عمر المذكور: ودل الحديث على وجوب المكافأة للمحسن إلا إذا لم يجد، فإنه يكافئه بالدعاء، وأجزأه إن علم أنه قد طاب نفسه أو لم تطب وهو ظاهر الحديث، ومثل هذه المكافأة لا تعتبر من باب الرشوة إلا إذا تواطأ معه واشترطها لنفسه. ا.هـ.

هدية المدين للدائن:

وأما هدايا العمال فتقدم الحديث عنها بعدم الجواز، وكذلك لا يجوز للمدين أن يهدي للدائن هدية، وخصوصًا قبل قضاء دينه للأدلة الشرعية في النهي عن ذلك، ومنها:

أ) عن أنس رضي الله عنه عن النبي -قال: «إذا أقرض فلا يأخذ هدية» [رواه البخاري في تاريخه].

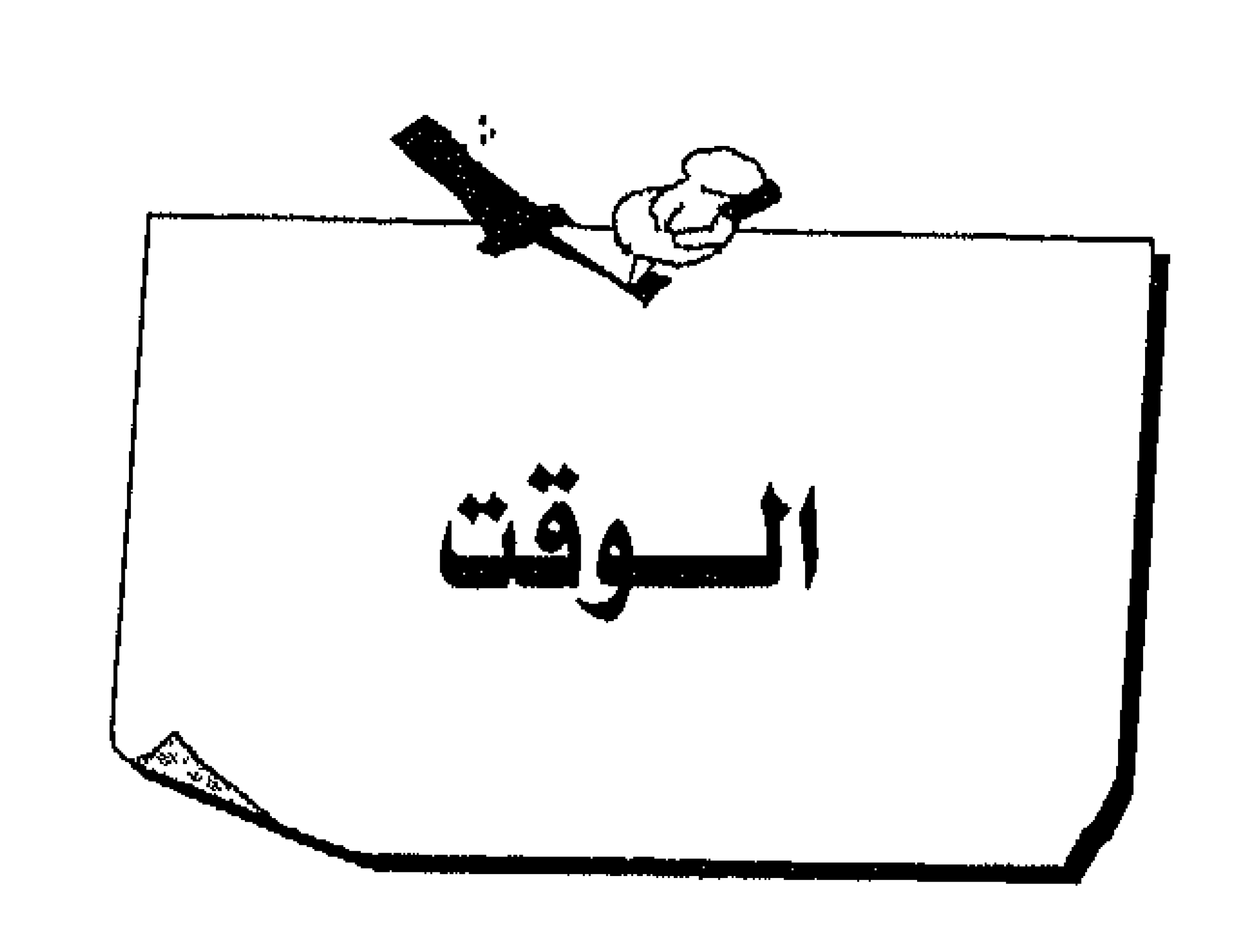
ب) عن أبي بردة بن أبي موسى قال: (قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال لي: إنك بأرض فيها الربا فاشٍ، فإذا كان لك على رجل حقٌ فأهدي إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا) [رواه البخاري]. والقت هو البرسيم، علف الدواب.

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٥/ ٢٣٢):والحاصل أن الهدية والعارية ونحوهما إذا كانت لأجل التنفيس في أجل الدين أو لأجل رشوة صاحب الدين أو لأجل أن تكون لصاحب الدين منفعة في مقابل دينه، فذلك محرم لأنه نوع من الربا والرشوة.

وقال: وإن كان ذلك لأجل عادة جارية بين المقرض والمستقرض قبل التداين فلا بأس، وإن لم يكن ذلك بقرض أصلاً؛ فالظاهر المنع لإطلاق النهي عن ذلك.

والأحوط والأسلم أن لا يقبل صاحب الدين هدية من المدين لقوله -: «ومن حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه».

الخطبة السادسة



الشيخ / رمضان صقر

عناصر الخطبة:

١) تمهيد.

٢) عناية القرآن والسنة بالوقت الله عز وجل يقسم بالوقت لأهميته.

٣) خصائص الوقت.

١) سرعة انقضائه.

٢) ما مضى من عمر الإنسان لا يعود.

٣) الوقت أغلي وأثمن ما يملك الإنسان.

٤) الآفات القاتلة للوقت.

١) الغفلة.

٢) التسويف.

٣) سب الزمان والقاء اللوم عليه.

٤) ما هو واجبنا تجاه الوقت؟

١) الحرص على الاستفادة من الوقت.

٢) اغتنام أوقات الفراغ.

٣) المسارعة إلى الخيرات.

٤) الاعتبار بمرور الأيام.

٥) تنظيم الوقت.

الوقت في حياة المسلم

(١) تمهيد: لقد حرص رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده وكذلك التابعون على أوقاتهم حرصًا شديدًا فاق حرصنا نحن على أزواجنا وأولادنا وأموالنا وزروعنا وثمارنا وتجارتنا وصناعتنا وكل ما نملك؛ فنتج عن حرص النبي ﷺ وأصحابه والتابعين على أوقاتهم علمًا نافعًا وعملاً صالحًا وجهادًا مبرورًا وفتحًا مبينًا وحضارة راسخة.

أما المسلمون اليوم فهم يتفننون في إضاعة أوقاتهم وإهدار أعمالهم لدرجة وصلت حد السفه من بعضهم فهم على المقاهي أمام المباريات والأفلام والمسلسلات وفي المصالح الحكومية المختلفة وأمام الطاولة والشطرنج والضمنة ليل نهار يضيعون حياتهم حتى أصبح المسلمون في ذيل الأمم بعدما كانوا قادة لهذه الدنيا وما فيها فما عمل المسلمون لعمارة دنياهم كما عمل أهل الدنيا وما عملوا لعمارة آخرتهم كما عمل أهل الدين بل خرّبوا الدارين وحُرموا الحسنيين ولو فقهوا لعملوا في الدنيا كأنهم يعيشون فيها أبدًا ولعملوا لآخرتهم كأنهم يموتون غدًا وجعلوا شعارهم قول الله تعالي ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: من الآية٢٠١].

٢-عناية القرآن والسنة بالوقت

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بنعم لا تُحصى ولا تُعد فسخّر الله عز وجل لهذا الإنسان الضعيف أمورًا عظامًا وأشياء جسامًا تتحرك من أجله وتعمل لمنفعته قال تعالى

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝ ﴾ [إبراهيم:٣٣- ٣٤] قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ ﴾ [الفرقان:٦٢].

الله عز وجل يُقْسم بالوقت لأهميته وقيمته :

قال تعالى ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ ﴾ [الليل:١-٢].

وقال تعالى ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ ﴾ [الفجر:١- ٢] وقال تعالى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ ﴾ [الضحى:١-٢] وقال تعالى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ ﴾ [العصر:١-٢]

من المعروف لدى المفسرين أن الله تعالى إذا أقسم بشيء من خلقه فإنما يلفت أنظار الناس إلى هذا الشيء وينبههم على أهميته العظيمة عند الله وعند الناس.

السنة النبوية تؤكد علي قيمة الوقت :

إن الوقت في حياة المسلم له أهمية عظيمة لأن الإنسان مسئول عن هذا الوقت أمام الله يوم القيامة لدرجة أن الأسئلة الأربعة التي توجه للإنسان المكلف يوم الحساب يخص الوقت منها سؤالان رئيسيان:

- روى البزار والطبراني عن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه؟! وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به؟!».

فإذا نظرنا إلى هذا التوجيه النبوي وجدنا أن الإنسان يُسأل عن عُمُره بصفة عامة ثم

يسأل عن شبابه بصفة خاصة مع أن الشباب جزء من العمر إلا أن الشباب له ميزة خاصة باعتباره سن الحيوية والعمل والقوة والإنتاج والعطاء لكل مناحي الحياة فهو قوة بين ضعفين ضعف الطفولة وضعف الكهولة قال تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم:].

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» رواه البخاري.

٣- خصائص الوقت

١) سرعة انقضاء الوقت.

الوقت يمر مرّ السحاب ويجري جري الرياح سواء كان زمن فرح وسرور أم كان زمن اكتئاب وأحزان فيشعر الإنسان أن أيام الفرح تمر بسرعة وأيام الأحزان تمر ببطء ولكن ذلك في شعور الإنسان فقط أما الأيام فهي تمر دون تأخر وتوقف يقول القائل:

مرّت سنون بالوصال وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيامُ

ثم انثنت أيام هجر بعدها ... فكأنها من طوُلها أعوامُ

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

وقال القائل

وإذا كان آخر العُمر موتًا ... فسواء قصيره والطويل

سُئل نوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عُمراً! كيف وجدت الدنيا؟ قال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الأخر.

قال تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات:٤٦]

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾

[يونس: ٤٥]

٢) ما مضى من عمر الإنسان لا يمكن أن يعود أو يعوَّض

كل يوم يفوت وكل ساعة تمر وكل لحظة تنقضي لا يمكن استعارتها أو تعويضها مهما فعل الإنسان.

قال الحسن البصري «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى: يابن آدم! أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة»

يقول القائل:

إلا ليت الشباب يعود يومًا ... فأخبره بما فعل المشيب

ويقول آخر معبر عن ذهاب الأيام وعدم عودتها:

وما المرء إلا راكبًا ظهر عُمرُه ... على سفر يفنيه باليوم والشهر

يبيت ويُضحي كلّ يوم وليلة ... بعيدًا عن الدنيا قريباً من القبر

٣- الوقت أغلي وأثمن ما يملك الإنسان:

لأن الوقت هو رأس مال الإنسان الحقيقي فإذا ذهب رأس المال فمن أين يأتي الإنسان بالربح فإذا ضاع رأس المال يكون الإنسان في خسارة مستمرة ودائمة.

يقول القائل: «الوقت من ذهب» ولكن الناظر لحقيقة الوقت يجد أنه أغلى من الذهب وأغلى من الماس ومن الياقوت لأن كل هذه الأشياء تشترى بالمال؛ أما الوقت فلا يشترى بالمال ولكن الوقت كما عبر عنه أحد الصالحين «الوقت هو الحياة» فما حياة الإنسان إلا الوقت الذي يقضيه من ساعة ميلاده إلى ساعة وفاته.

قال الحسن البصري – رحمة الله – «يا بن آدم! إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك»

٤- الآفات القاتلة للوقت:

١) الغفلة وهي مرض خطير يصيب عقل الإنسان وقلبه بحيث يفقد الإنسان الوعي للأحداث التي تدور حوله لذلك حذرنا القرآن الكريم من الغفلة بل جعل القرآن أهل الغفلة هم حطب جهنم بل هم أضل من البهائم التي لا تعقل، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩] ويخاطب القرآن النبي محمد ﷺ قائلاً:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥] وقال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: من الآية٢٨].

كان من دعاء أبي بكر الصديق «اللهم لا تدعنا في غمرة ولا تأخذنا علي غِرةٍ ولا تجعلنا من الغافلين» وكان سهل بن عبد الله يقول «احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء المداهنين والمتصوفة الجاهلين والجبابرة الغافلين»

٢) التسويف آفة من الآفات التي تمنع الإنسان من الانتفاع بيومه وحاضره لأنه يؤجل ويؤخر حتى تصبح كلمة سوف شعارًا له. قيل لرجل من عبد قيس أوصنا فقال «احذروا سوف» وقال آخر: «سوف جند من جند أبليس» فيجب على المسلم أن ينتفع بوقته وبيومه ولا يؤخر عمل اليوم إلى غد فيجب على المسلم أن يزرع اليوم أعمال الخير والصالحات حتى يحصد غدًا جنة عرضها السموات والأرض وإلاّ ندم في يوم لا ينفع الندم.

قال القائل:

فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي تزودته قبل الممات إلى الحشر
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ندمت على التفريط في زمن البذر

دعا أحد الأمراء رجلاً صالحًا إلى الطعام فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير أفطر اليوم وصم غدًا فقال الرجل الصالح: وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد؟!

قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدأ عليه الإرهاق من كثرة العمل: أخّر هذا العمل إلى غد فقال: «لقد أعياني عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع عليّ عمل يومين».

٣) سب الزمان وإلقاء اللوم عليه. نري كثيرًا من الناس يظنون أن الزمن خصمًا لهم يضطهدهم أو عدوًا يتربص بهم وما أدرى هؤلاء الناس أن الزمن ما هو إلا وعاء للأحداث التي يجريها الله حسب سنته فى الكون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» رواه مسلم.

لما انهزم المسلمون في غزوة أحد ومعهم رسول الله ﷺ واستشهد سبعون من خيرة الصحابة وتساءلوا عن سبب ما أصابهم من بلاء كان الجواب القرآني ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران:١٦٥] ثم أكد القرآن هذه القاعدة فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأنفال: من الآية٥٣] يقول القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجوا ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان لنا هجانا

فيجب على المسلم إذا نزل به ما يكره أن يرجع إلى الله وأن يتوب ويستغفر وأن

يقول ما قاله آدم وحواء عليهم السلام حين أخرجا من الجنة ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

وأن يقول ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٧-١٤٨].

٥) ما هو واجبنا نحو الوقت؟

إن للمسلم تجاه وقته واجبات يجب عليه معرفتها ووضعها نصب عينيه، وأن تنتقل هذه الواجبات من دائرة المعرفة إلى دائرة الإيمان والإرادة ثم إلى دائرة العمل والتنفيذ وهذه الواجبات كثيرة منها:

١- الحرص على الاستفادة من الوقت

يجب على المسلم أن يكون حريصًا على وقته أكثر من حرصه على ماله حتى يعود عليه النفع في الدنيا والآخرة. قال الحسن البصري رحمة الله «أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم».

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما»

وقيل «الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك»

قال ابن مسعود: «ما ندمت على شئ ندمي علي يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي»

قال حكيم: «من أمضى يومًا من عُمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد بناه أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه).

قال الشاعر:

إذا مرّ بي يومُ ولم أقتبس هدى ولم استفد علمًا فما ذاك من عمري

٢-اغتنام أوقات الفراغ

من النعم التي جهل كثير من الناس قدرها ولم يقوموا بشكرها نعمة الفراغ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» البخاري. وقال رسول الله ﷺ «اغتنم خمسًا قبل خمس... وعدّ منها فراغك قبل شغلك»

وقيل: «من لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل فطوبى لمن ملأها بالخير والصلاح وويل لمن ملأها بالشر والفساد»

قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجده مُفْسدة للمرء أي مَفْسَدة

معنى الجده: المال

٣-المسارعة إلى الخيرات: يجب على المسلم الذي عرف قيمة الوقت أن يملأ وقته بفعل الخيرات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فلا يتكاسل ولا يتهاون ولا يؤخر عمل اليوم إلى الغد لأن الإنسان اليوم فى صحة وعافية وفراغ من الوقت أما غدا فالله أعلم بما فيه فليكن المسلم مسارعًا إلى الخيرات.

قال الشاعر:

ولا أؤخر شُغل اليوم عن كسل إلى غد إن يوم العاجزين غدًا

وكان من دعاء النبي ﷺ «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل» والقرآن الكريم يأمرنا باستباق الخيرات والمسارعة إليها قبل أن يشغلنا شاغل أو يمنعنا مانع قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا

يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [البقرة:١٤٨] وقال الله تعالى مرغبا في الجنة ونعيمها ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقد أثنى الله على بعض رُسله فقال:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: من الآية٩٠] ومدح الله عز وجل الصالحين من أهل الكتاب فقال: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (آل عمران:١١٤) وذم الله المنافقين فقال: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: من الآية١٤٢] وقال تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة: ٥٤].

٤-الاعتبار بمرور الأيام:

يجب علي المسلم أن يأخذ العظة والعبرة من مرور الأيام والليالي لأن الليل والنهار يُبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويطويان الأعمار ويشيبان الصغار ويفنيان الكبار

قال الشاعر:

شاب الصغير وأفنى الكبير ـ كرُّ الغداة ومرُّ العشى

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى

﴿ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝﴾ [النور:٤٤] فيجب على المسلم أن يتفكر ويتدبر في تقلب الليل والنهار لأنه لا تمر لحظة إلا ويقع في هذا الكون ما يرى من الأحداث وما لا يرى فنجد أرضًا تحيا وحبة تنبت ونبات يزهر وزهر يثمر وثمر يُقطف وزرعًا يصبح هشيمًا تذروه الرياح، فكذلك أحوال الناس تدور بين عسر ويسر وغنى وفقر وصحة ومرض وسرور وحزن وشدة ورخاء وسراء وضراء، وفى كل ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر.

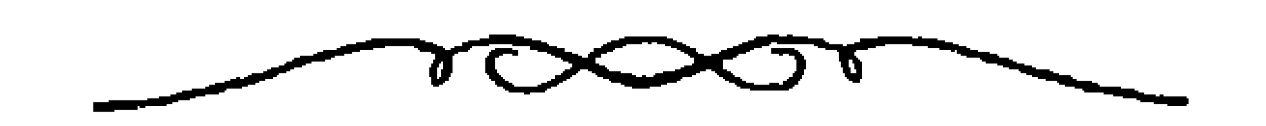
٥-تنظيم الوقت:

يجب على المسلم أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية حتى لا يطغى بعضها على بعض روى ابن حبان والحاكم عن أبي ذر قال مما رواه النبي ﷺ من صحف إبراهيم «ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

ومن تنظيم الوقت أن يكون هناك وقت للراحة والترويح المباح عن النفس لأن النفس تسأم بطول الجسد قال علي بن أبي طالب: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي.

وروى البخاري ومسلم: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ: «خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا».

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدًا إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا» رواه البخاري والنسائي.



الخطبة السابعة



الشيخ / عبد الحفيظ الصاوي

الحمد لله حمدًا يليق بجلال قدرته وعظيم مقداره، وأشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد...،،

الناظر إلى أحوال المسلمين في عصر الوهن والضعف، يجد أن من أهم مظاهر هذا المرض أن العبادات أصبحت عادات تؤدى في غفلة من العقل وغفلة من الشعور. وأن أحدهم ليصلي ولا يتأثر بها وكأنه يسير «محلك سر» الله جل جلاله يقول: (واسجد واقترب) وهو يسجد ولكنه لا يقترب ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان.

أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة قد الباهلي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وكلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأخر لها نقضا الحكم وآخرها الصلاة)[1] وهذا الحديث صريح من أن سيأتي يوم على الأمة

---

(١) أحمد٥/ ٢١٥، فيض القدير ٥/ ٢٦٣.

الإسلامية تغيب فيها خلافتها العامة وحكومتها الجامعة وأن بغياب الخلافة تتوالى النكبات على الأمة فتنقص العرب الواحدة تلو الأخرى حتى تكون الصلاة آخر ما ينقص من العرب.

غير أن واجب إقامة الدين هو واجب الأمة في كل زمان ومكان وكل فرد فيها مسئول عن بذل ما يستطيع من جهة واستفراغ ما يملك من وسع في هذا السبيل.

والله عز وجل لا يكلفنا بالوصول إلى الهدف لكن يحاسبنا على بذل المجهود، ليظل كل منا عاملا مهما كان الظلام حوله حالكا، فإن الإيمان في قلبه يمكنه من رؤية خيوط الفجر وهى تطارد فلول الليل ومن رؤية خلافته الراشدة وهى تولد من رحم الضعف والحصار والإقصاء والإبعاد.

والمتابع لتاريخ أمة الإسلام يجد أن الصلاة كانت تمثل الأساس الذي تقيم الأمة على نهضتها؛ فقد قال الله في رحلة الاستضعاف لنبي إسرائيل: ﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [يونس: ٨٧] ويذكر النداء للمسلمين في المرحلة المكية: ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء: ٧٧] ففي مرحلة الاستضعاف تكون الصلاة هي المعين الذي تنهل منه الأمة لتستعيد عافيتها وتسترد عزتها ولهذا يقول الله عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣] غير أن الصلاة التي تحقق هذا الهدف ليست هي بالتأكيد الصلاة التي تؤدى بلا خشوع ولا حضور قلبي فيها معًا تغوص في معاني الصلاة وأسرارها أو ليست الصلاة عماد الدين؟!

قال رسول الله ﷺ: «رأس هذا الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» [(١)] والعمود في كل شئ هو ما يرتكز عليه ويعتمد عليه.

---

(١) رواه أحمد وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٢/ ١٣٨ من حديث معاذ وقال الترمذي حسن صحيح (٢٦١٦).

فهي كالعمود الفقري الذي تنتشر منه أضلاع الدين، ويحمل كل شيء فيه، فإذا انكسر هذا العمود أو أصيب فلا حركة ولا نشاط ولا استواء. وكما أن العمود في الخيمة لا قيام إلا به، والعمود في أي آلة أو ماكينة هو ما ترتكز عليه بقية أجزائها، وكذلك الصلاة تحمل تعاليم الإسلام وتشير إليه وتأمر به وكل فعل من أفعال الصلاة من التكبير إلى التسليم تذكر بأمر من أمور الإسلام وكل حركة وكلمة فيها تربي المسلم وتؤهله لحمل رسالته التي من أجلها خلقه الله عز وجل وتؤهله لإقامة الإسلام، والغالب اليوم من المسلمين يؤدون حركات الصلاة بعيدا عن فهم دورها وكثير منهم ضيعوها وهم لا يدرون كم ضيعوا من دينهم والقليل منهم من يقيم الصلاة ليقيم الدين.

إن إقامة الدين هي الأمانة الثقيلة التي حملها الإنسان وهذه الأمانة يحتاج الإنسان إلى إعانة لحملها؛ لهذا فإن من أوائل ما نزل من القرآن ما يهديه لذلك قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل:١-٥] وقال أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣ ﴾ [البقرة:١٥٣] هذه الرسالة فهمها النبي ﷺ وأصحابه الكرام وهم يؤسسون الدولة الإسلامية فكان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه؛ والقرآن شهد لهم بحسن التنفيذ ولهذا أيضاً خاطب الله عز وجل بنى إسرائيل في مرحلة الاستضعاف يخبرهم كيف يقيمون دولتهم قائلاً: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٧ ﴾ [يونس:٨٧] وخاطب أصحاب النبي ﷺ ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء: ٧٧] ففي مرحلة الاستضعاف تكون الصلاة هي المعين الذي تنهل منه الأمة لتستعيد عزتها فإذا ما تحقق للامة ما تريد وكان لها التمكين والعزة وأقيمت دولتها كانت إقامة

الصلاة هي أول أهدافها ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١].

علاقة تبادلية:

فالصلاة تساهم في تحقيق كل هدف من أهداف الدين كما أن كل قيمة من قيم الدين إذا تحققت ساهمت في إقامة الصلاة على الوجه الأكمل هذا يحدث في نفس كل مسلم يقيم الصلاة كما يحدث في بناء المجتمع ككل.

فإقامة الصلاة من أهم أسباب التمكين للدين كما أن تمكين المؤمنين يؤدي إلى إقامة الصلاة والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالمعروف لأنها تفجر طاقات الخير في النفس، لهذا أمر لقمان الحكيم ابنه بإقامة الصلاة قبل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ ...﴾ [لقمان: ١٧] ولهذا أيضًا وصف القرآن الساهين عن الصلاة بأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون:٦، ٧] كما أن قيام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لازمة لإقامة الصلاة فلو ترك الناس هذه الفريضة لضاعت الصلاة وهدمت المساجد قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج:٤٠] والصلاة تدريب على الصبر كما أن الصبر لازم لإقامة الصلاة قال تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] كما أنه توجد علاقة تبادلية بين الصلاة والعقيدة، فالصلاة تزيد

الإيمان وتقوى المراقبة والإيمان إذا زاد تحسن أداء المصلي وتحقق خشوعه كما أن الصلاة تدعم الأخلاق وتدعم غيرها من العبادات ولهذا نجد اقترانًا في كثير من الآيات بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة)

فالعلاقة بين الصلاة كعمود للدين وبين أي فضيلة هي علاقة تبادلية مستمرة باستمرار الصلاة؛ فمع مرور الوقت تحدث زيادة في كفاءة الأداء بالنسبة للصلاة ومما يوضح مكانة الصلاة في هذا الدين لزومية الأداء للمسلم علي أي حال من الأحوال فإن لم يجد ماء للوضوء شرع في التيمم وإن كان مريضًا جاز له أن يصلي جالسا أو مستلقيًا فالصلاة واجبة عليه في سفره وفى حضره وأمنه وخوفه وسلمه وحربه قال تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]. أي: فصلوا في حال الخوف مشاة أو راكبين كيف استطعتم استقبال القبلة للضرورة وبعد هذا التيسير لا يصبح هناك عذر لأحد قال ﷺ (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)(١).

مقاصد الصلاة:

يقول الإمام الشاطبي (لها مقصد أصلي ومقاصد تابعة)؛ فالمقصد الأصلي هو التوجه إلى الله الواحد وإفراده بالقصيد إليه في كل حال قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤].

أي أن قصد الصلاة هو ذكر الله وقال تعالي ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي: إن اشتمال الصلاة على التذكير بالله أكبر وأعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر، لأن ذكر الله هو المقصود

---

(١) رواه الخمسة وقال الترمذى حسن صحيح.

الأصلي ثم إن لها مقاصد تابعة كصلاح النفس والنهي عن الفحشاء والمنكر، وإنجاح الحاجات والفوز بالجنة وغيرها ولا حرج على المؤمن أن يطلب بعبادته الفوائد الأخروية كالفوز بالجنة لأن هذا داخل تحت معنى الرجاء في مثوبة الله والخشية من عذابه وهذا لا يقدح في الإخلاص لله قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩] ولكن الخطأ أن يصلي المسلم فقط لتحقيق هدف دنيوي مثل النجاح أو التوفيق فصاحب هذا القصد لن يستطيع الاستمرار في أداء الصلاة لأنه داخل تحت قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١ ﴾ [الحج:١١] كما أن هذا الفهم يحول الصلاة إلى مجرد وسيلة لتحقيق شيء من الدنيا فإن وجد غيرها من الوسائل استغنى عنها كما يدعي البعض قائلاً: إن مقصد الصلاة تهذيب السلوك فإذا وصلنا إلى هذه النتيجة بأي وسيلة أخرى فلسنا بحاجة إلى العبادة والصلاة. وهذا القول مردود لأنه أغفل المقصد الأول من العبادة بل المقصد الأول من خلق الناس.

١) **المقصد الأصلي:** ذكر الله وحده وتعلق القلب به سبحانه يقول الأستاذ المودودي رحمه الله: «وما الصلاة في حقيقة الأمر إلا أن تعيد بلسانك وأعمالك خمس مرات في اليوم والليلة ذكر ما قد آمنت به فإذا استيقظت صباحًا مثلت بين يدي الله طاهرًا نظيفًا قبل أن تنشغل بأي شئ آخر ثم أقررت بين يديه بعبوديتك له قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا واستغثته واستهديته وجددت ما بينك وبينه من ميثاق الطاعة والعبودية وأعدت مرة بعد مرة أمنيتك في نيل رضاه والابتعاد عن غضبه وأعدت درس كتابه وشهدت بصدق رسوله؛ وذكرت يومًا ترجع فيه إلى محكمته لتسأل عن أعمالك ثم تنال عنها الجزاء الذي تستحقه وحري بمن عاش هذه المعاني أن تهون عليه الدنيا وتقوى عنده الرغبة في الآخرة».

(٢) رحلة الروح:

في هذه الرحلة تعرج الروح متخلصة من جاذبية الأرض إلى ساحة الطهر في الملأ الأعلى، من حدود الحس الضيقة إلى العالم الذي لا حدود له.. عالم النور الذي لا تدركه إلا الأرواح في هذه اللحظات ترى إنسانًا يقف على الأرض بينما تسبح روحه في السماء فما أثر هذه الرحلة العلوية علي الروح.

(٣) تأثير كلام الله عز وجل:

ها هو القرآن يُقرأ في الصلاة فيحدث في الروح أثرًا عجيبًا إنه يشبه مع الفارق ذلك النشاط الحي الذي يشعر به الإنسان في أعضائه حين يخرج من الغرفة المقفلة الفاسدة الهواء فيتلقي النسيم المنعش على صفحة وجهه ويستنشقه من أعماقه، إنه يتجدد حقيقة حسًا ومعنى وينطلق فى خفة رشيق الحركات.

إن القرآن يأخذه في رحلة كونية ممتعة للروح، تشاهد فيها الكون بعيدًا عن الرتابة والإلف؛ ومن ثم يعيش هذه اللحظات متفكرًا كأنه يرى الوجود في ثوب جديد.. إنها متعة الأرواح التي يعبر عنها بعض الواجدين قائلاً: «إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب». فكما أن أعظم نعيم أهل الجنة في النظر إلى وجه الله الكريم فكذلك كان الوقوف بين يديه سبحانه وسماع كلامه أعظم نعيم أهل الأرض.

(٤) التخلص من التوتر:

في هذه الرحلة تتخلص الروح من التوتر الذي يصيبها من الكدح الذي لابد أن يعيش الإنسان فيه. هذا التوتر يشكل خطرًا كبيرًا على الروح؛ إنه كالسموم التي تنشأ داخل الجسم من عمليات توليد الطاقة ولابد أن يتخلص منها لتستمر الحياة ولهذا قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ والمؤمنين بعده ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٩٧، ٩٨].

(٥) الاستعلاء على كل قوة في الأرض:-

فالعبد إذا ناجى ربه قائلاً: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] فما وزن قوى الأرض مجتمعة بالنسبة لقوة الإله: لاشيء قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:١١] إذاً فلا خضوع ولا استكانة لأي قوة فى الأرض. إن قوى الأرض: إما قوى هداية وإما قوى ضلال وغواية؛ فالمسلم على الأرض ولو ضعفت قوته المادية أمام الباطل هو أقوى، ولو قل الناصرون هو أقوى، ولو غلبت قوته المادية عن الجهاد أقوى بروحه المتصلة بالله عز وجل وأعز بروحه المهتدية بهداه.

إن درس الصلاة الأول وهدفها الأول الأسمى أن يتمرن المسلم علي إفراد الله عز وجل بالعبادة وأن يرتبط قلبه بربه عز وجل لا بأحد سواه فلا ينفق إلا لله، ولا يتعب إلا لله، ولا يعمل إلا لله، وهذا الأمر علي سهولة فهمه فإن نسبة كبيرة من المسلمين اليوم وقعوا في براثن الشيطان وأخذهم ليدور بهم في أودية الدنيا كما يدور الحمار في الرحى وها هي الصلاة تناديهم أن هلموا إليّ:

فمن أعرض عن الحق وجحده	وقع في الباطل المقابل
ومن رغب عن العمل لله وحده	ابتلاه بالعمل لغيره
ومن رغب الإنفاق لله وحده	ابتلي بالإنفاق لغير الله
ومن رغب عن التعب لله	ابتلي بالتعب في خدمة الخلق
ومن رغب عن الهدى بالوحي	ابتلي بكناسة الآراء وزبالة

الأذهان ووسخ الأفكار ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل.

مقاصد فرعية:

وهذه المقاصد الأخرى من بناء الشخصية المسلمة وصياغة قيمها، والوقاية من الغفلة، والتطهير من الذنوب، وقضاء الحاجات وغيرها تتحقق من خلال عملية تراكمية مستمرة تستلزم المداومة على هذه الصلوات والمحافظة على أوقاتها وقبل الدخول في تفاصيل هذه المقاصد هيا نتساءل ما سر تكرار الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة؟

سر تكرار الصلاة:

١) **مصدر للقوة وغذاء للروح والعقل**؛ فكما أن للجسد غذاء فى كل يوم مرتين أو ثلاثة فإن هذه الصلوات الخمس الموقوتة تحيط باليوم كله إحاطة السوار بالمعصم لا يكاد يسهو الإنسان أو يغفل حتى يحين موعد الصلاة، فيعود ليجدد الإيمان ويتذكر العهد ويعوض ما فقد من الزاد؛ فهي بتوقيتاتها كجرعات الدواء لا ينتهي مفعول جرعة حتى يبدأ مفعول التي تليها هكذا تسكب الطمأنينة والسكينة في القلوب، وتجدد الطاقة والقوة والمعونة من الله على تنفيذ تعليمات الخلافة والثبات على مبادئها وتحلي تبعاتها.
وهنا يتضح حجم الخسارة التي يتعرض لها من يؤخر صلاته عن وقتها أو يجمع الصلاة مع الصلاة.

٢) **اختبار لليقظة**، وقياس مدى تعلق القلب بربه عز وجل، وعدم استغراقه في الدنيا فهو كالاستدعاء الذي تمارسه الجيوش لاختبار سرعة تلبية الجنود.

٣) **تطهير من المعاصي**: فطبيعة الإنسان أنه خطاء ومن كانت طبيعته هكذا فإن الذنوب إذا تراكمت على قلبه أهلكته وأطفأت نوره لهذا جاءت الصلاة تطهيرا من المعاصي قال ﷺ: (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله)[1].

---

(١) رواه مسلم من حديث عثمان رضى الله عنه.

ومعلوم أن الذنوب تؤثر في القلوب كما تؤثر الأوساخ على الملابس وكلما كانت محاولة إزالة البقع سريعة كانت النتائج أفضل. فهل تتصور أن تستقيم حياة امرئ بغير صلاة؟

٤) **الصلاة صورة مرآتية للدولة المسلمة:** فهناك شروطًا للإمام كما أن هناك شروط للحاكم ولا ينبغي أن يُسبق الإمام بل الجميع خلفه في طاعة تامة؛ وكذلك للحاكم المسلم فإذا نسي الإمام ذكره من خلفه؛ وكذلك الحاكم وإذا أخطأ الإمام صوبه من خلفه وإن لم يستجب وجب تغيير الإمام وكذلك الحاكم حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق و الطاعة لا تكون إلا في المعروف.

٥) **وقاية من الغفلة:** فإن المسلم إن لم يكن في صلاة فهو ينتظر الصلاة التالية، ورسول الله ﷺ حث المسلمين على انتظار الصلاة من بعد الصلاة؛ وهذا يحقق استيعاب أكثر الأوقات إن لم يكن كلها؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله)[1].

قال النووي لأنه حضر ذكره واستعد ليفيق عند الفجر، ولم يطلق للنوم عنانه فلم تحدث له لذة النوم وإنما نام ليستريح البدن فقط فكأنه قام الليل لأنه أفاق في الليلة الواحدة عدة مرات.

٦) **استمرار الهداية:** وفي الصلاة دعاء لابد أن يدعوبه المسلم في كل ركعة يقرأ في الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم) هذا الصراط المستقيم تركنا رسول الله ﷺ على طرفه، وطرفه الآخر في جنات النعيم، وعلي جانبي الصراط سبل على كل منها شيطان وأي انحراف ولو بسيط عن هذا الصراط المستقيم يضع العبد على طريق من طرق الضياع والعياذ بالله.

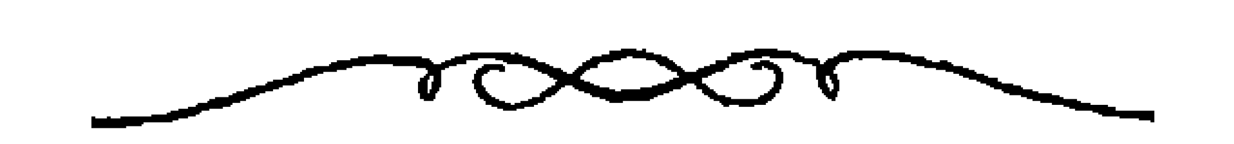
هذا الصراط يشبه صراط الآخرة من عدة وجوه: فصراط الآخرة صراط على متن جهنم له كلاليب كشوك السعدان وصراط الإيمان مع متن الدنيا له كلاليب من

(١) رواه مسلم (٦٥٦) من حديث عثمان رضي الله عنه.

الشهوات فمن تجاوز هذا الصراط بإيمانه تجاوز ذلك الصراط بنور إيمانه أيضًا.

ولأن صراط الإيمان صراط معنوي فإن أحدا لا يدعي أن باستطاعته أن يسير مستقيمًا عليه إلا أن يهديه الله، والهداية التي يحتاجها العبد في صلاة العصر مثلا تختلف عن الهداية التي يحتاجها في صلاة المغرب في نفس اليوم لما يرد على القلب من الشهوات والشبهات فيما بين الصلاتين؛ ولهذا فإن العبد في حاجة شديدة إلى الضبط المستمر حتى تستمر أقدامه على الطريق القويم وهذا ما يتحقق في الصلوات الخمس.

ولا يخفى على كل عاقل أن إحساس المرء أنه يسير على الطريق المستقيم يمكن السعادة فى قلبه لأنه يطمئن لحسن العاقبة، فالصلاة هكذا تكون مصدرًا دائمًا للطمأنينة والسعادة.



فهرس المحتويات

الموضـــوع **الصفحة**

تم بحمد الله تعالى